

وليتبروا ما علوا تتبيرا

بشرى المؤمنين بالنصر العظيم على اليهود الغاصبين



الأستاذ الدكتور
عمر سليمان الأشقر



دار النفائس
للنشر والتوزيع



وليتبروا
ما علوا تتبيرا

١٤٣٠هـ-٢٠١٠م

الطبعة الأولى

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
٢٠٠٩/٤/١٣٩٥



العبدلي - مقابل مركز جوهرة القدس

ص.ب ٩٢٧٥١١ عمان ١١١٩٠ الأردن

هاتف: ٥٦٩٣٩٤٠ ٠٠٩٦٢٦

فاكس: ٥٦٩٣٩٤١ ٠٠٩٦٢٦

Email: ALNAFAES@HOTMAIL.COM

www.al-nafaes.com



وليتبروا ما علوا تتبيرا

بشرى المؤمنين بالنصر العظيم على اليهود الغاصبين

الأستاذ الدكتور
عمر سليمان الأشقر



دار النفائس
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

قضاء أمة الإسلام على العلو اليهودي وتتبيره

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٧].

تقديم

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

والحمد لله الذي وعدنا بإزالة العلو اليهودي مهما بغى وطغى وطال واستشرى، فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:٧].

والحمد لله الذي حفظ لنا ديننا، وحفظ على مرّ الزمان منا طائفة ستبقى ظاهرة منصورة حتى يأتي أمر الله، وهي كذلك.

وأصلي على النبي المختار الذي بعثه الله داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فدعا إلى دينه المنزل العرب والعجم، واليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، ولقن اليهود الذين كانوا في الجزيرة العربية دروساً قاسية مؤلمة، فدخل فريق منهم الإسلام، خاصة يهود اليمن، وأما الذين نقضوا عهودهم معه، وكانوا يسكنون المدينة وخيبر، فأحل بهم بأسه، فبعضهم قتل مقاتليهم، واسترقَّ نساءهم وأطفالهم، وبعضهم أخرجهم إلى أذرعات الشام، وبعضهم إلى خيبر، ثم رحلوا كلهم إلى خارج الجزيرة العربية.

والصلاة والسلام على آله الأطهار، وصحبه الأبرار، الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده، حتى نصر الله دينه، وأعزّ رسوله ﷺ، وعلى من جاء بعدهم مستمسكاً بهذا الدين إلى أن ينزل عيسى ابن مريم، فيقضي هو والعصبة التي معه على الدجال، والسبعين ألفاً من اليهود الذين يسلكون مسلكه، ويطغون بطغيانه، وبعد:

فهذا كتاب يتحدث عما أصاب الأمة الإسلامية في عصرها الأخير، فقد مكرت بها الدول الغربية، وأقامت لليهود دولة غرستها في قلب ديار المسلمين، وهَجَّرت أهل فلسطين منها، واحتلت قلب فلسطين مسرى رسول الله ﷺ وموطن الأنبياء.

إن اليهود يدّعون أنهم أهل فلسطين، وقد كذبوا فيما قالوه وادعوه، نعم لقد كانت فلسطين لأنبياء ورسل بني إسرائيل وللصالحين من أتباعهم، ولكن لما أخلف اليهود عهودهم مع ربهم، وكفروا بآيات الله ورسل الله، وآخرهم محمد بن عبدالله طردهم رب العزة من رحمته، وسلّط الله عليهم من أذاقهم الخسف والمذلة وشرّدهم في بقاع الأرض، ولم يكن إذن الله لليهود باحتلال فلسطين إذناً شرعياً يحبه الله ويرضاه، بل هو إذن قدري عاقب به الأمة الإسلامية بسبب تركها لشريعة الله تبارك وتعالى، وهجرها لكتاب ربها وسنّة رسولها، فعاقب الله هذه الأمة بأبغض خلق الله إلى الله وإلى المؤمنين، وهم اليهود.

إن هرتزل ادعى «أن فلسطين موطن اليهود التاريخي الذي يذكرونه دائماً، ولذلك فإن اسم فلسطين سيجذب الشعب اليهودي بفعالية عجيبة» [الدولة اليهودية لهرتزل، منشورات دوفر، ص٩٦].

نعم، «لقد حلم اليهود بذلك الحلم الملكي خلال الليالي الطوال في تاريخهم، وكانت تحية بعضهم بعضاً: في العام القادم في فلسطين، وجاء الآن الوقت لإظهار أن الحلم يمكن أن ينقلب إلى حقيقة حيَّة» [المرجع السابق، ص٨٢].

ولكن خاتمة هذا الحلم ستكون قاسية مؤلمة لليهود الذين يتجمعون اليوم في أرض الإسراء، ولو رحموا أنفسهم، وبقوا مشتتين لكان خيراً لهم، فقد أخبرنا ربنا، وربنا صادق لا يكذب، ولا يخلف وعده، أخبرنا أننا سنسوء وجوه اليهود، وسندخل المسجد كما دخلناه أول مرة، وسنتبر العلو اليهودي تتبيراً.

لقد وقف حاخام اليهود قرب حائط المبكى في يوم ٨/ ٦/ ١٩٦٧ بعد احتلال اليهود القدس على رأس ثلة من قوتهم ليعلن «أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقق، فالقدس لليهود، ولن يتراجعوا عنها، وهي عاصمتهم الأبدية» [الدولة الفلسطينية ومشاريع الاستيطان، ص٩١، لعبد معروف، دار الكتاب الحديث].

إن استحقاق بني إسرائيل للقدس وفلسطين قد مضى وانقضى منذ عهد بعيد، وهذا الذي فعله اليهود في فلسطين اليوم غصب وظلم وعدوان، ونحن نعلم ذلك من كتابنا وسنّة نبينا، والأيام دول، يداولها رب العباد بين الناس، وإن غداً لناظره قريب، وقد بدأ التغير في ديار الإسلام، وبدأت الجموع تقبل على الإسلام، وبدأت النفوس تتطهر مما أصابها، وسيعلو منار الإسلام، وترتفع رايته، وكل المكر اليهودي الظالم لن يوقف هذا المدّ، وسيكون من آثاره أن تزول دولة الظلم، ويعود الأقصى وفلسطين إلى حضن المسلمين، كما عادت فيما مضى من أيدي الصليبيين الظالمين.

وهذا الكتاب ليس تاريخاً للقضية الفلسطينية، وليس ندباً لمصائبنا فيها، وإنما هو حديث إلى أهل الإسلام، يعرفهم باليهود، ويعرفهم بأن اليهود إلى زوال، وأن أمة الإسلام ستبقى غالبة منصورة، وما أصابها من ضعف سيزول، وسيتلاشى، وسيعود آساد الإسلام إلى عزتهم، ويزيلون مَن ظَلَمَهم، ويقهرون مَن غَلَبَهم، وذلك عندما يعودون ويؤبون إلى ر بهم القوي القاهر الغالب.

إن هذا الكتاب يحدِّث أمة الإسلام عن ماضي الأمة الغابر مع اليهود، ويحدثهم عن النصر القادم على اليهود، فنحن نوقن بأن النصر آت آت آت، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

إن اليهودية دين باطل محرف مغير مبدل، وهو لا يصلح لحكم الحياة، والدين الحق الصحيح الذي يصلح الحياة والأحياء هو دين الإسلام، فقد حكم قديماً وسعدت به البشرية، وهو لا يزال صالحاً لا لحكم حياتنا وحدنا، بل صالح لحكم البشرية كلها.

إنني أعلم أن لله في خلقه سنناً غالبة، وقد ضعفت الأمة الإسلامية، وتسنم ظهورها من لم يرع حق الله فيها، وتفرقت وحدتها، فذهبت ريحها، واستولى عليها عدوها، ولكنها حتى تقوم من وقعتها تحتاج إلى زمان، يؤوب فيه المسلمون إلى الإسلام، ويعرفون طريق العزة والمجد، وسيأتي ذلك كله، ألا ترى أن الشجرة تكون نبتة صغيرة، ثم تكبر، وتكبر، وتكبر، فتصبح دوحة عظيمة، تنفع العباد بظلها وثمرها وورقها وأغصانها.

وما أشبه هذه الأمة بالشجرة، وقد ضرب الله لها مثلاً في التوراة والإنجيل، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩].

وقد انبثق الزرع في ديار الإسلام، واستغلظ واستوى على سوقه، والدول الكافرة غاظها هذا الزرع، وهي تحاول حصده، لا بإعلامها وإذاعاتها وتلفزيوناتها وصحفها ومجلاتها فحسب، بل وبقنابلها وصواريخها وطائراتها ودباباتها، ولكن سيأتي يوم يكون للمسلمين من العزة، ما يقضي على هذا الظلم والفساد والله غالب على أمره.

إن رؤيانا ليست كرؤيا أصحاب الدنيا، إن رؤيانا منبثقة من الهدي السماوي، والنور الإلهي، ومعالمه واضحة في الكتاب والسنّة، والحمد لله الذي جعلنا مسلمين، وجعلنا من أتباع أشرف المرسلين، ووفقنا لفقه كتابه، وسنّة رسوله ﷺ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

المحتاج إلى عفو الله ورحمته
عمر سليمان عبدالله الأشقر
٦ صفر الخير ١٤٣٠هـ
٢ شباط ٢٠٠٩م



المبحث الأول
اغتصاب اليهود أرض الإسراء

المطلب الأول
التخطيط اليهودي للاستيلاء على فلسطين

أعطى الله بني إسرائيل الأرض المقدسة في فلسطين في عهود أنبيائهم، وقد قامت دولتهم في أرض فلسطين أيام حكمهم تلك الديار في عهد نبي الله داود وابنه سليمان، في عام ٩٩٧ قبل الميلاد، وامتدت فترة حكمهما مدة أربعة وسبعين عاماً، ثم انقسمت الدولة الواحدة إلى دولتين:

الأولى: مملكة يهوذا وعاصمتها القدس، وقد دمرها نبوخذ نصر، واحتلها وأحرق عاصمتها بالنار، وسبى بني إسرائيل إلى عاصمة ملكه بابل في العراق، وكان عدد الأسرى خمسين ألف أسير.

الثانية: مملكة إسرائيل، وعاصمتها السامرة (سبسطية)، وقد أزالها من الوجود وهدم عاصمتها الملك الآشوري سرجون الثاني سنة ٧٢١ قبل الميلاد.

وقد أقصي اليهود عن فلسطين، وشردوا في دول العالم كله، فلا تكاد تجد دولة تخلو من اليهود، وكان هذا مقتضى فعل الله بهم وقضائه عليهم ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧].

وقد كان اليهود على اختلاف البلاد التي انبثوا فيها يتطلعون إلى العودة إلى الديار التي سكنها آباؤهم، وكانت تحيتهم فيما بينهم في أعيادهم وأفراحهم الدعاء بالعودة في العام القادم إلى فلسطين.

ولكن مضت الألوف من السنين، وهم مشتتون، تتقاذفهم أرض الله الواسعة، ولم تحقق لهم الأماني أحلامهم، ولم تحقق لهم الدعوات التي يصدحون بها في منتدياتهم وصلواتهم.

ثم جاء هذا العصر الأخير، فانبعثت قواهم لتحقيق الحلم الذي تطلعوا إليه، لقد أقاموا من يخطط لهم، ومن يقوم على تنفيذ تلك المخططات، وأنفقوا بسخاء على المخططين والمنفذين، وشاء الله أن ينجح تخطيطهم، لأمر يعلمه الله تبارك وتعالى، ولعل الله أراد أن يعذب أهل فلسطين والمسلمين بسبب بُعدهم عن ربهم، وعصيانهم له، وإهمالهم لدينهم، كي يؤوبوا إليه، ويستعينوا به، وقد يريد الله باليهود الذين اجتمعوا في هذه البقعة من الأرض أمراً يعلمه، تسوء به وجوههم، ويتبر الأخيار فيه علوهم.

والذي ينظر في حال اليهود بتمعن يرى ذلك التخطيط الهائل الذي قام به اليهود، ويمكن أن نرى جوانب من هذا التخطيط فيما يأتي:

١ - إقناع الدول الكبرى بتحقيق مخططاتهم، وتنفيذ مآربهم، فالدول الأوروبية التي شردتهم من أرضها فيما مضى، وأخذت على أيديهم أصبحت مناصرة لهم، تسعى إلى تحقيق مآربهم، وتسعى لإزالة العقبات التي تقف في وجوههم.

فبريطانيا العظمى استولت على أرض فلسطين، وعملت جيوشها على التمكين لليهود في تلك الديار، ودربت رجال اليهود على الحرب والقتال، ولم تخرج من هناك حتى مكنت لليهود في أرض الإسراء.

وعندما أعلنت إسرائيل عن قيام دولتها سارعت الدول العظمى كبريطانيا وأمريكا وروسيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول إلى الاعتراف بها.

وكانت بريطانيا أعطت وعداً لليهود بتمليكهم فلسطين على لسان وزير خارجيتها بلفور.

ومع أن اليهود يكفرون بنبي النصارى عيسى ابن مريم، وبكتابه الإنجيل، ويدعون كاذبين أنهم قتلوا عيسى، وسفكوا دمه، وصلبوه، إلا أنهم يستغلون النصارى بالتوراة، فاليهودي يقف أمام النصارى متحدثاً إليهم، داعياً إياهم لنصرته، مقرراً أن فلسطين أرضه، محتجاً على ذلك بنصوص التوراة التي يؤمن النصارى بها.

٢- عندما وقفت تركيا حجر عثرة في طريق إقامة الكيان اليهودي دُمِّرت الدولة العثمانية، وحلت محلها دولة علمانية مناصرة لليهود ومؤامراتهم.

لقد عرض هرتزل على السلطان عبدالحميد مناصرة اليهود له، وسداد ديون الدولة العثمانية مقابل السماح لليهود بإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين، فأبى كل الإباء، بل وعمل على منع توطين اليهود في تلك الديار، فما كان من اليهود إلا أن ثلوا عرشه، وأزالوا ملكه، وحققوا مرادهم الذي خططوا له.

٣- أصبح أغنياء اليهود في هذا العصر أباطرة المال في العالم، وخزنوا في خزائنهم الذهب والفضة، وسيطروا على الدول الكبرى بأموالهم، وقد رأينا كيف عرضوا على السلطان عبدالحميد أن يعطوه من المال ما يرفع عن تركيا البأساء واللأواء، ولا شك أن الدول التي ناصرتهم قد أغروها بسداد عوزها، وإنقاذها مما حلّ بها من بأس.

٤- تسلل اليهود إلى المناصب الدينية النصرانية بعد أن دخلوا فيها لتدميرها، وتظاهر عدد كبير منهم بالإسلام في تركيا ودول الغرب، وقد أفسد هؤلاء في تركيا كثيراً، ومما يدل على اعتمادهم هذا النهج منذ عهد طويل مضمون الرسالة التي أرسل بها أحد الخامات اليهود إلى المجمع اليهودي القائم في الأستانة يقول فيها: إن الفرنسيين في إكس ومرسيليا يهددون معابدنا، فماذا نعمل؟ فجاءه الجواب التالي:

أيها الإخوة الأعزاء: بأسىً تلقينا كتابكم، وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا، وإليكم رأي المرازبة والحاخامات:

بمقتضى قولكم: إن ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحي، اعتنقوه لأنه لا يسعكم أن تقاوموا، غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم.

بمقتضى قولكم: إنهم يأمرونكم بالتجرد من أملاككم، فاجعلوا أولادكم تجاراً ليتمكنوا رويداً رويداً من تجريد المسيحيين من أملاكهم.

بمقتضى قولكم: إنهم يعتدون على حياتكم، فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة، ليعدموا المسيحيين حياتهم.

بمقتضى قولكم: إنهم يهدمون معابدكم، فاجعلوا أولادكم كهنة وأكليريين ليهدموا كنائسهم.

بمقتضى قولكم: إنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة، فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى، وكتبة عدل، وليتداخلوا دائماً في مسائل الحكومة، ليخضعوا المسيحيين لنيركم، فتستولوا على زمام السلطة العالمية، وبذلك يتسنى لكم الانتقام.

سيروا بموجب أمرنا هذا، فتتعلموا بالاختبار أنكم بهذا الذل وهذه الضعة التي أنتم فيها ستصلون إلى ذروة القوة والسلطة الحقيقية.

في ١٣ كاسلو (ت٢) ١٤٨٩م

التوقيع

أمير يهود القسطنطينية

[مقدمة: حكومة العالم الخفية، ص٢٦].

وعندما كنت أقرأ في كتاب «رياح التغيير في اليمن» لأحمد بن محمد الشامي، استوقفني طويلاً ما حدَّث به المؤلف عن الدكتور أحمد فخري الذي جاء إلى اليمن من مصر بصحبة الفضيل الورتلاني، وكان أستاذاً بجامعة فؤاد التي سميت بعد

ذلك باسم «جامعة القاهرة»، كما كان مديراً لدار الآثار المصرية، وكان يتقن إلى جانب العربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية لغات كثيرة أخرى منها: العبرية، والحبشية، واللاتينية.

طلب هذا الأستاذ من المسؤولين في اليمن في ذلك الوقت أن يسافر إلى صنعاء عن طريق «إب» لرغبته بزيارة منطقة الآثار في «ظفار» بمنطقة «يريم».

والعجب أنه في تلك الرحلة الشاقة التي صحبه فيها المؤلف محمد أحمد الشامي لم يزر منطقة الآثار، وإنما زار اليهود في منطقة «إب».

يقول أحمد الشامي متحدثاً عن تلك الواقعة المدهشة: «كنا في سنة (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م) ولما يهاجر اليهود تلك الهجرة الجماعية إلى «فلسطين»؛ وقرر الدكتور فخري البقاء في «إب» للاستجمام ومشاهدة معالمها، وطلب مني في اليوم التالي الذهاب إلى «كنيسة» اليهود، وكم كانت دهشتي حين كلم الحبر الذي وجده فيها باللغة «العبرية»، وطلب منه «التوراة» المخطوطة، فأحضرها وذهب يقرأ آياتها بصوت مرتفع، ولم يمض وقت قصير إلا والكنيسة تغص بعشرات اليهود يصغون خاشعين، وما إن وقف حتى تهافتوا عليه يحدثونه، ويحاورونه بالعبرية، وأنا لا أفهم ما يقولون، وقد جلبوا من بيوتهم الزبيب واللوز والمأكولات الطيبة، ثم كلمهم بالعربية: سأراكم أو وفداً منكم مساءً بدار الضيافة بعد صلاة العشاء.

وعندما وصلنا الدار قال لي: لقد توهّموا أنني من يهود فلسطين، أو ظنوا أني مبعوث «ابن غوريون» إليهم، يريدون أن يعرفوا المزيد عن دولة «إسرائيل» المرتقبة، ولا يريدون أن تكون أو أحد رجال الدولة حاضراً معي عندما يأتون لزيارتي، فدعنا نطلع على ما لديهم، إن اليهود خطرون ومتعاونون ومتواصلون، والعرب نائمون، وكأني بفلسطين وقد ضاعت، وملكها اليهود، وتوافدوا عليها من جميع أنحاء العالم، وهاجر حتى يهود اليمن إليها ! قلتُ: هذا خيال؛ كيف يتركون اليمن، ولهم فيها ألفا عام؟ قال: سترى !

وفي المساء وصل لزيارته أربعة من اليهود، وجلس معهم ساعة، وبعد أن تركوه حكى لي ما دار بينهم، وأنهم على صلة بالمنظمة اليهودية العالمية، ويساهمون بما يقدرون عليه في تموينها، لأن ذلك من واجباتهم المقدسة، لكي يُنشئوا «دولة إسرائيل»، وأنهم ينتظرون الإشارة من «ابن غوريون» ليهاجروا غير مبالين بأموالهم وبيوتهم، ولا يخافون من أي مصير هناك !

ثم قال: على الإمام وعلى حكومة اليمن مثلما على كل زعماء وملوك العرب والمسلمين وحكامهم أن يستيقظوا لما يُحاك ويدبر ضد فلسطين، وإذا كان وعي التضحية، والشعور بالمسؤولية قد بلغ إلى هذا الحد بين يهود اليمن الجهّال الفقراء؛ فكيف بيهود مصر والشام والعراق وإيران ! وكيف بيهود أوروبا وروسيا وأمريكا؟!» [رياح التغيير في اليمن، لمحمد أحمد الشامي، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء].

ولست أدري لِمَ لم يلفت هذا الذي قاله الشامي نظره، ولِمَ لم يتعمق في المسألة التي جاءت عرضاً في كلامه، ولو كان الشامي يعرف العبرية لاكتشف أن أحمد فخري ليس كما صور نفسه، بل هو يهودي يحمل إلى يهود اليمن رسالة، ولم يكتف بتبليغهم إياها في «كنيس» اليهود، بل زاره بعد ذلك أربعة منهم لمزيد من التباحث معهم حول ما يهمهم من قضايا.

ليس على أحمد فخري حرج في أن يتحدث بالعبرية، فغير اليهود يمكن أن يتعلموها، ويتحدثوا بها، أما أن يتلو التوراة كما يتلوها أهلها، فذلك لا يستساغ من غير يهودي.

لقد كان الشامي غافلاً تماماً عن ذلك الثعبان الذي حمله لمقابلة يهود «إب»، وقد حدث أحمد فخري الشامي عن مخططات اليهود، وعن هجرة يهود اليمن إلى فلسطين، وكذلك كان، ولم ينتبه الشامي إلى ما وراء أحمد فخري، لقد كان هذا الرجل ثغرة من الثغرات التي دخل منها الفساد إلى ثورة الفضيل الورتلاني في اليمن.

٥- بذلوا الأموال في شراء الأراضي في فلسطين وإقامة المدن والقرى، وشق الطرقات، وإقامة المزارع، والإنفاق على المهجرين من اليهود، وأقاموا جيشاً قوياً، وأنفقوا على تسليحه، وجاءهم المال من كل يهود العالم، بل ومن غير اليهود.

٦- بلغ التخطيط اليهودي إلى درجة تثير السخرية، فقد خططوا لبلوغ أبنائهم إلى مناصب عليا حتى في الدول الإسلامية، وقد كتب بعض المطلعين معلنين بأن عدداً من رؤساء الدول في العالم الإسلامي هم من اليهود أو من ربائبهم، وأورد هؤلاء من الحجج والبراهين والشهداء ما يجعل من الصعب على من يريد معرفة الحقيقة أن يرد ما أوردوه واستدلوا به.

٧- إقامة اليهود أعراساً حمراً لأهل فلسطين وغيرهم:

عمل اليهود بعد أن اشتدّ ساعدهم في فلسطين على إقامة أعراس حمر لبني قومي في فلسطين، لإفراغها من أهلها، ومن هذه الأعراس ما قام به اليهود في دير ياسين، وقبية، وكفر قاسم، ومخيمي صبرا وشاتيلا، والمسجد الأقصى، والمسجد الإبراهيمي في الخليل.

المطلب الثاني
دور الصليبيين في التمكين لليهود في فلسطين

في الثامن من كانون الأول عام ١٩١٧ دعا متصرف القدس التركي أعيان المدينة ورؤساء الديانة الإسلامية والمسيحية فيها إلى مقره وأبلغهم أن الدولة قررت الانسحاب من القدس بدون قتال، وذلك لتجنيب المدينة المقدسة وأهلها ويلات الحرب، ولعدم تعريض الأماكن المقدسة العظيمة فيها إلى أي أذى أو ضرر، وطلب منهم تشكيل وفد منهم لتسليم القدس إلى القوات البريطانية صباح اليوم التالي أي في ٩/ ١٢/ ١٩١٧ حيث تكون القوات العثمانية والألمانية قد أتمت انسحابها من المدينة.

وأكبر المجتمعون موقف الدولة العثمانية، وأعربوا عن شكرهم العظيم لمبادرتها النبيلة، واختاروا وفداً برئاسة رئيس البلدية لتسليم المدينة.

توجه الوفد يتقدمه شاب يرفع العلم الأبيض إلى موقع القوات البريطانية حيث تقبل أحد كبار ضباط الجيش البريطاني تحية التسليم، وعلى إثرها دخل الجيش البريطاني المدينة، وخرج أهلها عن بكرة أبيهم لاستقباله بحماس كبير، ظناً منهم أنه جيش صديقتهم بريطانيا، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن بريطانيا قد خانت عهودها ووعودها للشريف حسين، وتعهدت لليهود بإعطائهم فلسطين بموجب وعد بلفور وتمزيق الدولة العربية بموجب معاهدة «سايكس-بيكو» واقتسامها بين فرنسا وبريطانيا.

وكانت قوة من المجندين اليهود تسمى «فرقة البغالة» تشكل جزءاً لا يتجزأ من وحدات الجنرال اللنبي.

وجهت القيادة البريطانية دعوة إلى العلماء والأعيان وممثلي العشائر والقرى للاجتماع به قرب باب الخليل في المدينة، وعندما بدأ القائد خطابه قابله الحضور بالتصفيق، ولكن سرعان ما سيطر عليهم الوجوم والاستياء من الغطرسة والوقاحة واللهجة القاسية التي وردت في الخطاب، وغضبوا لعدم إشارته بكلمة واحدة إلى العرب ودورهم في إحراز النصر، وتطرق في خطابه إلى الحروب الصليبية واحتلال القدس، واختتمه بقوله: «واليوم انتهت الحروب الصليبية».

انفجر الحضور بالغضب، وانسحب مفتي القدس وغادر المكان غاضباً دون أن يصافح الجنرال اللنبي، ولحق به الكثير من الحضور، وهم يرددون عبارات الاحتجاج على ما قاله الجنرال البريطاني، والذي كشف عن تآمر بريطانيا مع اليهود وخيانتها للعرب ونكوثها بالوعود الرسمية التي أعطتها لهم.

سمع أحمد شوقي أمير الشعراء بوقاحة الجنرال اللنبي وتشبيهه احتلاله للقدس بنهاية الحروب الصليبية، فنظم قصيدته المشهورة ومطلعها:

يا فاتح القدس خل السيف ناحية - ليس الصليب حديداً كان بل خشب

المطلب الثالث

ماذا يريد اليهود بعد احتلالهم فلسطين

هل اكتفى اليهود بعد احتلالهم فلسطين، وسيطرتهم على القدس بما استولوا عليه؟ والجواب: كلا، وألف كلا.

إن فلسطين تمثل لقمة صغيرة من الغنيمة الكبرى التي يريدون أن يصلوا إليها، يريد اليهود احتلال الأردن كله، واحتلال لبنان كله، ويريدون ثلثي سوريا، وثلاثة أرباع العراق، ويريدون أن يصلوا في الجزيرة العربية إلى خيبر والمدينة المنورة، ويريدون سيناء، وجزءاً من أرض مصر، وباختصار فإنهم يقولون: «أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل».

وفي خزائن روتشلد خريطة لأرض إسرائيل تشمل بلاد الشام والعراق وبعضاً من تركيا وشمال الكويت وشمال السعودية بحيث يدخل ضمنها خيبر والمدينة المنورة، وشرقي مصر حتى النيل [لماذا نرفض السلام مع اليهود، ص٢٨].

وسياسة إسرائيل تعتمد على استيعاب ما تستلبه منا من أراضٍ، فإذا امتلأت تلك الديار تطلعت إلى افتراس المزيد، وهكذا دواليك.

وإسرائيل حتى تنجح في مخططها في استيعاب بلادنا، تريدنا أن نبقى ضعفاء مختلفين على مر السنين، يقول مناحيم بيغن لشعبه: «أنتم الإسرائيليون لا يجب أن تشعروا بالشفقة حتى تقضوا على عدوكم، لا عطف ولا رثاء، حتى ننتهي من إبادة ما يسمى بالحضارة الإسلامية، التي سنبني على أنقضاها حضارتنا» [لورنس العرب على خطا هرتزل، لزهدي الفاتح، ص١٨].

ويريدون أن يصبح الوطن العربي والإسلامي سوقاً لمنتجاتهم، يصدرون إليها مصنوعاتهم، ليزيدوا ثرواتهم، ويزدادوا علواً.

المطلب الرابع
الأسباب التي أدت إلى غلبة اليهود وانتصارهم

بينت فيما سبق الجهود التي قام بها اليهود لاغتصاب فلسطين، وهذه الجهود تشكل سبباً قوياً أدى إلى تغلب اليهود الغاصبين.

وهناك أسباب أخرى أدت إلى غلبة اليهود، وهزيمة المسلمين، منها:

١- ضعف المسلمين، وتفرقهم واختلافهم، والأمة الضعيفة المتفرقة لا تستطيع أن تنجو من مخالب أعدائها، ولا تدفع العاديات عنها، فقواها تهدر هنا وهناك، ويصبح بأسها بينها شديداً، وتصرف خيراتها في جوانب ليس فيها نفع.

٢- احتلال أعداء الأمة الإسلامية لديارها، وتسلطهم عليها، فقد اجتاحت الدول الصليبية الديار الإسلامية، وهيمنت على العالم الإسلامي، فبريطانيا احتلت مصر والأردن والعراق، وفرنسا احتلت سوريا والجزائر وتونس والمغرب، وإيطاليا احتلت ليبيا، وقد حاربت هذه الدول المعتدية الثائرين، ونهبوا خيراتنا، ومنعوا المسلمين من نصرة أهل فلسطين.

٣- انتشار العلمانية والإلحاد والكفر في ديار الإسلام، وقيام الأحزاب التي تحارب الله ورسوله، وتتولى الذين كفروا، وشغل هؤلاء الأمة بالتوافه من الأمور.

٤- ضعف حكام المسلمين، وتهاونهم في حماية ديارهم وبلادهم، وارتهان علاقاتهم الخارجية بالدول المعادية للإسلام، وضعف القوة العسكرية التي يملكونها.



المبحث الثاني
الجهود التي بذلها المسلمون في مواجهة اليهود الغاصبين

بذل أهل فلسطين وغيرهم من العرب والمسلمين جهوداً هائلة للوقوف في وجه بريطانيا التي كانت تعمل لتهيئة فلسطين لتصبح وطناً لليهود، وقاومت اليهود الذي كانت ترعاهم بريطانيا على أرض فلسطين، ويمكننا تلخيص الجهود الإسلامية تجاه اليهود الغاصبين لفلسطين فيما يأتي:

المطلب الأول
الموقف المشرف للسلطان عبدالحميد والدولة العثمانية

أول موقف إسلامي واضح كان موقف السلطان عبدالحميد، فقد ساومه اليهود كثيراً ليأذن لهم باحتلال فلسطين، وجعلها دولة يهودية، فأبى كل الإباء، فعرضوا عليه من المال ما يكفي لإنهاء مشكلات الدولة العثمانية، وسداد ديونها، وتفريج أزماتها، وكان الثمن الذي دفعه السلطان من جراء موقفه هذا هو عزله عن عرشه، وضياع دولته، وتسنَّم اليهود سدّة الحكم في تركيا.

وسأدع السيد أورخان محمد علي يحكي لنا موقف السلطان عبدالحميد وموقف الدولة العثمانية مما عرضه اليهود على تركيا من إغراءات كي تعطى فلسطين لليهود، قال:

«لما كانت فلسطين تقع ضمن أملاك الدولة العثمانية، فقد اتجهت أنظار ومحاولات زعماء اليهود إلى السلطان عبدالحميد لعله يوافق على مقترح من مقترحاتهم العديدة لتشكيل نواة صغيرة في فلسطين أو فيما يجاورها كخطوة أولى تتبعها خطوات أخرى للوصول إلى الهدف النهائي.

ولم يكن هيرتزل أول من بذل مساعيه لدى السلطان في هذا الموضوع، وإن كان هو الشخصية البارزة والنشطة في هذه المحاولات، فقد أرسلت جمعية «أحباء صهيون»[١] أحد أعضائها وهو «لورنس أوليفانت Laurence Oliphant» صاحب كتاب «أرض جلعاد The Land of Gilead»[٢] وكتاب «مع نزهات في جبل لبنان» إلى السلطان تعرض عليه جهود اليهود في تعمير تركيا وتجديد شبابها مقابل السماح لهم بالاستيطان في أراض في شرق الأردن وسوريا الجنوبية، فرُفض الطلب من قِبَل السلطان الذي كان يحدس المرامي الحقيقية لليهود قائلاً:

«إن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين، لأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين، ولكنها ترفض مساعدة اليهود في إقامة مملكة لهم في فلسطين أساسها الدين»[٣].

تقدم المصرفي اليهودي المعروف بالسير صموئيل مونتاجو - أصبح لورداً فيما بعد - وكان عضواً في البرلمان البريطاني عن حزب الأحرار ورئيساً لجمعية «أحباء صهيون» في بريطانيا إلى السلطان باقتراح مشابه سنة ١٨٩٣ فرفض طلبه كذلك[٤].

ولكن هرتزل كان - دون شك - أبرز شخصية آنذاك في مجال السعي لإقامة الدولة الصهيونية، وأنشط الساعين إليها، فقد كتب كتاباً بعنوان «الدولة اليهودية» عام ١٨٩٥ ونشره عام ١٨٩٦ وكان له تأثير كبير وصدى واسع في أوساط اليهود، كما نجح في عقد مؤتمر صهيوني عام ١٨٩٧، وقد بذل جهوداً كبيرة لاستمالة السلطان إليه، وأرسل له رسائل عديدة ومشاريع مختلفة حافلة بالعروض المغرية

---

(١) أحباء صهيون: مؤسسة يهودية أنشئت في روسيا عام ١٨٨٢. عملت على إنشاء المستعمرات في فلسطين لتهجير اليهود إليها، انضم معظم أعضائها إلى المنظمة الصهيونية العالمية عند إنشائها. انظر إلى «يوميات هرتزل» الملحق صفحة ٥٠٣.

(٢) أرض جلعاد: تقع في شرقي الأردن.

(٣) انظر إلى: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص٥٨.

(٤) انظر إلى: يوميات هرتزل، الملحق ص٥٤٢.

مقابل تحقيق أمله في تثبيت قدم اليهود في جزء من فلسطين، وزار استانبول في الفترة من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٩٠٢ خمس مرات، استطاع أن يقابل السلطان في أثنائها مرتين.

كانت زيارته الأولى في ١٨٩٦، والثانية في ١٨٩٨، والثالثة في ١٩٠١، والرابعة والخامسة في ١٩٠٢.

تحدث هرتزل عن زيارته الأولى في ٣/ ٥/ ١٨٩٦ في يومياته فقال:

«زارني ديونس روزنفيلد رئيس تحرير «البريد العثماني» في القسطنطينية، وعرض عليّ خدماته بالتوسط، يقول: إنه على علاقة طيبة مع عزت بك الرجل المقرب من السلطان، فأخبرته بكلمات قليلة عن القضية، وقلت له: إننا سندفع لتركيا كثيراً، وسنقدم عطايا كبيرة لمن يتوسط لنا إن نحن حصلنا على فلسطين، ونحن لا نرضى بأقل من التنازل عنها كبلد مستقل، ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركيا المالية»[1].

ثم عرض عليه صديقه «نيولنسكي» أن يلوح بإغراء آخر للسلطان، وهو مساعدته في المسألة الأرمنية التي كان الرأي العام الأوروبي ثائراً على السلطان بسببها، لذا نراه يسجل في ٧/ ٥/ ١٨٩٦ من يومياته: «... ولكن هناك طريقة أخرى يمكن أن تؤثر على السلطان بها، وهي مساندته في قضية الأرمن»[2].

أما رفيقه «نيولنسكي» الذي كان صديقاً للسلطان، فقد رتب لقاءً مع السلطان نقل فيه مقترحات هرتزل، فكان جواب السلطان كما سجل هرتزل في يومياته ما يلي على لسان صديقه:

---

(١) المصدر السابق، ص٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩.

«قال السلطان لي: إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي، فانصحه أن لا يسير أبداً في هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي، بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيها بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا، لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سوريا وفي فلسطين، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر، لأن أحداً منهم لم يرض بالاستسلام، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال، الإمبراطورية التركية ليست لي، وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبداً أن أعطي أي جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان»[1].

ومع أن هذا الجواب كان شديداً على هرتزل، إلا أنه لم يكن من النوع الذي يفقد أمله بسرعة، إذ بدأ بالبحث عن إغراء جديد يستطيع أن يلوح به، ويستميل به قلب السلطان، فأضاف اقتراح إعادة جزيرة قبرص من إنكلترا إلى الدولة العثمانية إضافة إلى عرض خدماته في القضية الأرمنية مع مبلغ إضافي من المال ينقذ الموقف المالي الحرج للدولة العثمانية.

وبقي الأمل الضئيل قائماً لدى هرتزل مما دفعه إلى مزيد من المحاولات مع السلطان، وهذا ما كان السلطان يريد الوصول إليه.

اتجه هرتزل إلى استانبول في زيارته الثانية في ١٤/ ١٠/ ١٨٩٨ بمناسبة زيارة قيصر ألمانيا للدولة العثمانية، وذلك على أمل التأثير على القيصر للتوسط لدى

(١) المصدر السابق، ص٣٥. ونحن نشك أن السلطان استعمل تعبير «الإمبراطورية التركية» ولعل هذا سهو في النقل من نيولنسكي ومعروف أن كلمة «التركي» كانت تعني «المسلم» آنذاك في العالم الغربي.

السلطان لصالح القضية الصهيونية، ولكنه لم ينجح في هذا المسعى مع أنه بذل جهوداً كبيرة إذ لم يعده القيصر بأي شيء فرجع خائباً.

لم يفقد هرتزل الأمل، وواصل جهوده واتصالاته لعله يفوز بمقابلة السلطان وقد نجح في ذلك سنة ١٩٠١ بوساطة صديقه المستشرق الهنغاري «فامبيري» الذي كان صديقاً شخصياً للسلطان، فشد الرحال على عجل إلى استانبول، وكانت تلك زيارته الثالثة لها، وقد نبهه صديقه «فامبيري» إلى أن السلطان سيستقبله «ولكن ليس كصهيوني، بل كرئيس لليهود وصحافي نافذ»[١] وطلب إليه أن يكون حذراً جداً في المقابلة، لأن السلطان يكره الصهيونية، وقال له: «إياك أن تحدثه عن الصهيونية، إنها فانوس سحري، القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة»[٢].

تمت المقابلة واستغرقت ساعتين تقريباً، حرص السلطان خلالها أن يكون مستمعاً هادئاً معظم الوقت، تاركاً هرتزل يسترسل في تقديم مشاريعه وحلوله لمشاكل الدولة العثمانية المالية، لا سيما في موضوع «الدَّيْن العام»، ثم أشار السلطان إلى الثروات غير المستغلة في بلاده، وطلب منه تقديم دراسة وافية عن كيفية استغلال هذه الثروات، وإيجاد موارد جديدة للدولة، ولم يتطرق هرتزل إلى مشاريعه في فلسطين، وإلى طلباته ومقترحاته في هذا الخصوص، وإنما طلب - وهو على وشك الانصراف - تصريح عطف لصالح اليهود، وهو ما لم يعد به السلطان ولم يفعله، فهو مع تسامحه مع اليهود - شأنه في ذلك مع أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى - إلا أنه كان يكره الصهيونيين، ويراهم خطراً على مستقبل بلاده، لذا نراه يقول لهرتزل في بداية اللقاء:

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٢.

إنه حافظ دائماً على إبقاء إمبراطوريته مفتوحة أمام اللاجئين اليهود كملجأ لهم حين اضطهدوا في بعض البلدان الأوروبية[1]، وانتهت المقابلة دون أن يحصل هرتزل على شيء.

في زيارته الرابعة التي تمت في ١٥/ ٥/ ١٩٠٢ لم يستطع مقابلة السلطان، بل قابل بعض موظفي القصر أمثال إبراهيم بك وعزت بك اللذين حاسباه على بعض تصريحاته في أوروبا وعلى عدم تحقيقه أياً من وعوده ومشاريعه السابقة، وكررا له موقف السلطان من هجرة اليهود، وقال له عزت بك:

«إن جلالة السلطان مستعد أن يفتح إمبراطوريته أمام اللاجئين اليهود من جميع الدول بشرط أن يتعهدوا بأن يصبحوا رعايا عثمانيين بكل ما يفرضه ذلك عليهم من واجبات من حيث القانون والخدمة العسكرية، عليهم قبل أن يدخلوا بلادنا أن يتخلوا عن جنسياتهم السابقة، ويصبحوا رعايا عثمانيين، بهذه الطريقة يستطيعون سكن أية مقاطعة في البلاد عدا فلسطين بادئ الأمر..، مقابل ذلك يريدكم جلالة السلطان أن تؤلفوا وكالة لتصفية الدَّيْن العام وللقيام باستثمار مناجم معادن الإمبراطورية كلها»[2].

ومع أن هرتزل حاول حذف شرط استثناء سكنى اليهود في فلسطين في مذكرة قدمها للسلطان، إلا أن الجواب جاء بالرفض، وبقي الاستثناء قائماً مما كان يعني فشله مرة أخرى.

ومع أنه ترك استانبول غاضباً محنقاً، إلا أنه واصل مراسلاته لحاشية السلطان ورجال قصره، مكرراً طلباته السابقة شارحاً منافعها للدولة العثمانية مضيفاً إليها

(١) المصدر السابق، ص١٧٣-١٧٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٩٦-١٩٧.

بعض الإغراءات المالية التي لم تؤد إلى أية نتيجة لدى السلطان، بل أعلن غضبه عليه وقطع اتصاله به[1].

ولكن هرتزل الذي لم ييأس من إعراض السلطان عنه، بدأ يفكر في عرض آخر، فقد جرب عرض المال، وعرض المساعدة في القضية الأرمنية، وعرض إرجاع قبرص، فلم تفلح هذه العروض، إذن أليس من جديد؟ خطرت له فكرة جديدة شرحها للسلطان في رسالة كتبها له في ٣/ ٥/ ١٩٠٢:

«لي الشرف أن أقدم لحكمة جلالتكم المتناهية الاقتراح التالي: إنني أدرك الصعوبة التي تواجه حكومتكم بسبب ذهاب شباب تركيا لتلقي العلم في الخارج، وما يتعرض له هؤلاء الشبان من ضياع، خاصة في تأثرهم بالأفكار الثورية مما يجعل الحكومة أمام أحد أمرين: إما أن تحرم هؤلاء من التدريب العلمي أو أن تعرضهم إلى مخاطر الغوايات السياسية، على أن هناك حلاً للمشكلة، وأنا أسمح لنفسي بكل تواضع أن أقدم لحكمة جلالتكم هذا الحل:

إننا معشر اليهود نلعب دوراً مهماً في الحياة الجامعية في جميع أنحاء العالم، والأساتذة اليهود يملؤون جامعات البلدان، كما أن هناك عدداً كبيراً من العلماء والمتخصصين في جميع الحقول التعليمية، لهذا فإننا نستطيع أن نقيم جامعة يهودية في إمبراطوريتكم، ولتكن في القدس[2] مثلاً، عندها لن يضطر الطلاب العثمانيون إلى الذهاب إلى الخارج، بل يبقون في بلادهم، ويتلقون فيها أفضل التدريب وهم ضمن أحكام بلدهم، والجامعة اليهودية تقوم بتقديم أفضل ما تقدمه أحسن الجامعات ومدارس التدريب المهني ومدارس الزراعة، ولن تقدم مثل هذه المؤسسة إلا ما هو الأفضل، وعندها تقوم بدورها في خدمة العلم والطلاب والبلاد»[3].

(١) المصدر السابق، ص١٩٩-٢١٣.
(٢) أقام اليهود فعلاً هذه الجامعة سنة ١٩٢٥.
(٣) المصدر السابق، ص٢١٣-٢١٤.

إذن فقد كان هرتزل ينوي الضرب على وتر قيل: إنه حساس جداً لدى السلطان الذي أشيع عنه أنه ذو وسوسة دائمة وخوف مستمر على حياته وعلى حكمه، ولكن السلطان خيّب ظنه في هذا أيضاً، إذ أرسل إليه جواباً بوساطة عزت بك قال فيه: إن الإمبراطورية العثمانية مشغولة في الوقت الحاضر بإصلاح الحالة المالية للخزينة، وهكذا رجع هرتزل خائباً مرة أخرى.

كانت الزيارة الأخيرة لهرتزل لاستانبول في ١٩٠٢/٧/٢٥ بدعوة من السلطان الذي قرر أن يلعب بورقة هرتزل، لأنه كان على وشك الدخول في مفاوضات مالية مع فرنسا.

في هذه الزيارة التي قابل فيها السلطان قدم مقترحه بالسماح لليهود باستعمار العراق مضافاً إليها حيفا وضواحيها، أي بقي متمسكاً بطلبه في استقطاع جزء من فلسطين، كما هاجم مشروع الوزير الفرنسي «روفيه» وهو مشروع إقراض لتركيا، لأنه كان يعلم أن ذلك المشروع لو تحقق فستقل الحاجة إليه وإلى مشاريعه، بينما كان هدف السلطان استعمال هرتزل وزيارته كورقة في يده في المفاوضات المالية التي كان يزمع دخولها، وقد عرض هرتزل في هذه الزيارة دفع مبلغ يزيد عن ثلاثين مليوناً من الجنيهات الذهبية، وهو مبلغ ضخم آنذاك إذا أخذنا القوة الشرائية له في الحسبان، كما اقترح على السلطان إصدار تصريح عطف على اليهود:

«وأضفت قائلاً: إذا تفضلتم يا صاحب الجلالة مثلاً بأن تعلنوا يوم عيد ميلادكم المقبل عطفكم على الشعب اليهودي في وقت التلغراف والمواصلات السريعة اليوم فسيكون لهذا الإعلان رد فعل سريع ومهم في جميع أنحاء العالم، وسيكون فيه إشارة تجذب المواهب والأموال والصناعة وأنواعاً من المشاريع، لن نستفيد من هذا مقاطعتنا العراق وحيفا وضواحيها فحسب، بل جميع الإمبراطورية العثمانية»[1].

(١) المصدر السابق، ص٢٣٢.

ولم يقطع السلطان أي وعد له، بل أحاله إلى الصدر الأعظم، وعندما بدأ هرتزل حواره مع الصدر الأعظم ومع رجال القصر سمع نفس الرأي السابق وبإصرار: «يمكن للإسرائيليين أن يقبلوا ويستقروا في الإمبراطورية العثمانية شرط أن لا يكونوا جميعاً في مكان واحد، بل يفرقوا في أماكن تعينها لهم الحكومة، وشرط أن يقرر عددهم مسبقاً من قِبَل الحكومة، وسيعطون الجنسية العثمانية، ويسألون عن جميع الضرائب المدنية بما فيها الخدمة العسكرية، كما سيكونون خاضعين لجميع قوانين البلاد كالأتراك تماماً»[١].

أي أن السلطان لم يكن يعد بأي شيء ولم يكن يحدد أو يعين حتى أي أرض قريبة من فلسطين ولا يحدد أي رقم محدد لقبول المهاجرين، فكل هذه الأمور ستكون في قبضته وتحت إرادته.

وهكذا غادر هرتزل استانبول في ٢/ ٨/ ١٩٠٢ خائباً، لم يحقق شيئاً طيلة سنوات عدة من المحاولات والجهود، وبعد أن استنفد كل أنواع الإغراءات، وكتب في يومياته وهو يغادر استانبول غاضباً: «وها أنا قد خلصت مرة ثانية من جبّ القتلة وبلاد اللصوص»[٢]. و«بعد تقديم التحيات تركت جب علي بابا والأربعين حرامياً»[٣].

والشيء الذي يلفت النظر حقاً هو أن السلطان عبدالحميد شعر بالخطر قبل الجميع... ، شعر به حتى قبل ظهور هذا الخطر على السطح، وتبلوره في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٦، بل حتى قبل قيام هرتزل بكتابة كتابه المعروف «الدولة اليهودية» عام ١٨٩٥، إذ كان يرصد جميع التيارات الفكرية والسياسية في أوروبا بدقة، والدليل على ذلك نلمسه في «الفرمانات» الثلاثة المتعاقبة التي أصدرها سنة ١٨٩١ ومنع بموجبها هجرة اليهود إلى فلسطين، وقيد وحدد زياراتهم إلى

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣٦.
(٢) المصدر السابق، ص٢٣٦.
(٣) المصدر السابق، ص٢٣٦.

القدس، أي أنه أحس بالخطر الصهيوني قبل ظهور هرتزل على مسرح الأحداث، وفهم المرامي البعيدة لرغبة اليهود في الهجرة إلى فلسطين: لنستعرض هذه الفرمانات التي توجد نسخة مكتوبة منها بخط يد السلطان نفسه والتي كتبها في ٢١، ٢٨، ٢٩ من ذي القعدة لسنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م.

الفرمان الأول: إن قبول الذين طردوا من كل مكان، في الممالك العثمانية سيؤدي في المستقبل إلى تشكيل حكومة موسوية، لذا فإن إجراء هذه المعاملات غير جائز، وبخاصة أن الممالك الشاهانية ليست من قبيل الأراضي الخالية والمتروكة، ولما كان من المفروض إرسال هؤلاء إلى أمريكا، لذا فلا يقبل هؤلاء ولا أمثالهم، بل يجب وضعهم في السفن فوراً لإرسالهم إلى أمريكا، وأن يتخذ مجلس الوزراء قراراً قطعياً بخصوص تفاصيل هذا الأمر وعرضه علينا، إذ ما الداعي لقبول من طردهم الأوروبيون المتمدنون، ولم يقبلوهم في ديارهم، وفضلاً عن ذلك فإن هناك دسائس كثيرة، لذا فإن هذا الأمر غير جائز على الإطلاق.

وبناءً على ذلك، وحتى لا يبقى هناك أي مجال بعد الآن لأية معروضات أخرى في هذا الخصوص، تعاد هذه المذكرة للصدارة العظمى لاتخاذ قرار عام في هذا الموضوع.

الفرمان الثاني: بعد سبعة أيام من الفرمان الأول أصدر السلطان هذا الفرمان: «إلى اللجنة العسكرية للمعية السنيّة: إن قبول هؤلاء الموسويين وإسكانهم أو إعطائهم حق المواطنة شيء ضار جداً، فقد يتولد عن هذا في المستقبل مسألة حكومة موسوية، لذا يجب عدم قبولهم، وأن يؤخذ هذا في الحسبان عند عرض المسألة، وأن يعرض هذا القرار بسرعة هذا اليوم، وأن تعطى المعلومات للصدارة العظمى من السكرتارية الخاصة».

الفرمان الثالث: بعد يوم واحد من الفرمان الثاني أصدر السلطان هذا الفرمان: «لا يحق لأية دولة أن تعترض على عدم قبولنا الموسويين الذين طردتهم

دولة متمدنة، ولم تقبلهم الدول المتمدنة الأخرى، وهؤلاء الذين يحتجون ويعترضون علينا كان الأحرى بهم الاحتجاج على الدول التي طردتهم ورفضت قبولهم.

وبناءً عليه فإن هؤلاء الموسويين لو أسكنوا في أي مكان (من أجزاء الإمبراطورية) فإنهم سوف يتسللون إلى فلسطين شيئاً فشيئاً مهما اتُّخذت من تدابير، وسيسعون لتشكيل حكومة موسوية بتشجيع وحماية الدول الأوروبية، ولن يعمل هؤلاء في الزراعة والفلاحة، بل سيحاولون الإضرار بالأهالي كما فعلوا في البلدان التي طُردوا منها، وما دام هؤلاء كانوا بصدد الهجرة إلى أمريكا، إذن فإن من المناسب أن يهاجروا إلى هناك، ونرى وجوب المذاكرة بشكل مفصل في هذا الموضوع في اللجنة العسكرية»[١].

وهذا الفرمان - أي الأمر السلطاني - يشير إلى الوعي الكامل للسلطان، وفيه تحديد للهدف الحقيقي من هجرة اليهود في تلك السنوات المبكرة التي لم تكن الدعوة الصهيونية قد بدأت فعاليتها ونشاطها، فنراه يقرر أن غاية اليهود هي تشكيل حكومة موسوية (يهودية) في فلسطين بتشجيع وحماية الدول الأوروبية، وهو ما حدث فعلاً فيما بعد - كما هو معلوم - وإنهم إن أسكنوا في أي جزء من الإمبراطورية العثمانية فيتسللون إلى فلسطين، وأنهم لن يعملوا في الزراعة بل يقومون بالإضرار، أي سيقومون بأعمال الإقراض بالربا ومص دماء المحتاجين.

التعليمات التي سنّها السلطان لضمان عدم مكث اليهود في فلسطين:

زيادة في الحيطة نراه يسن القوانين ويصدر التعليمات التي تضمن عدم بقاء اليهود في القدس بعد إكمال زيارتهم لها، ويتخذ التدابير اللازمة في هذا الخصوص، وندرج أدناه التعليمات التي أصدرها السلطان حول زيارة اليهود لمدينة القدس سنة ١٩٠٠ تأكيداً للتعليمات التي سبق وأن أصدرها سنة ١٨٨٧.

(١) انظر: Mart Faciasi صفحة ٤٣-٤٥.

المادة الأولى: «لا بد للموسويين - سواءً أكانوا من رعايا الدولة العلية أو من الممالك الأجنبية - الذين يذهبون لفلسطين لأجل الزيارة أن يحملوا معهم تذكرة مرور - أو جواز سفر - تتضمن صفة وغاية السياحة وتابعية حاملها».

المادة الثانية: «على جميع هؤلاء الزوار الموسويين الذين يصلون إلى ولاية بيروت أو إلى أي ميناء من موانئ ولاية القدس الشريف إيداع تذاكر مرورهم أو جوازات سفرهم لدى موظف الجوازات، والحصول - مقابل قرش واحد - على تذكرة زيارة أو إقامة مؤقتة لمدة ثلاثة أشهر في فلسطين، ولتيسير تمييز هذه التذاكر عن غيرها يجب أن تكون بلون وشكل متميز، ويجب إبراز هذه التذكرة لموظفي الدولة وللشرطة عند الطلب في أثناء السياحة أو الإقامة، ويُخرج بقوة الشرطة أو بوساطة قنصل الحكومة المنتسب إليها كل من يتجاوز هذه الأشهر الثلاثة».

المادة الثالثة: «يجب تنظيم قائمة بمندرجات وتواريخ تذاكر الإقامة المؤقتة للزوار الموسويين المذكورة في المادة السابقة، وتنظم هذه القوائم في نهاية كل شهر، ليتسنى إخراج الذين يتجاوزون هذه المدة، وكذلك معاقبة الموظفين الذين يتهاونون في هذا الخصوص».

المادة الرابعة: «إذا ظهرت في الجداول المنظمة لأمور السياحة والإقامة أية مخالفة لدى الزوار الذين يكملون المدة المسموحة لإقامتهم أو سياحتهم، ويتركون أرض فلسطين أو يأتون ميناء بيروت لركوب البواخر أو ينهون مدة إقامتهم، أو الذين يُزوّدون بوثائق المرور ووثائق الإقامة، فيجب اتخاذ إجراءات حازمة ضد المخالفين وضد الموظفين المسؤولين عن تطبيق هذه التعليمات»[1].

ورغم هذا الحرص الكبير للسلطان على منع اليهود من التسلل إلى فلسطين إلا أن الفساد الإداري المتفشي في الدولة والذي حاول السلطان أن يقضي عليه فلم

---

(١) انظر: Yahudiler Dunyayi Nasil Istila Ediyor Lar?، ص٤٦-٤٨.

يفلح في التقليل منه، لأنه كان إرث مئات من سنين التدهور والانحطاط، ولم يكن بوسع أي حاكم مهما أوتي من قوة القضاء عليه تماماً، هذا الفساد الإداري ساعد اليهود على اختراق هذه القوانين في بعض الأحيان والتسلل إلى فلسطين بفضل الرشاوي التي كانوا يقدمونها للموظفين.

كما أن الدول الأوروبية قامت بدور كبير في هذا المجال، فكانت تقوم بتزوير الوثائق وتموه على السلطات العثمانية هوية اليهود من رعاياها الراغبين في زيارة فلسطين، ومن ثم الإقامة فيها، إضافة إلى استعمال كل أنواع الضغوط السياسية على الدولة العثمانية لقبول هؤلاء المهاجرين.

وكانت إنكلترا وفرنسا وأمريكا في مقدمة الدول المساندة لهجرة اليهود إلى فلسطين، ومع ذلك فإن عدد اليهود الذين استطاعوا التسلل إلى فلسطين طيلة سنوات حكم السلطان عبدالحميد لم يتجاوز الخمسين ألفاً، علماً بأن نصف هذا العدد اضطر بعد مدة من إقامته في فلسطين إلى العودة إلى بلاده نتيجة للمضايقات العديدة التي كانوا يلقونها من الإدارة العثمانية التي كانت تلاحق هؤلاء المتسللين، لأن المشكلة بالنسبة للمهاجرين اليهود لم تكن تنتهي بالوصول إلى فلسطين، بل إن البقاء والاستقرار والتهرب من ملاحقة الإدارة العثمانية كانت مشكلة كبيرة بالنسبة إليهم مما حدا بنصف هؤلاء المهاجرين إلى تركها والعودة إلى بلادهم - كما قلنا آنفاً - أي أن عدد المهاجرين اليهود في عهد السلطان الذين استقروا في مناطق مختلفة من فلسطين بلغ (٢٥) ألفاً فقط طيلة أكثر من ثلاثين سنة، وهو عدد ضئيل لم يكن يؤثر على الوضع السكاني تأثيراً يذكر.

ولكن العهد الذهبي لليهود في موضوع الهجرة بدأ بعد عزل السلطان عبدالحميد ومجيء الاتحاديين إلى السلطة، لأنهم كانوا على علاقة وثيقة بالحركة اليهودية وبالحركة الماسونية العالمية، ويمكن القول بكل اطمئنان أن عزل السلطان عبدالحميد لم يكن إلا مؤامرة يهودية استهدفت إقصاءه عن الحكم بعد أن فشلت

جميع المساعي والإغراءات في تغيير موقفه الصلب تجاه أطماعهم[1] [السلطان عبدالحميد الثاني: حياته وأحداث عهده: ص٢٤٨-٢٦٢].

إنكم لو دفعتم مال الدنيا ذهباً فلن نعطيكم فلسطين:

وقد أظهر السلطان عبدالحميد موقفه مما عرضه عليه اليهود في الرسالة الجوابية التي أرسل بها السلطان من معتقله إلى أبي الشامات، وفيها يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة[2].

بعد تقديم احترامي، أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي: إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً، وأعرض أنني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة، والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

---

(١) نحيل القراء الذين يرغبون الاطلاع على مزيد من التفاصيل في هذا الموضوع إلى كتاب «موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩٧-١٩٠٩)» للأستاذ حسّان علي حلاّق.

(٢) هذه الفقرة من كلام السلطان عبدالحميد تدلُّ على خلل واضح فيما كان عليه السلطان تجاه شيخه، فالشيخ لا يجوز بحال أن يكون مفيض الروح والحياة، ومفيض الروح والحياة على الحقيقة هو الله سبحانه، رحم الله عبدالحميد وغفر له.

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون تورك» وتهديدهم اضطررت، وأجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين)، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

وأخيراً وعدوا بتقديم «١٥٠» مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي:

إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلن أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف الأخير.

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين.

وقد كان بعد ذلك ما كان، ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال. وأعتقد أن ما عرضته كافٍ في هذا الموضوع المهم، وبه أختم رسالتي. [مقدمة حكومة العالم الخفية، ص٢٤٥].

وقد أطلت في توضيح موقف السلطان عبدالحميد والدولة العثمانية لأمرين:

الأول: إبراز هذا الموقف الرائع المشرف الذي وقفه السلطان من مؤامرات اليهود لامتلاك فلسطين وإقامة دولتهم فيها، وذلك قبل أن تقوم الدولة، وفي ذلك إقرار بالفضل لأهل الفضل، وثناء على أصحابه، وحق علينا أن نثني على أصحاب الفضل بما قدموه، ولعل بعض أصحاب الحكم في ديارنا يقتدي ويتأسى بهذا السلطان الذي زال حكمه جراء هذا الموقف الصلب الرائع.

الثاني: الاطلاع على الإغراءات التي يقدمها اليهود لأصحاب السلطان، ولا شك أنهم قدموا مثل هذه الإغراءات لدول أمريكا وفرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول التي ساندتهم، ولكننا لم نطلع على هذه الإغراءات التي قدمها اليهود لتلك الدول.

سيطرة اليهود على سياسة الدولة بعد السلطان عبدالحميد:

بعد إسقاط السلطان العثماني عبدالحميد عام ١٩٠٩، سيطر اليهود على سياسة السلطان محمد الخامس، بينهم إيمانويل قره صو، وأسعد طوتباشي، وحسين جاهد، وغيرهم، وأداروا التيار الاتحادي، ووجهوا عام ١٩١١ دعوة سرية إلى كل من ديفيد بن غوريون، وإسحق زيفي، لزيارة تركيا، وكان اللقاء حاسماً بشأن دفع الهجرات اليهودية إلى فلسطين، وشراء الأراضي هناك.

واقترح جاويد بك اليهودي، إنشاء شركات لشراء الأراضي، وتمكن اليهوديان نسيم مازلياح ونسيم روسو، من إلغاء الجواز الأحمر الذي يعيق تدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وتم ذلك مع وصول طلعت باشا إلى رئاسة الوزراء عام ١٩١٨.

موقف الشريف حسين شبيه بموقف السلطان عبدالحميد:

عندما ظن اليهود أن الإنكليز قد يفون بوعودهم وعهودهم للشريف حسين عبر ما سمي بمراسلات (الحسين - مكماهون) سارع هؤلاء إلى الشريف حسين يعرضون عليه المال والدعم مقابل السماح لليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين.

ولكن الشريف حسين لم يكن أقل من السلطان عبدالحميد في تمسكه بأرض فلسطين وولائه لدينه الإسلامي الحنيف الذي يرفض أن يدنس أبناء القردة والخنازير الأرض المباركة التي نص اتفاق الخليفة عمر بن الخطاب وبطريرك القدس على أن لا يسكن أو يقيم اليهود على أرض فلسطين.

ودفع الشريف حسين ملكه ثمناً لرفضه عروض الصهاينة، وآثر الآخرة على الدنيا، فمات بعيداً عن أهله ووطنه وملكه.

وانتقلت فلسطين إلى الانتداب البريطاني، فنقلت الصهيونية العالمية نشاطها إلى بريطانيا وأصبح منهم الوزراء وأعضاء المجالس النيابية، وهكذا حصلوا على وعد بلفور المشهور الذي أعطاهم من جانب واحد أرض فلسطين بمن عليها من البشر.

المطلب الثاني
جهاد أهل فلسطين

من يقرأ تاريخ فلسطين المعاصر يجد أن الشعب الفلسطيني المسلم كان يعمل لقضيته من غير كلل ولا ملل، فمنذ احتلال بريطانيا بلادنا سنة ١٩١٧ أخذوا يعقدون المؤتمرات، ويقيمون الاجتماعات واللقاءات، ويؤسسون الجمعيات ويندِّدون بالإنجليز، ويقررون حقنا في فلسطين، وقام فيهم رجال عِظام أمثال موسى كاظم الحسيني الذي ظهر في فلسطين قائداً روحياً للحركة المعادية لليهود، وبقي كذلك إلى أن توفي في عام ١٩٣٤، بعد أن شارك في مظاهرة في يافا أصابه فيها ما أصابه من هراوات البوليس، وقد خلفه في جهاده الحاج أمين الحسيني الذي كان مفتياً لفلسطين منذ عام ١٩٢١، ثم أصبح رئيساً للمجلس الشرعي الأعلى في عام ١٩٢٢.

وقام أهل فلسطين بثورات كثيرة، منها ثورة النبي موسى عام ١٩٢٠ وثورة مايو ١٩٢١، وثورة البراق عام ١٩٢٩، وقد أدب المشاركون فيها اليهود، وقتل فيها عدد من اليهود.

وقام العلماء والوعاظ والقضاة بدور فاعل تجاه منع الناس من بيع الأراضي لليهود، وعقد المؤتمر الإسلامي العام الأول في عام ١٩٣١ في المسجد الأقصى برئاسة الحاج أمين الحسيني، وقد شاركت فيه وفود من دول عربية وإسلامية بلغت اثنتين وعشرين دولة، وقد تمخض المؤتمر عن قرارات تتعلق ببعض الدول العربية وأخرى تتعلق بالمؤتمر والقضية الفلسطينية.

وبرز على الساحة الفلسطينية الشيخ عز الدين القسام، واسمه عز الدين عبدالقادر مصطفى يوسف محمد القسام، وهو مولود في قرية «جبلة» قضاء اللاذقية في سوريا، وكان عالِماً أزهرياً، وقاد القسام الجهاد في بلده سوريا ضد الفرنسيين، واضطر إلى مغادرة بلده عام ١٩٢٠، واستقر في مدينة حيفا، وقد اشتغل القسام بالتدريس في المدارس، وكان إماماً لمسجد الاستقلال، ثم عمل مأذوناً شرعياً، وأسس القسام حركة سرية جهادية، وقد دخل في مؤسسته المئات، الذين تدربوا على القتال استعداداً للمعركة مع بريطانيا واليهود، وقد أعلن القسام الجهاد في عام ١٩٣٥، ودارت رحى معركة بين القسام وجنوده وبين الإنكليز، انتهت باستشهاده في غابة يعبد، وقد استمرت المعركة ست ساعات، وانتهت مع العصر.

وقد فتحت معارك القسام التي انتهت بمعركة يعبد الطريق للجهاد والاستشهاد، وقد فجر القساميون الشرارة الأولى للثورة الكبرى في فلسطين، وأعلن إضراب كبير شامل في فلسطين في ٢٠ إبريل ١٩٣٦، وظهرت المجموعات المسلحة في ذلك الوقت في القرى والجبال علناً، وأخذت العمليات الجهادية تتوالى، وبلغت خمسين عملية يومياً، وقام المجاهدون بنسف الجسور، وتخريب الطرقات، وقطع أسلاك الهاتف، ووقعت معارك كبيرة في عام ١٩٣٦ كمعركة عصيرة الشمالية، ومعركة وادي عرعرة، ومعركة بلعا، ومعركة نابلس، ومعركة بيت امرين، ونفذ المجاهدون في عام ١٩٣٦ أربعة آلاف عملية، وقتل فيها عدد كبير من اليهود والبريطانيين، واستشهد من المجاهدين وذويهم عدد كبير أيضاً.

ولم يقف الإضراب الكبير إلا بعد إصدار الملوك والحكام العرب نداءً إلى أهل فلسطين يدعونهم فيه إلى السكينة، واستجابت اللجنة العربية العليا للنداء في ١٢ أكتوبر ١٩٣٦، وقد استمر هذا الإضراب «١٧٨» يوماً أي ستة أشهر تقريباً، ولولا نداء الحكام العرب لاستمرّ الاضطراب أكثر من ذلك.

وقد استؤنفت الثورة في فلسطين في خريف ١٩٣٧، واستمرت حتى ١٩٣٩ وقدر عدد المجاهدين بعشرة آلاف مقاتل، منهم ثلاثة آلاف متفرغون للجهاد، وكانت حياتهم في الجبال.

وبرزت قيادات كثيرة في ميدان القتال أمثال: أبو إبراهيم الكبير، والشيخ عطية أحمد عوض، والشيخ يوسف أبو درة، والشيخ محمد الصالح الحمد، وعبدالرحيم الحاج محمد، وعارف عبدالرزاق، وحسن سلامة وغيرهم.

وبلغ عدد العمليات الجهادية في عام ١٩٣٧ (٥٠٦) عملية ولكنها تصاعدت حتى بلغت (٥٧٠٨) عملية في عام ١٩٣٨.

وقد شكل الثوار السلطة العليا في معظم المناطق الريفية، وأصبح قادة الثوار بمثابة الحكام الإداريين، وقد أنشؤوا محاكم ثورة للسماسرة وباعة الأراضي والمرابين، وبحلول أغسطس ١٩٣٨ كانت الإدارة الحكومية المدنية في المدن الرئيسية قد انهارت انهياراً يكاد يكون كاملاً، واستطاع المجاهدون احتلال عدة مدن رئيسية لفترات محدودة من الزمن مثل القدس القديمة، والخليل، وطبرية، وبئر السبع، وخان يونس، ووصل نفوذهم في نابلس إلى أنهم كانوا يستريحون بحرية تامة في وضح النهار بأسلحتهم الكاملة.

وبلغ عدد العمليات الجهادية في عام ١٩٣٩ إلى ٣٣١٥ عملية، وقام المجاهدون بعمليات كبرى أدت إلى سقوط عشرة آلاف قتيل من البريطانيين، وقريب من هذا العدد من اليهود.

وسعت بريطانيا بكل قوتها العظمى لاستعادة السيطرة على فلسطين، وحشدت قوات هائلة لمواجهة المجاهدين في عام ١٩٣٨، وبلغت كتائب المشاة ثماني عشرة كتيبة، وفوجين من الخيالة، وفوجاً مدرعاً، وسربين قاذفين، وسرباً مقاتلاً من المقاتلات، وسريتين مدرعتين، وقدرت عدد القوات البريطانية في تلك الفترة باثنين وأربعين ألف مقاتل بالإضافة إلى عشرين ألف شرطي، وثماني عشر ألفاً من حرس المستعمرات، وقد كان للقساميين دور فاعل في الأحداث والوقائع التي جرت على أرض فلسطين منذ عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٣٩.

وقد أحكمت بريطانيا قبضتها على الشعب الفلسطيني بعد عام ١٩٤٠ إلى عام ١٩٤٨ عندما انسحبت من فلسطين بعد أن مكّنت لليهود فيها. [هذا الملخص أكثره مستمد من كتاب «التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧-١٩٤٨»].

المطلب الثالث
ما قدمه الإسلاميون للقضية الفلسطينية

كتب الأستاذ إبراهيم طرابلسي في كتابه «الإسلاميون والقضية الفلسطينية» (ص٤٥) متحدثاً عن دور الإسلاميين في القضية الفلسطينية، فقال:

«عندما بدأت الحركة الإسلامية الحديثة بالانتشار أوائل الثلاثينات كانت المؤامرة على فلسطين قد نضجت، فالعالم الإسلامي كله تقريباً وقع فريسة الاحتلال أو الانتداب أو الوصاية بعد سقوط الخلافة وانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، والحركة الإسلامية في العالم العربي وشبه القارة الهندية جاءت بيقظة جديدة بعد هذا السقوط.

وقد كانت القضية الفلسطينية أكبر قضية سياسية عنيت بها الحركة الإسلامية في مصر، فقد استقبل المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين بالقاهرة رموز الجهاد في فلسطين، ومنذ الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ كانت القضية الفلسطينية هي شغل الحركة الإسلامية الشاغل، ونظرة إلى صحافة الإخوان المسلمين منذ ذلك التاريخ

تجدها تبرهن بجلاء على أن الخطر اليهودي كان واضحاً أمام الإسلاميين، وقد بذلوا كل ما بوسعهم من جهد من أجل توعية الناس بهذا الخطر، والإعداد المادي والنفسي لمواجهته.

نداءات ومؤتمرات:

وقد بادر الإخوان المسلمون في مصر إلى توجيه النداءات من أجل مقاطعة اليهود، ولما كان اليهود يسيطرون على أشهر المؤسسات التجارية في مصر، فقد أصدر الإخوان المسلمون قائمة بهذه المؤسسات، ودعوا الناس إلى عدم التعامل معها، ثم أصدر مكتب الإرشاد دعوة للقنوت في صلاة الفجر والوتر بالنص التالي: «اللهم غياث المستغيثين، وظهير اللاجئين، ونصير المستضعفين، انصر إخواننا أهل فلسطين، اللهم فرّج كربتهم، وأيّد قضيتهم، واخذل أعداءهم، واشدد الوطأة على من ناوأهم، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف، وارفع مقتك وغضبك عنا يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم».

وأصدر الإخوان كتاباً بعنوان «النار والدمار في فلسطين» جرى تعميمه على مناطق القطر المصري مما أدى إلى اعتقال الإمام البنا رحمه الله، ثم اغتنموا فرصة وجود عدد من رجالات العرب والمسلمين في مصر، فأقاموا مؤتمرات شعبية كبيرة كان من أبرزها مؤتمر برلماني عالمي في ٧/ ١٠/ ١٩٣٨ لنصرة فلسطين في سراي آل لطف الله بالقاهرة، حضره برلمانيون من مصر وسوريا ولبنان والعراق، وشارك فيه وفد شعبي فلسطيني، ووفود شعبية تمثل أقطار المغرب العربي والهند واليمن والصين والبوشناق واليوغسلاف، حيث كان المؤتمرون يدرسون الخطر اليهودي في فلسطين، ويعودون ليشاركوا شعوبهم هذه التوعية، إضافة إلى جمع التبرعات وشراء الأسلحة وإعداد المسلمين للجهاد دفاعاً عن فلسطين.

وفي المقابل كان رجالات الحركة الإسلامية يزورون المدن الفلسطينية لتنظيم المقاومة وتوعية الجماهير، أمثال الشيخ عبدالمعز عبدالستار، وعبدالعزيز أحمد،

وعبدالرحمن البنا، وقد أوفد الإمام البنا وكيل الإخوان وقائد جوالتهم الصاغ محمود لبيب من أجل التوفيق بين مجموعتي «الفتوة» و«النجادة»، فاعتقله الإنكليز بعد ٢٤ ساعة، وطردوه خارج البلاد. كذلك كان يُطرد أو يُعدم كل أخ كان يُضبط متلبّساً بتدريب الشباب الفلسطيني.

في عام ١٩٤٧ بلغ الاستيطان اليهودي في فلسطين مداه، وقررت هيئة الأمم المتحدة بأغلبية ثلثي الأعضاء تقسيم فلسطين، فبدأ الإخوان الإعداد العسكري بما يستدعيه ذلك من تدريب وجمع للسلاح، وعقد الإخوان في مدينة حيفا مؤتمراً في ١٧/ ١٠/ ١٩٤٧ أعلنوا فيه تصميم الإخوان في فلسطين على الدفاع عن بلادهم بشتى الوسائل، ونظم الإخوان مظاهرة ضخمة في ميدان الأوبرا بالقاهرة خطب فيها كل من: رياض الصلح، والأمير فيصل بن عبدالعزيز، وجميل مردم، وصالح حرب، وإسماعيل الأزهري وغيرهم.

وختمت بكلمة للإمام الشهيد حسن البنا قال فيها: «أيها الزعماء: إن هذا الشعب ليس هازلاً، ولكنهم جادّون، وإن كان ينقصنا اليوم السلاح فسنستخلصه من أعدائنا، وقد عاهدنا الله أن نموت كراماً أو نعيش كراماً».

وفي سوريا نظم الإخوان المسلمون مظاهرة ضخمة يوم ٣٠/ ١١/ ١٩٤٧ توجهت إلى السفارة الأميركية وحطمت أبوابها، وأحرقت العلم الأميركي، كما هوجمت في الوقت نفسه المفوضية الفرنسية والبلجيكية ومكاتب جريدة صوت الشعب الناطقة بلسان الحزب الشيوعي، لأنها أيّدت قرار تقسيم فلسطين.

بداية التحرك العسكري:

وعندما انعقد مؤتمر الجامعة العربية (أيار ١٩٤٨) في مصيف عالية لدراسة سبل إنقاذ فلسطين أرسل الإمام حسن البنا إلى المؤتمر برقية قال فيها: «إن الإخوان المسلمين على استعداد لإدخال عشرة آلاف مجاهد متطوع كدفعة أولى للقتال ضد اليهود في فلسطين»، وكان قبلها قد تقدم بطلب إلى حكومة النقراشي من أجل

السماح للإخوان بالمرابطة شمال صحراء النقب، وقد كان يدرك عجز هؤلاء عن بذل أي محاولة للدفاع عن فلسطين، لذلك فقد وجه دعوة إلى الإخوان في مصر وخارجها كي يتسللوا إلى فلسطين فرادى، وأوفد في ٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٧ كامل الشريف من أجل تنظيم المجاهدين، فاعتقله الإنكليز، ثم فرّ وتابع مهمته.

وقد تقدمت مجموعة كبيرة من الطلاب إلى السلطات المصرية كي تسمح لهم بالقيام برحلة علمية في شبه جزيرة سيناء، ومن هناك استطاعوا دخول فلسطين في شهر شباط/ فبراير ١٩٤٨، كذلك وفد إلى سوريا مائة من الإخوان المصريين، ليتلقوا تدريباً في معسكر قطنا بقيادة الأخ محمود عبده حيث كانت ظروف التدريب أفضل.

وعلى الجبهات الأخرى، بدأ الإخوان السوريون دخول فلسطين بقيادة الدكتور مصطفى السباعي (المراقب العام) ودخل إخوان الأردن بقيادة (المراقب العام) الأستاذ عبداللطيف أبو قورة، وبدأت عمليات الإخوان العسكرية ضد المستوطنات اليهودية بشكل نظامي قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بشهرين.

وقد وجه المرشد العام بصفته ممثلاً لهيئة وادي النيل العليا لإنقاذ فلسطين نداء من إذاعة القاهرة قال فيه: «ليس في العالم منذ فجر التاريخ قضية أعدل من قضية فلسطين، ولا ظلم أفدح ولا أفظع من العدوان عليها».

حل جماعة الإخوان المسلمين:

في الوقت الذي كان فيه الشباب المسلم يبذل دمه سخياً دفاعاً عن فلسطين، أصدر محمود فهمي النقراشي (رئيس الوزراء والحاكم العرفي) قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين يوم ٨ كانون الأول ١٩٤٨ بتهمة الإرهاب والعمل على قلب نظام الحكم، وذلك بضغط من سفراء الدول الكبرى التي هالها ما تعانيه مشاريعها في فلسطين من عقبات.

وقد حاول الإمام الشهيد تلافي محاذير هذا التصرف، لكن المداهمات والاعتقالات ومصادرة مراكز الجماعة وممتلكاتها، كل ذلك جعل أحد الشباب يقدم على قتل النقراشي يوم ٢٨/ ١٢/ ١٩٤٨ بسبب مواقفه المخزية إزاء القضايا الوطنية والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، فأفلت إرهاب السلطة من عقاله حيث مارست أبشع أنواع التعذيب (في ذلك الزمن) واعتقلت كل من له صلة بالجماعة سوى حسن البنا، فقد رفضوا أن يعتقلوه واستدرجوه إلى موعد في دار الشبان المسلمين حيث جرى اغتياله مساء يوم ١٢ شباط ١٩٤٩.

موقف المجاهدين بعد حل جماعتهم واغتيال مرشدهم:

وما يهمنا من هذا الاستطراد هو موقف المجاهدين على الجبهات، فقد تحاملوا على جراحهم بعد أن حلت جماعتهم واغتيل مرشدهم، وتابعوا جهادهم غير آبهين لكل ما حصل إلى أن جرى توقيع اتفاقية الهدنة، فقد اقتحم اللواء البرديني القائد الثاني للقوات المصرية في فلسطين معسكر الإخوان ليبلغ القائد كامل الشريف أن الحكومة قررت حل الجماعة، وأعرب عن مخاوفها بأن يقوم الإخوان بحركات انتقامية في الميدان، فأجابه كامل الشريف: لن يختم الإخوان جهادهم بضرب المؤمنين من إخوانهم.

ويقول مؤرخو تلك الفترة: إن اللواء فؤاد صادق القائد العام للقوات المصرية في فلسطين تلقى أمراً من الحكومة بنزع سلاح الإخوان، فلم ينفذ الطلب، وإنما اكتفى بجمع الإخوان المجاهدين في معسكر، ثم زارهم في مسجد المعسكر مواسياً، فوقف قائد المعسكر (حسن دوح) خطيباً، وأعلن أن الإخوان المسلمين سيستمرون في جهادهم رغم ما يحدث في مصر، وطلب من القائد العام عدم المس بقيادة المجاهدين وتشكيلاتهم التنظيمية، وأكد أن مجاهدي الإخوان في فلسطين سيلتزمون بآخر رسالة وردتهم من مرشدهم حيث تقول: «إنه لا شأن للمجاهدين بالحوادث التي تجري في مصر، وأنه ما دام في فلسطين يهودي واحد يقاتل فإن مهمة الإخوان لم تنته بعد».

وقد وافق اللواء صادق على مطالب الإخوان لإدراكه بأنه سوف يكون بحاجة إليهم في فترات لاحقة دفاعاً عن الجيش المصري ومواقعه، ثم جرى ترحيلهم إلى رفح حيث استيقظوا ليجدوا أن عنبر النوم قد أحيط بالأسلاك الشائكة.

لقد كان الخطر اليهودي واضحاً جداً عند الإمام البنا رحمه الله، لذلك كانت أي معركة جانبية مع أي نظام أو حزب معركة هامشية ينبغي تجاوزها من أجل التفرغ لمقاتلة اليهود، فلا بد إذن من مواجهة رأس الأفعى حتى لو كثرت حركات الذنب وضرباته على الأرض.

وقد حرص الإمام الشهيد على تأكيد هذا التوجه عندما كان يردف المجاهدين في فلسطين بالمجموعات المدربة في الوقت الذي كانت القاهرة فيه تموج بالتآمر على الجماعة، بل لقد زار المجاهدين في غزة وأدى صلاة الجمعة في خان يونس يوم ٢٠ آذار/ مارس ١٩٤٨، كما سافر إلى سوريا وزار معسكر التدريب في قطنا، ليوجّه أنظار إخوانه إلى مصدر الخطر الحقيقي على الإسلام والحركة الإسلامية.

لا .. لدخول الجيوش:

كان الإمام البنا يرى أن تدخل الدول العربية في فلسطين لن يكون مجدياً، وأنه من الأفضل دعم جهاد الشعب الفلسطيني وإطلاق الطاقات الكامنة في شعوب العالم الإسلامي في حرب عصابات طويلة الأمد ترهق اليهود وتمنعهم من الاستقرار وإقامة كيانهم، لكن الحكومات العربية وحكامها كانوا يرون غير هذا.

بعد النكبة:

بذل الإسلاميون كل ما لديهم من جهد من أجل متابعة المعركة وتحصين القرى الأمامية في الضفة الغربية لنهر الأردن، فأقام المؤتمر الإسلامي في القدس سلسلة تحصينات لحماية صمود المواطنين في هذه القرى، ولا سيما في القدس القديمة، وأقام الإخوان المصريون علاقات وطيدة مع قبائل البدو في النقب، ودفنوا كميات من السلاح تعين على استئناف المعركة والعمليات بعد انسحاب الجيوش العربية.

المبحث الثالث
عِظَم المصاب باغتصاب فلسطين

المطلب الأول
اغتصاب اليهود فلسطين من أعظم مصائب المسلمين

مرت على الأمة الإسلامية عبر تاريخها المديد خطوب كبار، ففي العهد النبوي استطاع الرسول ﷺ وأصحابه أن يثبتوا في مكة مع الأذى الشديد الذي كانت تصبّه قريش عليهم، وهاجر المستضعفون إلى المدينة المنورة، وأصبحت المدينة نقطة صغيرة في وسط بحر هائل يموج بالكفر، ولكن هذه النقطة الصغيرة أخذت بالتوسع أفقياً، وبالرسوخ في الأرض، حتى شملت الجزيرة العربية في حياة الرسول ﷺ.

وما كاد الرسول ﷺ يتوفى حتى ارتدت العرب على أدبارها، ولكن الفئة الخيّرة الصالحة التي ربّاها رسول الله ﷺ على عينه استطاعت في مدة وجيزة أن تواجه المرتدين، وتقضي عليهم قضاءً مبرماً ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وبعد القضاء على المرتدين في مدة وجيزة ساحت الجيوش الإسلامية في المشارق والمغارب، وأزالت الدول العظمى في سنوات قليلة، وغطى الإسلام في سنوات تعد بالعشرات أكثر الديار المعمورة في ذلك الزمان.

وكانت تواجه المسلمين عقبات كبرى، ولكنهم كانوا يجتازونها، ويعودون إلى سالف شأنهم، لقد وقع خلاف كبير في عهد الصحابة أدى إلى اقتتالهم، ولكن انتهى بهم الأمر إلى الاجتماع في عام الجماعة عام إحدى وأربعين للهجرة.

ولم تزل الحروب المتوالية العظيمة تهز دولة الإسلام، وكان المجاهدون الذين يحسنون القتال يحمون دولتهم، ويذيقون الأعداء البلاء أشكالاً وألواناً.

لقد قذفت أوروبا بفلذات أكبادها، عندما أرسلت بهم ليحتلوا ديار الإسلام في القدس وما حولها من الديار، وكثرت حملاتهم، وكانت كل حملة تبلغ مئات الألوف، ولكن المسلمين قاموا لهم، واستعادوا الأقصى، وقضوا على تلك الجيوش الجرارة، وأخرجوا البقية الباقية منهم، وعادوا إلى ديارهم مقبوحين.

وجاءتنا جحافل التتار تدمر خضراءنا، وتحرق مدننا وقرانا، وتبيد رجالنا ونساءَنا وأبناءَنا، ولكن الجيوش الإسلامية بقيادة قطز دمرت قوتهم، وأزالت بأسهم، وانتهى التتار، وبقيت الأمة الإسلامية ممتدة عبر الزمان، وجاءتنا في العصور الأخيرة الجيوش الغربية، واحتلت ديارنا، وأخضعتنا لبأسها، ولا يزال بأس تلك الدول يحيط بنا إلى اليوم.

وآخر البلاء الذي أصابنا وحلّ بنا أن يهود بعون من الدول الكبرى خططت ودبرت وتآمرت، فأخذت من الأمة الإسلامية درة غالية من دررها العِظام.

لقد تعاظم المكر اليهودي، وعمل في الخفاء، فإذا ببريطانيا العظمى، تنقض على فلسطين، ولا تزال تعمل بجبروتها وعظمتها حتى هيأت لليهود أن يحتلوا فلسطين، وعندما أعلن اليهود دولتهم في فلسطين سارعت الدول العظمى للاعتراف بتلك الدولة الظالمة الغاصبة، ومُكِّن لليهود أن يبنوا دولة عظيمة، وامتد المكر اليهودي حتى استولى على القدس، وعلى فلسطين كلها، وتعاظم المكر اليهودي أكثر فأكثر حتى جعل جملة من الدول العربية والإسلامية تعترف بذلك العدو الغاصب الذي احتل أقصاها ومسرى نبيّها، وأقامت معه علاقات دبلوماسية، في الوقت الذي يصب اليهود على أهل فلسطين البلاء أشكالاً وألواناً.

المطلب الثاني
محنة فلسطين لغم خطير في صرح الأقداس الإسلامية

جلى السيد محمد المكي الناصري رئيس حزب الوحدة والاستقلال المراكشي هذا المعنى في الكلمة التي قدم بها لمحاضرة الشيخ أبي الحسن الندوي في محاضرته

التي ألقاها على مدرج الجامعة السورية بدمشق في ١٩/ ١٧/ ١٣٧٠هـ الذي يوافقه ٢٣/ ٧/ ١٩٥١م وحضرها لفيف كبير من أهل دمشق، وكانت التقدمة هذه في ٢٠ ذي القعدة ١٣٧٥هـ الذي يوافقه ٢٩ حزيران/ مايو ١٩٥٦، في كتيب نشرت فيه تلك المحاضرة، وقال في تلك التقدمة:

محنة فلسطين مؤامرة واسعة النطاق ضد الإسلام والمسلمين، وهي لغم خطير في صرح الأقداس الإسلامية، إن لم تدفع بالحيلة أو بالقوة كانت بداية النهاية لجميع المقدسات الدينية، فلن يكتفي أعداء الإسلام بالوقوف عند المسجد الأقصى وما حوله من أرض طيبة مباركة، ما دام لا يرضي حقدهم ولا يشفي غيظهم إلا هدف أبعد هو الاستيلاء على المسجد الحرام والروضة المشرفة نفسها، وما دام العدوان على هذه المقدسات لا يكلف إلا قليلاً من العناء والجهد !

لقد ارتفعت أول صيحة لإنذار المسلمين بهذا الخطر منذ خمس وعشرين سنة في جلسات أول مؤتمر إسلامي عام انعقد بالقدس الشريف، فكانت تلك الصيحة العميقة الداوية محل الدهشة والاستغراب من جميع الوفود الإسلامية القادمة من خارج فلسطين، وخيل إلى البعض أنها صيحة مصطنعة، وأن ذلك الخطر إنما هو متخيل لا متوقع ومنتظر، وظن فريق من الناس الظنون بمنظمي المؤتمر والداعين إليه ! غير أن البعض الآخر - وقد كنت من بينهم - آمن منذ اللحظة الأولى بصدق هذه الصيحة وخطورتها، المبيقة[1] للإسلام في عقر داره، حيث أولى القبلتين وثالث الحرمين وموطن الإسراء والمعراج المقدسين، فأخذنا على عاتقنا منذ ذلك التاريخ أن نجعل من قضية فلسطين قضيتنا، وأن نضع خدمتها في السطر الأول من برنامج نشاطنا، وتعاوناً مع رجالات الإسلام في هذه القضية الإسلامية الكبرى تعاوناً صادقاً قولاً وفعلاً، إلى أن برزت للوجود تلك المؤامرة الدولية الكبرى بظهور

(١) أي: المهلكة.

أسطورة إسرائيل في الأفق، فحلت بالمسلمين أكبر نكبة وأخطر محنة عرفوها منذ ضاع الأندلس فردوس الإسلام المفقود.

لقد كان استيلاء الصهيونية على الأرض المقدسة وصمة عار في جبين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وفاتحة هزائم متوالية في العالم الإسلامي، وبلغ هول هذه الصدمة أشده في نفوس المغاربة بالخصوص، فقد أخذ الاستعمار الفرنسي منذ حلول هذه النكبة بأقسى المعاملات، وجعلهم موطئ النعال، وأصبح لا يرعى فيهم إلاً ولا ذمة، أكثر من كل وقت مضى، وأحس بأنهم أصبحوا حمى مستباحاً، لا ولي لهم ولا نصير، وأخذ يفكر في العمل على إبادتهم وإجلائهم عن المغرب الإسلامي، وإحلال شذاذ الآفاق من الفرنسيين والمتفرنسين في أرضهم وديارهم، وكان المنطق المؤلم والواقع المحزن في جانب هذا الرأي الجهنمي الخطير.

فما استطاعته عصابة إسرائيل في عقر ديار المسلمين ومرأى ومسمع منهم كيف تعجز عنه جمهورية فرنسا في بلاد المغرب المضروب بينها وبين بقية البلاد ستار حديدي وسد من الفولاذ، وفي هذا الجو الخانق أخذت فرنسا تفكر وتقدر، وتضع الحلول الجهنمية لفرنسة بلاد المغرب فرنسة نهائية، يستقر بموجبها الفرنسيون والمتفرنسون في هذه البلاد استقراراً أبدياً، وكان من فضل الله على المغرب الإسلامي أن جعله يفكر في المصير المفزع والمفجع الذي ينتظره على يد الاستعمار، بعد ما رأى هول الكارثة التي نزلت بفلسطين الإسلامية على يد الصهيونية، دون أن يتنطح فيها عنزان !

لقد كانت فلسطين إنذاراً أخيراً وخطيراً لشعوب الإسلام وأقوامه في كل مكان أن يتأهبوا للكفاح في سبيل حماية عقيدتهم ويتقدموا للفداء مسترخصين الأرواح، باذلين النفس والنفيس في سبيل الدفاع عن كيانهم، وكانت شرارة فلسطين هي شرارة الانطلاق بالنسبة للحركات التحررية الجديدة في العالم الإسلامي كله ولا سيما في بلاد المغرب، ففتح المسلمون عيونهم على ما يهددهم من

أخطار، ورفعت عنهم بسبب هذه النكبة كثير من الحجب والأستار، وراحوا يسترخصون أرواحهم في سبيل الله على سنن المسلمين الأولين واثقين بنصره وتأييده وفتحه المبين.

وإذا كانت «كل نقمة في طيها نعمة» كما يقولون، فإن كارثة فلسطين ستسجل في التاريخ على أنها بداية بعث جديد، ونقطة تحول عميق في حياة المسلمين بهذا العصر، وهذه الكارثة لن تكون بحول الله وقوته إلا كارثة مؤقتة، ستترك في أعقابها شعوباً إسلامية يقظة، وعواطف إسلامية ملتهبة، وكفاحاً إسلامياً منظماً متوصلاً، وكلمة موحدة على العمل المشترك الموحد في العالم الإسلامي كله.

وإذ كانت بركات هذه الكارثة قد تجلت في غير ما بقعة من بقاع الإسلام، فبركة فلسطين على نفسها لن تكون أقل من بركاتها عليّ، بل إنها هي وغيرها ليست في الحقيقة إلا شيئاً واحداً ووطناً مشتركاً، يسير قدماً نحو الهدف المرسوم، هدف العزة الإسلامية الكاملة.

فعلى المسلمين جميعاً أن يستعدوا لخوض معركة فلسطين القادمة استعداداً كاملاً، مادياً وروحياً ونفسياً، كما تحدث عن ذلك أحسن الحديث فخر الهند المسلمة الأستاذ الندوي، وعلى المسلمين جميعاً أن يعقدوا العزائم على استخلاص الأرض المقدسة من يد العصابات الصهيونية وحلفائها الغادرين، مهما كلفهم ذلك من تضحيات غالية، فإما أن تتحرر فلسطين، وبتحريرها يزول كل تهديد لبقية المقدسات الإسلامية، ويتحرر الإسلام كله من عار الغزو والهزيمة والمهانة إلى الأبد، وإما أن تكون الأخرى - لا قدَّر الله - ويصبح وطن الإسلام ومقدساته كلها حمى مستباحاً ونهباً موزعاً بين خصوم الإسلام الأشداء وأعدائه الألداء، فالبدار البدار أيها المسلمون لليوم المشهود، والنصر الموعود، وإلى اللقاء في ساحة فلسطين ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]. [مقدمة كتاب: العوامل الأساسية لكارثة فلسطين، لأبي الحسن الندوي، ص٢-٦].

المطلب الثالث
فتاوى علماء المسلمين بخصوص فلسطين

الغصن الأول
أهمية هذه الفتاوى

قدمت جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت بالكلمة التالية للكتيِّب الذي ضم مجموعة من فتاوى علماء المسلمين، بيّنت فيه قيمة هذه الفتاوى، وأثرها على الأمة الإسلامية فقالت:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه واتبع سنّته إلى يوم الدين، وبعد:

فعندما تدلهمُّ الخطوب، وتحتار السبل بالأمة الإسلامية، وتكثر الرزايا، تتلفت الأمة إلى مراكز التوجيه والإرشاد فيها، تطلب حلاً ناجعاً لمشكلاتها، ومنهجاً يخرجها من ورطتها التي تردت فيها، ومراكز التوجيه في هذه الأمة هم العلماء العاملون الصادقون، الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق بأن يقولوا كلمة الحق لا يخشون في الله لومة لائم، وهؤلاء هم الذين يحفظون مسار الأمة من الانحراف، ويقفون دائماً وأبداً بشجاعة وبسالة أمام محاولات الهدم والتذويب لعقيدة الأمة وفكرها وشخصيتها.

وقد وقف هذا النمط من أهل العلم في مختلف بلاد المسلمين موقفاً واضحاً بيّناً من قضية فلسطين، وهي واحدة من أهم قضايا المسلمين في هذا العصر.

لقد تآمر أهل الشرق وأهل الغرب على فلسطين وأهلها، وبذل أعداء الإسلام جهوداً مضنية لسلب المسلمين هذه الدرة الغالية النفيسة، وقدمت حلول كثيرة سببت الحيرة للكثير من أهل فلسطين وعموم المسلمين، وكان موقف علماء المسلمين دائماً وأبداً موقفاً ثابتاً تجاه هذه القضية، إن فلسطين جزء لا يتجزأ من بلاد المسلمين، فلا يمكن أن يتنازل عنها بحال، ولا يملك مسلم يؤمن بالله واليوم

الآخر أن يفرط في شبر منها، فهي قبلة المسلمين الأولى، وإليها أُسري برسولنا ﷺ، وعلى أرضها الطيبة سال دماء الأخيار من هذه الأمة عبر التاريخ تطهيراً لها من أرجاس الكفر، وحماية للوجود الإسلامي فيها من الزوال والاضمحلال.

لقد وقف علماء المسلمين دائماً وأبداً موقفاً عقائدياً لا يتزعزع ولا ينحرف تجاه مسرى رسول الله ﷺ، فهم ينظرون إلى هذه القضية بنور الله، ويحكمون فيها بشرع الله، ففلسطين في دين الله وشرعه أرض الإسلام وبلاد المسلمين، لا يجوز أن يفرط المسلمون بشبر منها، وإذا اعتدى عليها المعتدون، ودنس رجسها الكافرون، فإن واجب الأمة أن ترد كيد المعتدين، وتغسلها من رجس الكافرين، وتردها إلى حظيرة الإسلام، إن الحل الذي لا حلّ غيره عند علماء الإسلام وفي ميزان الإسلام هو حشد طاقات الأمة الإسلامية لتخليص القدس من أسرها وتطهير البلاد والعباد من رجس أعداء الله وأعداء المسلمين.

واليوم وصلت القضية الفلسطينية إلى منحنى صعب، يكاد يعصف بالقضية عصفاً لا رجعة فيها، فقد بلغ التآمر على القضية أن تعالت أصوات نشاز على ساحة العمل للقضية الفلسطينية تنادي نداءً واضحاً بالسلام مع اليهود، وتصرح باستعدادها للتنازل لليهود عن معظم فلسطين في مقابل إرجاع شريط ضيق من فلسطين كي تقام عليه دولة فلسطين، لقد اعترف المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر المنعقد في نوفمبر ١٩٨٨ بقرارات هيئة الأمم المتحدة التي تعترف بحق اليهود المزعوم في فلسطين (القرارات رقم ١٨١، ٢٤٢، ٣٣٨).

في هذا الوقت العصيب يصدر علماء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها فتوى صريحة، لتكشف الغمة، وتنير السبيل، وتوضح الطريق، فتوى صريحة في تحريم التنازل عن شبر واحد من أرض فلسطين، وأن فلسطين ليست ملكاً لفرد أو جماعة من حقها التصرف فيها كما تشاء، بل هي جزء من بلاد الأمة الإسلامية، وواجب الأمة الإسلامية أن تجاهد اليهود حتى تطهر الأرض من رجسهم وعدوانهم.

وقد رأت جمعية الإصلاح الاجتماعي أن تنشر هذه الفتوى التي قام على جمع التواقيع عليها من علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بعض أهل العلم والفضل ممن آلمهم الحال التي وصلت إليها قضية الأرض المباركة فلسطين.

وإنما تنشر جمعية الإصلاح هذه الفتوى إسهاماً منها في وضع الحق في نصابه، وتعريف أبناء فلسطين وأبناء الأمة الإسلامية بحكم الشرع تجاه قضية فلسطين، حتى يتصرفوا في هذه القضية وفق ما يمليه عليهم دينهم وإسلامهم. [جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ/ يناير ١٩٩٠م].

الغصن الثاني
الصفة المشتركة لهذه الفتاوى

يقول الدكتور محسن محمد صالح مبيناً الصفة المشتركة لهذه الفتاوى:

«تؤكد معظم فتاوى العلماء المسلمين الموثوقين على حرمة التسوية السياسية مع الكيان الإسرائيلي، وقد كان هناك حالة إجماع على إصدار مثل هذه الفتاوى من العلماء المسلمين المشهورين سواء كانوا رسميين أو غيرهم، وقد استمر ذلك حتى سنة ١٩٧٧ عندما قام السادات بزيارة إلى الكيان الإسرائيلي حيث صدرت بعض الفتاوى الرسمية من بعض المؤسسات المصرية لدعم موقفه في ضوء المعارضة الشعبية الواسعة في معظم أرجاء العالم الإسلامي، وبشكل عام لجأت الأنظمة لتبرير مواقفها السياسية لتحصيل فتاوى من علماء موظفين لديها، غير أن التيار العام لعلماء المسلمين غير المرتبط بالخوف على الوظيفة والمصلحة استمر في تأكيد تحريم التسوية السلمية إلى وقتنا هذا.

وقد صدرت مئات الفتاوى بهذا الصدد منذ قرار الأمم المتحدة إنشاء الكيان الإسرائيلي، وتحمل الفتاوى عادة نفس المضامين الأساسية دونما أي اختلاف جوهري، وأبرز هذه المضامين:

١- إن فلسطين أرض عربية إسلامية.

٢- فلسطين ملك لأجيال المسلمين، وليس لأحد حق التنازل عنها كائناً من كان.

٣- الجهاد هو طريق التحرير.

٤- اليهود الصهاينة معتدون غاصبون، ولا يجوز إقرار الغاصب على ما اغتصبه.

٥- ضرورة إعادة القضية إلى هويتها الإسلامية، وتعبئة طاقات الأمة باتجاهها».

[دراسة منهجية في القضية الفلسطينية، ص٥٠٨].

الغصن الثالث
بعض الفتاوى الصادرة بهذا الخصوص

الفتوى الأولى
فتوى علماء فلسطين الصادرة عن مؤتمر علماء فلسطين الأول المنعقد في يناير ١٩٣٥[1]

انعقد في القدس في ٢٦/ ١/ ١٩٣٥ اجتماع كبير لعلماء فلسطين من مفتين وقضاة ومدرسين وخطباء وأئمة ووعاظ وسائر علماء فلسطين، وأصدر هذه الفتوى بالإجماع. وهذا نصها:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإننا نحن المفتين والقضاة والمدرسين والخطباء والأئمة والوعاظ وسائر علماء المسلمين ورجال الدين في فلسطين، المجتمعين اليوم في الاجتماع الديني المنعقد في بيت المقدس بالمسجد الأقصى المبارك حوله، بعد البحث والنظر فيما ينشأ عن بيع الأراضي في فلسطين لليهود من تحقيق المقاصد الصهيونية في تهويد هذه البلاد

---

(١) أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٩-١٩٣٩)، من أوراق أكرم زعيتر، سلسلة الوثائق الأساسية والعامة رقم ١٢، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤، ص٣٨٨-٣٩١.

الإسلامية المقدسة، وإخراجها من أيدي أهلها، وإجلائهم عنها، وتعفية أثر الإسلام منها بخراب المساجد والمعابد والمقدسات الإسلامية، كما وقع في القرى التي تم بيعها لليهود، وأخرج أهلها متشردين في الأرض، وكما يخشى أن يقع لا سمح الله في أولى القبلتين، وثالث المسجدين المسجد الأقصى المبارك.

وبعد النظر في الفتاوى التي أصدرها المفتون وعلماء المسلمين في العراق ومصر والهند والمغرب وسوريا وفلسطين والأقطار الإسلامية الأخرى، والتي أجمعت على تحريم بيع الأرض في فلسطين لليهود، وتحريم السمسرة على هذا البيع والتوسط فيه، وتسهيل أمره بأي شكل وصورة، وتحريم الرضا بذلك كله والسكوت عنه، وأن ذلك كله أصبح بالنسبة لكل فلسطيني صادراً من عالم بنتيجته راضٍ بها، ولذلك فهو يستلزم الكفر والارتداد عن دين الإسلام باعتقاد حله كما جاء في فتوى سماحة السيد أمين الحسيني، مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

بعد النظر والبحث في ذلك كله وتأييد ما جاء في تلك الفتاوى الشريفة والاتفاق على أن البائع والسمسار والمتوسط في الأراضي بفلسطين لليهود والمسهل له هو:

أولاً: عامل ومظاهر على إخراج المسلمين من ديارهم.

ثانياً: مانع لمساجد الله أن يذكر فيها اسمه وساعٍ في خرابها.

ثالثاً: متخذ اليهود أولياء، لأن عمله يعد مساعدة ونصراً لهم على المسلمين.

رابعاً: مؤذ لله ولرسوله وللمؤمنين.

خامساً: خائن لله ولرسوله وللأمانة.

وبالرجوع إلى الأدلة المبينة للأحكام في مثل هذه الحالات من آيات كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

[الأنفال:٢٧-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:١١٤]. وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩]. وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة:١]، وقوله تعالى من آية أخرى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة:٥١] وقد ذكر الأئمة المفسرون أن معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: من جملتهم وحكمه حكمهم.

فيعلم من جميع ما قدمناه من الأسباب والنتائج والأقوال والأحكام والفتاوى أن بائع الأرض لليهود في فلسطين سواء كان ذلك مباشرة أو بالواسطة وأن السمسار والمتوسط في هذا البيع والمسهل له، والمساعد عليه، بأي شكل مع علمهم بالنتائج المذكورة، كل أولئك ينبغي أن لا يُصلَّى عليهم، ولا يُدفنوا في مقابر المسلمين، ويجب نبذهم ومقاطعتهم واحتقار شأنهم وعدم التودد إليهم والتقرب منهم، ولو كانوا آباء أو أبناء أو إخواناً أو أزواجاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٣-٢٤].

هذا وإن السكوت عن أعمال هؤلاء والرضا به مما يحرم قطعاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٤-٢٥]. وجعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فإنه مولانا، وهو نعم المولى، ونعم النصير.

تحرير في ٢٠ شوال ١٣٥٣هـ/ ٢٦ كانون ثاني ١٩٣٥م.

وهذه الفتوى كما هو واضح من مضمونها في تحريم بيع أي جزء من الأرض لليهود، فلم يكن اليهود قد أقاموا دولتهم في فلسطين في ذلك الوقت، ولكنهم كانوا يبذلون جهدهم في إيجاد موطئ قدم في ديارنا المقدسة.

وقد وقّع على هذه الفتوى تسعة من المفتين في فلسطين، وثلاثة عشر من القضاة، وباقي الموقعين كانوا من العلماء والوعاظ والخطباء ورجال الدين، وبلغ العدد الكلي للموقعين ٢٦٠ فرداً.

وأبرز الموقعين على هذه الفتوى هم:

١- محمد أمين الحسيني: مفتي القدس، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى.
٢- محمد أمين العوري: أمين فتوى القدس، وعضو محكمة الاستئناف الشرعية.
٣- محمد أديب الخالدي: مفتي جنين.
٤- محمد سليم بسيسو: مفتي بئر السبع.
٥- حسن أبو السعود: مفتي الشافعية، ومفتش المحاكم الشرعية.
٦- محمد تفاحة الحسيني: مفتي نابلس.
٧- محمد أسعد قدورة: مفتي صفد وقاضيها.
٨- محمد طاهر الطبري: مفتي طبريا وقاضيها.
٩- إسماعيل الحافظ رئيس محكمة الاستئناف الشرعية.

١٠ - محمد توفيق الطيبي: عضو محكمة الاستئناف الشرعية.

١١ - سعد الدين الخطيب: مساعد مفتش الاستئناف الشرعية.

١٢ - يوسف صدقي طهبوب: قاضي يافا.

١٣ - مطيع الدرويش أحمد: قاضي جنين.

١٤ - محمد سليم الغصين: قاضي حيفا.

١٥ - أحمد النحوي: قاضي الخليل.

١٦ - سيف الدين الخماش: قاضي بئر السبع.

١٧ - محمود الحموري: قاضي الرملة.

١٨ - سليمان السعدي: قاضي غزة.

١٩ - نسيب البيطار: وكيل قاضي القدس.

٢٠ - رامز مسمار: قاضي عكا.

٢١ - عبدالحميد السائح: وكيل قاضي نابلس.

الفتوى الثانية
فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف(١)

جواباً على أسئلة شرعية وجهها بعض علماء الأزهر الشريف وعلماء المسلمين من جميع المذاهب، بشأن ما يجب على المسلمين نحو قضية فلسطين، وما نجم عن كارثتها من أوضاع شديدة الخطر على أنفسهم وبلادهم، وبشأن الموقف الإسلامي من إنشاء ما يسمى «دولة إسرائيل»، ومن الدول الاستعمارية التي تساندها ومن «الصلح» معها، فقد اجتمعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف وأصدرت الجواب التالي:

---

(١) المرجع: الهيئة العليا لفلسطين، حكم الإسلام في قضية فلسطين...، ص٥-٧.

جواب لجنة الفتوى بالأزهر الشريف:

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر في يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ الموافق أول يناير سنة ١٩٥٦ برياسة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف، عضو جماعة كبار العلماء، ومفتي الديار المصرية سابقاً، وعضوية السادة أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون، عضو جماعة كبار العلماء، وشيخ كلية الشريعة سابقاً (الشافعي المذهب). والشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء، (الحنفي المذهب). والشيخ محمد الطنيخي، عضو جماعة كبار العلماء، ومدير الوعظ والإرشاد (المالكي المذهب). والشيخ محمد عبداللطيف السبكي، عضو جماعة كبار العلماء، ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلي المذهب)، وبحضور الشيخ زكريا البري أمين الفتوى.

ونظرت في الاستفتاء الآتي، وأصدرت فتواها التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية في إبرام الصلح مع إسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها، وأخرجتهم من ديارهم، وشردتهم نساءً وأطفالاً وشيباً وشباناً في آفاق الأرض، واستلبت أموالهم، واقترفت أفظع الآثام في أماكن العبادة والآثار والمشاهد الإسلامية المقدسة.

وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التي ناصرتها وتناصرها في هذا العدوان الأثيم، وأمدتها بالعون السياسي والمادي لإقامتها دولة يهودية في هذا القطر

الإسلامي بين دول الإسلام، وعن حكم الأحلاف التي تدعو إليها دول الاستعمار، والتي من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء في أرض فلسطين، لتنفيذ السياسة الاستعمارية.

وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها، وحيال المشروعات التي تحاول إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها، وفي ذلك تركيز لكيانها وتقوية لسلطانها مما يضيق الخناق على جيرانها، ويزيد في تهديدها لهم ويهيئ للقضاء عليهم.

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل - كما يريده الداعون إليه - لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه، وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه.

ففي الحديث الشريف «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد» وفي حديث آخر «على اليد ما أخذت حتى ترد».

فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم على أي وجه يُمكِّن اليهودَ من البقاء كدولة في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي، ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية من أيدي هؤلاء الغاصبين، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠].

ومن قصر في ذلك أو فرط فيه أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام وضد هذا القطر العربي الإسلامي فهو - في حكم الإسلام - مفارق جماعة المسلمين ومقترف أعظم الآثام.

كيف ويعلم الناس جميعاً أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله ودياره أشد الكيد منذ عهد الرسالة إلى الآن، وأنهم يعتزمون أن لا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى، وإنما تمتد خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهر النيل والفرات.

وإذا كان المسلمون جميعاً - في الوضع الإسلامي - وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام، فإن الواجب شرعاً أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدي الغاصبين. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١١١]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦].

وأما التعاون مع الدول التي تشد أزر هذه الفئة الباغية، وتمدها بالمال والعتاد، وتمكن لها من البقاء في هذه الديار فهو غير جائز شرعاً، لما فيه من الإعانة لها على هذا البغي والمناصرة لها في موقفها العدائي ضد الإسلام ودياره، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا

يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٩]. وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقد جمع الله سبحانه – في آية واحدة جميع ما تخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التي يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء وحذر المؤمنين من التأثر بشيء من ذلك واتخاذه سبباً لموالاتهم فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوي فيها إمدادهم بما يقوي جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأي والفكرة وبالسلاح والقوة – سراً وعلانية – مباشرة وغير مباشرة، وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات.

ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف التي تدعو إليها الدول الاستعمارية، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية ابتغاء الفتنة وتفريق الكلمة والتمكين لها في البلاد الإسلامية والمضي في تنفيذ سياستها حيال شعوبها لا يجوز لأي دولة إسلامية أن تستجيب لها، وتشترك فيها لما في ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية، وبخاصة فلسطين الشهيدة التي سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكاية في الإسلام وأهله، وسعياً لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية، لتكون تكأة لها في تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين في أنفسهم وأموالهم

وديارهم، وهي في الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهي عنها شرعاً والتي قال الله تعالى فيها: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١] وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض في القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٥٢].

وكذلك يحرم شرعاً على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية التي كفلت لها الحماية والبقاء من تنفيذ تلك المشروعات التي لا يراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها في رغد من العيش وخصوبة في الأرض، حتى تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام في أعز دياره، وتفسد في البلاد أشد الفساد، وتكيد للمسلمين في أقطارهم، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها ويقفوا صفاً واحداً في الدفاع عن حوزة الإسلام وفي إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التي من أولها هذه المشروعات الضارة ومن قصر في ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفاً سلبياً منها فقد ارتكب إثماً عظيماً.

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول ﷺ، ويقتدوا به وهو القدوة الحسنة في موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه رضوان الله عليهم من ديارهم، وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من أيدي المعتدين وأن يضيق عليهم سبل الحياة التي بها يستظهرون، فأخذ ﷺ يضيق عليهم في اقتصادياتهم التي عليها يعتمدون، حتى نشبت بينه وبينهم الحروب، واستمرت رحى القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال، حتى أتم الله عليه النعمة، وفتح على يده مكة، وقد كانت معقل المشركين، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان، وقلم أظافر الشرك والطغيان.

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء، مع فارق لا بد من رعايته وهو أن مكة كان بلداً مشتركاً بين المؤمنين والمشركين، ووطناً لهم أجمعين بخلاف أرض فلسطين فإنها ملك للمسلمين، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة، ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر في مكة الحق، ويخذل الباطل، ويردها إلى المؤمنين، ويقمع الشرك فيها والمشركين، فأمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بقتال المعتدين، قال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة:١٩١].

والله سبحانه وتعالى نبّه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]. من مبادئ الإسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد، وإذا كانت إزالته واجبة في كل حال، فهي في حالة هذا العدوان أوجب وألزم، فإن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين من ديارهم، وسلب أموالهم وتشريدهم في البلاد، بل تجاوز ذلك إلى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها، وهي احترام المساجد، وأماكن العبادة، وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤].

أما بعد: فهذا هو حكم الإسلام في قضية فلسطين وفي شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها، وفيما تريده إسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها. وفي واجب المسلمين حيال ذلك تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة، وأن يقدروا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين وتدبير الكائدين، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة في ذلك، إعزازاً لدينهم القويم.

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الإيمان به وعلى نصرة دينه وعلى العمل بما يرضيه والله أعلم.

الفتوى الثالثة
فتوى تحرم التنازل عن شيء من فلسطين

عندما قامت منظمة التحرير الفلسطينية بعقد مجلسها الوطني التاسع عشر في منتصف نوفمبر ١٩٨٨ واعترفت بالكيان الإسرائيلي وقرار تقسيم فلسطين، ودخلت بشكل حثيث في عملية التسوية السلمية، قام العشرات من كبار علماء المسلمين والشخصيات الإسلامية المرموقة وقادة الحركات الإسلامية بالتوقيع على فتوى في أواخر عام ١٩٨٩ بشأن الصلح مع اليهود، وجاءت توقيعات هؤلاء العلماء من ١٩ بلداً، هي (مصر، وفلسطين، والأردن، وسوريا، ولبنان، والعراق، والكويت، وعُمان، وتركيا، والهند، وأفغانستان، وماليزيا، وباكستان، والجزائر، والمغرب، والسودان، وتونس، وجزر القمر، وغينيا). وكانت هذه التواقيع هي ما أمكن جمعه على عجل، دونما حملة منسقة مستمرة. [دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص٥١٢].

نص فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين[1]:

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والصلاة والسلام على من أُسري به إلى الأرض المبارك فيها للعالمين، قبلة المسلمين الأولى وأرض الأنبياء ومهبط الرسالات، وأرض الجهاد والرباط إلى يوم الدين، وعلى آله الأخيار وصحبه الذين عطروا بدمائهم الزكية تلك الأرض الطيبة حتى أقاموا بها الإسلام، ورفعوا فيها رايته خفاقة عالية، وطردوا منها أعداءه الذين

---

(١) تم التوقيع على هذه الفتوى من قِبَل علماء المسلمين في الفترة من جمادى الأولى ١٤٠٩هـ وحتى ربيع الآخرة ١٤١٠هـ/ ديسمبر ١٩٨٨، وحتى ١٩٨٩.

دنّسوا قدسه بالشرك والكفر وعلى الذين ورثوا هذه الديار فحافظوا على ميراث المسلمين، ودافعوا عنه بأموالهم وأنفسهم، وبعد:

فإن مهمة علماء المسلمين وأهل الرأي فيهم أن يكونوا عصمة للمسلمين، وأن يبصروهم إذا احتارت بهم السبل وادلهمّت عليهم الخطوب.

ونحن الموقعين على هذه الوثيقة نعلن للمسلمين في هذه الظروف الصعبة أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، اغتصبوا فلسطين واعتدوا على حرمات المسلمين فيها، وشرّدوا أهلها، ودنسوا مقدساتها، ولن يقرّ لهم قرار حتى يقضوا على دين المسلمين، وينهوا وجودهم ويتسلطوا عليهم في كل مكان.

ونحن نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق في بيان الحق أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وليس لشخص أو جهة أن تقر اليهود على أرض فلسطين أو تتنازل لهم عن أي جزءٍ منها أو تعترف لهم بأي حق فيها.

إن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول وللأمانة التي وكّل إلى المسلمين المحافظة عليها، والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧] وأي خيانة أكبر من بيع مقدسات المسلمين، والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

إننا نوقن بأن فلسطين أرض إسلامية، وستبقى إسلامية، وسيحررها أبطال الإسلام من دنس اليهود كما حررها الفاتح صلاح الدين من دنس الصليبيين، ولتعلمن نبأه بعد حين، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الموقعون على هذه الفتوى:

عدد الموقعين على هذه الفتوى ثلاثة وستون من كبار العلماء والدعاة ورؤساء الحركات الإسلامية، وأساتذة جامعيين من علماء الشريعة وغيرهم، ومن هؤلاء:

١- د. يوسف القرضاوي، عميد كلية الشريعة بجامعة قطر، من أبرز رجال الدعوة الإسلامية. مصري المولد قطري الجنسية.
٢- الشيخ محمد الغزالي، وكيل وزارة الأوقاف المصرية سابقاً، مدير الجامعة الإسلامية بقسنطينة في الجزائر سابقاً، من أبرز رجال الدعوة الإسلامية، مصري الجنسية.
٣- د. عمر سليمان الأشقر، عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة بجامعة الكويت، من رجال الدعوة الإسلامية المعروفين في الكويت، أردني الجنسية.
٤- د. خالد المذكور، عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة بجامعة الكويت، وأمين عام الهيئة الشرعية العالمية للزكاة، ومن العلماء المعروفين في الكويت، كويتي الجنسية.
٥- أ. د. وهبة الزحيلي، أستاذ بكلية الشريعة بجامعة دمشق، سوري الجنسية.
٦- د. محمد عطا سيد أحمد، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية في ماليزيا، سوداني الجنسية.
٧- د. إبراهيم زيد الكيلاني، عميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، وخطيب المسجد الحسيني بعمّان، ومن رجال الدعوة الإسلامية في الأردن، أردني الجنسية.
٨- د. محمد نعيم ياسين، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة الكويت، فلسطيني الجنسية.
٩- د. محمد عثمان شبير، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة الكويت، فلسطيني الجنسية.
١٠- د. همام سعيد، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، وعضو في البرلمان الأردني، ومن رجال الدعوة الإسلامية المعروفين في الأردن، فلسطيني الجنسية.
١١- د. عجيل النشمي، عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت، كويتي الجنسية.

١٢- د. مصطفى محمد عرجاوي، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة الكويت، وكلية الشريعة بجامعة الأزهر، مصري الجنسية.

١٣- الشيخ نادر النوري، مدير إدارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية، ومن رجال الدعوة الإسلامية في الكويت، كويتي الجنسية.

١٤- الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مفتي سلطنة عُمان، ومن علمائها المعروفين، عُماني الجنسية.

١٥- الشيخ عبدالرحمن باه، وزير الشؤون الدينية سابقاً في غينيا كوناكري، غيني الجنسية.

١٦- د. عبدالله عزام، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية في إسلام أباد في باكستان سابقاً، ومن أبرز رجال الدعوة الإسلامية، وأبرز المشاركين العرب في الجهاد الأفغاني، استشهد في بيشاور في نوفمبر ١٩٨٩ رحمه الله، فلسطيني المولد، أردني الجنسية.

١٧- أ. د. عبدالستار فتح الله سعيد، أستاذ في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، مصري الجنسية.

١٨- د. فتحي يكن، الأمين العام للجماعة الإسلامية في لبنان، ومن رجال الدعوة الإسلامية البارزين، لبناني الجنسية.

١٩- د. علي السالوس، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة قطر، مصري الجنسية.

٢٠- د. عيسى زكي شقرة، باحث في الموسوعة الفقهية في وزارة الأوقاف الكويتية، فلسطيني الجنسية.

٢١- أ. د. نزيه حماد، أستاذ بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بالسعودية، سوري الجنسية.

٢٢- الشيخ جاسم مهلهل، خطيب مسجد، مدرِّس في وزارة التربية الكويتية، من رجال الدعوة الإسلامية المعروفين في الكويت، كويتي الجنسية.

٢٣- د. أحمد حسن فرحات، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة الكويت، سوري الجنسية.

٢٤- د. عبدالله إبراهيم، رئيس قسم الشريعة بكلية الدراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية الماليزية.

٢٥- عبد رب الرسول سياف، رئيس حكومة المجاهدين الأفغان المؤقتة قائد أحد فصائل الجهاد الأساسية، من أبرز رجال الدعوة الإسلامية، أفغاني الجنسية.

٢٦- حكمت يار، وزير خارجية حكومة المجاهدين الأفغان المؤقتة قائد أحد فصائل الجهاد الأساسية، من أبرز رجال الدعوة الإسلامية، أفغاني الجنسية.

٢٧- برهان الدين رباني، وزير في حكومة المجاهدين المؤقتة، قائد أحد فصائل الجهاد الأساسية، من أبرز رجال الدعوة الإسلامية، أفغاني الجنسية.

٢٨- أحمد شاه، رئيس وزارة حكومة المجاهدين الأفغان السابق، أفغاني الجنسية.

٢٩- محفوظ النحناح، من رجال الدعوة الإسلامية البارزين، رئيس جمعية الإرشاد والإصلاح في الجزائر، جزائري الجنسية.

٣٠- راشد الغنوشي، قائد حركة الاتجاه الإسلامي في تونس، ومن أبرز رجال الدعوة الإسلامية هناك، تونسي الجنسية.

٣١- د. عصام بشير، دكتوراه في الشريعة، سوداني الجنسية.

٣٢- صادق عبدالله عبدالماجد، من رجال الدعوة الإسلامية المعروفين في السودان، سوداني الجنسية.

٣٣- أوغوز خان أصيل ترك، وزير الداخلية السابق في تركيا، عضو مؤسس مجلس إدارة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، تركي الجنسية.

٣٤- محمد أمين سراج، المدرس بجامع السلطان محمد الفاتح، تركي الجنسية.

٣٥- الشيخ حافظ سلامة، من رجال الدعوة الإسلامية المعروفين في مصر، مصري الجنسية.

٣٦- د. عبدالسلام الهراس، أستاذ كرسي ورئيس قسم الأدب العربي بفاس، مغربي الجنسية.

٣٧- أبو الليث الندوي، أمير الجماعة الإسلامية في الهند، ومن أبرز رجال الدعوة الإسلامية هناك، هندي الجنسية.

٣٨- نور محمد، أستاذ في جامعة الفلاح بلريناكنج، ورئيس تحرير مجلة (الحياة الجديدة)، هندي الجنسية.

٣٩- عبدالحليم وصي أحمد، عالم مسلم، موظف في مكتب بدولة قطر، هندي الجنسية.

٤٠- الشيخ فيصل المولوي، من علماء لبنان، ورجال الدعوة الإسلامية البارزين هناك، لبناني الجنسية.

٤١- محمد عبدالرحمن، مفتي جمهورية جزر القمر، ومستشار الرئيس للأمور الدينية، قمري الجنسية.

٤٢- د. طه جابر العلواني، أستاذ أصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً، ومدير معهد الفكر العالمي بأمريكا، عراقي الجنسية.

٤٣- د. أحمد محمد العسال، نائب رئيس الجامعة الإسلامية العالمية للشؤون الأكاديمية بإسلام أباد في الباكستان، مصري الجنسية.

٤٤- الشيخ مصطفى مشهور، نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، ومن أبرز رجال الدعوة الإسلامية، مصري الجنسية.

٤٥- أ. د. نجم الدين أربقان، رئيس حزب الرفاه بتركيا، وزير الخارجية تركيا السابق ومن رجال الدعوة الإسلامية البارزين في تركيا، تركي الجنسية.

٤٦- قاضي حسين أحمد، أمير الجماعة الإسلامية في الباكستان، ومن أبرز رجال الدعوة الإسلامية هناك، باكستاني الجنسية.

٤٧- وحيد الدين خان، رئيس المركز الإسلامي للبحوث والدعوة في الهند، ومن رجال الدعوة الإسلامية المعروفين هناك، هندي الجنسية.

الفتوى الرابعة
فتوى علماء المسلمين في المؤتمر الدولي الإسلامي في باكستان

خلال انعقاد المؤتمر الدولي الإسلامي في باكستان في شهر شباط ١٩٦٨ وجّه جماعة من علماء المسلمين سؤالاً بشأن استيلاء اليهود على المسجد الأقصى والقدس وبقية فلسطين وبعض الأراضي العربية، وطلبوا حكم الشرع الإسلامي في أمر الصلح والاعتراف باليهود، ولقد أصدرت - جواباً على ذلك - هذه الفتوى الشرعية، وقد وقّعها عدد كبير من علماء المسلمين.

وننشر فيما يلي نص السؤال، والفتوى الشرعية:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أصحاب الفضيلة علماء الإسلام الأعلام، ما هو حكم الإسلام فيما يلي:

يهود اعتدوا على المسلمين، وحاربوهم، واستولوا على البلاد الفلسطينية، وعلى بعض الأراضي المصرية والسورية، واحتلوا مدينة القدس التي تحتوي على المسجد الأقصى المبارك، وبعد احتلالهم لهذه البلاد الإسلامية، أرهقوا أهلها ظلماً وقتلاً وسلباً، وشرّدوا مئات الألوف منهم، وفي مدينة القدس هدموا عدة أحياء إسلامية، ودمروا ما فيها من بيوت ومساجد وأملاك تابعة للأوقاف الإسلامية، كما اغتصبوا قسماً كبيراً من أراضي القدس، وأعلنوا مطامعهم في الاستيلاء على المسجد الأقصى، وشرعوا بالحفر تحته، مما يعرضه لخطر عظيم، وزيادة على ذلك أعلنوا مطامعهم في الاستيلاء على بعض البلاد الإسلامية الأخرى المجاورة لفلسطين، ومنها شمالي الحجاز والمدينة المنورة.

فهل يجوز للمسلمين وفقاً لأحكام الشرع الإسلامي، إبرام صلح مع هؤلاء اليهود المحاربين المعتدين، قبل أن يتخلوا عن البلاد التي اغتصبوها من أهلها المسلمين، وقبل إعادة أهلها إليها، وهل يجوز الاعتراف بهؤلاء اليهود الذين أقاموا دولة باغية ظالمة على هذه الأراضي الإسلامية؟

فالرجاء بيان حكم الشرع فيما ذكرنا، وما يجب على المسلمين في هذه الحال؟ ولكم من الله تعالى الأجر والثواب.

جماعة من المسلمين

الجـــواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، أما بعد:

فقد اطلعنا على الاستفتاء المقدم إلينا عن حكم الشريعة الإسلامية في إبرام الصلح مع هؤلاء الذين اغتصبوا فلسطين وبعض الأراضي المصرية والسورية، وشردوا أهلها المسلمين، واستلبوا أملاكهم، واقترفوا أفظع الآثام من قتل وسلب وتعذيب للمسلمين، واحتلوا مدينة القدس وما فيها من أماكن مقدسة إسلامية، وفي مقدمتها المسجد الأقصى المبارك، القبلة الأولى ومكان الإسراء والمعراج للرسول الأعظم ﷺ ، وهدموا بعض الأماكن الإسلامية بما فيها من مساجد ومدارس وبيوت وكلها أوقاف إسلامية، وصرحوا بمطامعهم الخطيرة في المسجد الأقصى، وشرعوا بالحفر تحته تمهيداً للاستيلاء عليه، كما صرحوا بمطامعهم في الأماكن المقدسة الأخرى.

فجواباً على ذلك نقرر، أن الصلح مع هؤلاء المحاربين لا يجوز شرعاً، لما فيه من إقرار الغاصب على غصبه، والاعتراف بأحقية يده على ما اغتصبه، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود المعتدين، لأن ذلك يمكنهم من البقاء كدولة في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة، بل يجب على المسلمين جميعاً أن يبذلوا قصارى جهودهم لتحرير هذه البلاد وإنقاذ المسجد الأقصى وسائر المقدسات الإسلامية من أيدي الغاصبين، وعلى جميع المسلمين أن يقوموا بواجب الجهاد إلى أن

يسترجعوا هذه البلاد من الغاصبين، ونهيب بالمسلمين كافة أن يعتصموا بحبل الله المتين، وأن يقوموا بها يحقق العزة والكرامة للإسلام والمسلمين.

وقد وقّع على هذه الفتوى مجموعة من كبار العلماء ورجال الدعوة في العالم الإسلامي، وهم:

١- مولانا شفيع، مفتي باكستان وعميد جامعة دار العلوم بكراتشي.
٢- مولانا أبو الأعلى المودودي، رئيس الجماعة الإسلامية في الباكستان.
٣- الحاج إسماعيل عمر عبدالعزيز، مفتي بروناي.
٤- السيد ضياء الدين باباخانوف، مفتي آسيا الوسطى.
٥- مولانا ظفر الله أحمد العثماني، مدير دار العلوم بحيدر آباد في باكستان.
٦- مولانا محمد عبدالحامد القادري البدايوني، رئيس جمعية علماء باكستان.
٧- الدكتور محمد حبيب الله، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.
٨- الشيخ منصور المحجوب، عضو هيئة كبار العلماء في ليبيا.
٩- البروفسور الحاج إبراهيم حسين، وكيل وزير الشؤون الدينية في إندونيسيا.
١٠- مولانا دين محمد خان، عميد الجامعة العربية القرآنية بشرق باكستان.
١١- الدكتور جواد علي، عضو المؤتمر الإسلامي العالمي من العراق.
١٢- الشيخ حسن كتبي، المندوب السعودي في المؤتمر الإسلامي العالمي.
١٣- مولانا يوسف البنوري، عميد الجامعة العربية الإسلامية في كراتشي.
١٤- الأستاذ مصطفى كمال التارزي، مندوب تونس في المؤتمر الإسلامي العالمي.
١٥- السيد يوسف الخليفة أبو بكر، مندوب السودان في المؤتمر الإسلامي العالمي.
١٦- الدكتور عمر فخرو، عضو لبنان في المؤتمر الإسلامي العالمي.
١٧- السيد منتخب الحق، رئيس قسم المعارف الإسلامية بجامعة كراتشي.
١٨- مولانا احتشام الحق، المدير العام لدار العلوم الإسلامية في كراتشي.
١٩- مولانا أبو الخير مسلم علوي آل محمود، من علماء باكستان.

المطلب الرابع
ما قاله العلماء في فلسطين

لو جمع ما قيل في فلسطين في خطب المساجد والمجامع والندوات والمؤتمرات والكتب والصحف والمجلات والإذاعات والقنوات الفضائية لبلغ الألوف من المجلدات، وإحصاء ذلك عسر وشاق، وسأكتفي بإيراد كلمة واحدة للشيخ العلامة الجزائري البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى.

يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحاً دامية:

كتب الشيخ الجزائري البشير الإبراهيمي - رحمه الله تعالى - في جريدة «البصائر» في الخامس من سبتمبر سنة ١٩٤٧ مقالة تصور فجيعة الجزائريين بفلسطين، فقال:

يا فلسطين ! إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحاً دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير؛ وفي عنق كل مسلم جزائري لك - يا فلسطين - حقٌّ واجبُ الأداء وذمام متأكد الرعاية، فإن فرّط في جنبك، أو أضاع بعض حقك، فما الذنب ذنبُه، وإنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه، والمرء وداره، والمسلم وقبلته.

يا فلسطين ! إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب، والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، وأنّ فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وأنك كنت نهاية المرحلة الأرضية، وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعوداً، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطاً؛ وإليك ترامت همم الفاتحين، وترامت الأينُق[1] الذلل

---

(١) الأينق: جمع ناقة وهي الأنثى من الإبل، انظر الوسيط ٩٦٤.

بالفاتحين، تحمل الهدي والسلام، وشرائع الإسلام، وتنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة، وثمار الوحي الجديد إلى منابت الوحي القديم، وتكشف عن الحقيقة التي كانت وقفت عند تبوك بقيادة محمد بن عبدالله، ثم وقفت عند مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، فكانت الغزوتان تحويماً[1] من الإسلام عليك، وكانت الثالثة ورداً، وكانت النتيجة أن الإسلام طهرك من رجس الرومان، كما طهر أطراف الجزيرة قبلك من رجس الأوثان.

داست حماك سنابك الخيول البابلية، وجاست خلال الديار، وسبى بنوك (أسلاف الصهيونيين)، لم ينتصر لك ولا لهم أحد، لولا أن منّ عليهم الفاتحون المستعبدون، وإن المنّ لأنك على الحر من الاسترقاق؛ ثم غزاك الرومان، وأذلُّوا بنيك، واشتفوا منهم إثخاناً في القتل وانتقاماً - زعموا - من جريرة الصلب، وما ظلمت يا فلسطين، ولكن بَنيك جرّوا عليك الجرائر، وما كنت لتفلتي من براثن الرومان لولا أن انتصف الله لك من عدوّك بالإسلام والعرب، فنصروك وطهّروك، وبلُّوا الرحمَ الإبراهيمية ببِلالها، ووفوا لأبناء العمومة بحق القربى والجوار، وأصبحت من ذلك الحين ملكاً ثابتاً للإسلام، وإرثاً مستحقاً من موسى لمحمد، ومن التوراة للقرآن، ومن إسحاق لإسماعيل.

يا فلسطين ! ملكك الإسلام بالسيف، ولكنه ما ساسك ولا ساس بنيك بالحيف، فما بالُ هذه الطائفة الصهيونية اليوم تُنكر الحق، وتتجاهل الحقيقة، وتجحد الفضل، وتكفُر النعمة؛ فتُزاحمُ العربيّ الوارث باستحقاق عن موارد الرزق فيك، ثم تَغلوا فتزعم أنه لا شرب له من ذلك المورد.

ما بالُ هذه الطائفة تدَّعي ما ليس لها بحق، وتطوي عشرات القرون لتصل - بسفاهتها - وعدَ موسى بوعد «بلفور»، وإن بينهما لَمَداً وجزراً من الأحداث، وجذباً ودفعاً من الفاتحين.

(١) حام الشيء: طلبه، وحوّم الأمر: استدام النظر إليه، وتحويم مصدر حوّم، الوسيط ٢١٠.

ما بالُها تدّعي إرثاً لم يَدفَع عنه أسلافها غارة بابل، ولا غزو الرومان، ولا عادية الصليبيين، وإنما يستحق التراث من دافع عنه وحامى دونه، وما دافع بابل إلا انحسارُ الموجة البابلية بعد أن بلغت مداها، وما دافع الرومان إلا عمر والعرب وأبطال اليرموك وأجنادين، وما دافع الصليب وحامليه إلا صلاح الدين وفوارس (حطين).

إن العرب على الخصوص، والمسلمين على العموم، حرّروا فلسطين مرتين في التاريخ، ودفعوا عنها الغارات المجتاحة مرات، وانتظم ملكهم إياها ثلاثة عشر قرناً.

وعاش فيها بنو إسرائيل تحت راية الإسلام، وفي ظل حمايته آمنين على أرواحهم، وأبدانهم، وأعراضهم، وأموالهم وعلى دينهم، ومن المحال أن يحيف المسلم الذي يؤمن بموسى، على قوم موسى.

ما أشبه الصهيونيين بأوّلهم في الاحتياط للحياة، أولئك لم يقنعوا بوعد الله، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ﴾ [المائدة:٢٢]، وهؤلاء لم يثقوا بوعد بلفور، حتى ضمنت لهم بريطانيا أن يكونوا في ظل حرابها، وتحت حماية مدافعها وقوانينها؛ وبكل ذلك استطاعوا أن يدخلوا مهاجرين، ثم يصبحوا سادة مالكين، ودع عنك حديث الإرهاب فما هو إلا سراب.

ولو أن السيوف الإنجليزية أُغمدت، والذهب الصهيوني رجع إلى مكانه، وعُرضت القضية على مجلس عدل وعقل لا يستهويه بريق الذهب، ولا يرهبه بريق السيوف، لقال القانون: إن ثلاثة عشر قرناً كافية للتملّك بحق الحيازة، وقال الدين: إن أحق الناس بمدافن الأنبياء هم الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، وقال التاريخ: إن العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا لهم فيها دولةً قائمة، ولا ثلُّوا لهم عرشاً مرفوعاً وإنما انتزعوها من الرومان، فهم أحق بها من كل إنسان.

إن الصهيونية فيما بلونا من ظاهر أمرها وباطنه نظام يقوم على الحاخام والصيرفي والتاجر، ويتسلّح بالتوراة والبنك والمصنع، وغايتها جمعُ طائفة قُدِّر لها أن تعيش أوزاعاً بلا وزاع، وقدِّر لها أن تعيش بلا وطن - ولكن جميع الأوطان لها - فجاءت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تُسمِّيه قولاً فلسطين، ثم تفسِّره فعلاً بجزيرة العرب كلها، فهو في حقيقته استعمار من طراز جديد، في أسلوبه ودواعيه وحُججه وغاياته، يجتمع مع الاستعمار المعروف في أشياء، وتفرّق بينهما فوارق، منها أن الصهيونية تعتمد قبل كل شيء على الذهب، تشري به الضمائر والأرض والسلاح، وتشتري به السكوتَ والنطق، وتشتري به الحكومات والشعوب، تعتمد عليه وعلى الحيلة والمكر والتباكي والتصاغر في حينه، وعلى التنمّر والإرهاب في فرصته.

إن فلسطينَ أرض عربية، لأنها قطعة من جزيرة العرب، وموطن عريق لسلائل من العرب، استقرّ فيها العرب أكثرَ مما استقر اليهود، وتمكَّن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادت فيها العربية أكثر مما سادت فيها العبرية، وما الانتداب الإنجليزي إلا باطل، ليس من مصلحة العرب ولا من مصلحة اليهود؛ وما الوطن القومي إلا خيال جسَّمته الأحلام الدينية، والمطامع المادية؛ وما منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ولجنة التحقيق إلا تعلاّت[1] لا تُسكِت ولا تُسَكّن، وما استمرار الهجرة إلا مدٌّ للحمأة وتأريث للنار، ومن ضاقت به رحاب الدنيا لا تسعه فلسطين، ومن لفظته حواشي الأرض لا تستقر به فلسطين.

أما حديث التشريد والمشرّدين من اليهود فهو مشترك إلزام في القضية؛ وما أكثر المشردين في الأمم الإسلامية، بل ما أكثر المشرَّدين من العرب، فإذا أخذنا الرحمة بالمشرّدين قاعدةً كان أحق الناس بها مشردي العرب الذين لا يفصلهم عنها بحر، ولا يقال في هجرتهم إليها إنها شرعية أو بدعية، كما يقال في هجرة اليهود، وما

(١) التَعِلّة: ما يتعلل به، الوسيط ٦٢٣.

ظُلمت كلمة الشرع بأفحش من نسبة الحيل إليها عند بعض فقهائها، من نسبة الهجرة اليهودية إليها عند فقهاء الاستعمار.

أيظنُّ الظانُّون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها، لا والله، ويأبى لها ذلك شرف الإسلام ومجد العروبة ووشائج القربى، ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته، وأبى حلها لمصلحته، وقايض بفلسطين لمصلحته، هو الذي يُباعد بين أجزاء الإسلام لئلا تلتئم، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم، وهيهات هيهات لما يروم.

إن بين دول الاستعمار علائق ماسة، وإنهنَّ يتباعدن ما دام خيال الشرق وبنيه والإسلام وأُممه بعيداً، فإذا لاح ذلك الخيال حنّت من الاستعمار الدماء، وتعاطفت الأرحام، وتُنُوسيت الأحقاد، فهلاّ فعلنا مثل ما فعلوا؟

أيها العرب! إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست حقوق العرب فيها تُنال بأنها حق في نفسها، وليست تُنال بالهوينا والضعف، وليست تُنال بالشعريات والخطابيّات؛ وإنما تنال بالتصميم والحزم، والاتحاد والقوة.

إن الصهيونية وأنصارها مصممون، فقابِلوا التصميم بتصميم أقوى منه، وقابِلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه.

وكونـــوا حائطـــاً لا صـــدع فيـــه   وصـــفاً لا يُرفـــع بالكُـــسالى

[فلسطين للبشير الإبراهيمي، ص٢٨].

المبحث الرابع
التعريف بأرض الإسراء وبيان مدى أهميتها لدى المسلمين

المطلب الأول
موقع أرض الإسراء

أسرى الله بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمسجد الأقصى يقع في مدينة القدس، ومدينة القدس تقع في وسط فلسطين، والأرض المباركة حول الأقصى قد لا تكون قِصْراً على أرض فلسطين، بل تمتد إلى جميع أرض بلاد الشام.

وفلسطين الداخلة في الأرض المباركة تقع في الجنوب الغربي لبلاد الشام، والقدس تقع في وسط فلسطين، ومساحة القدس القديمة داخل السور ٨٦٨ دونماً، يشغل المسجد الأقصى منها ١٤٤ دونماً، وهذا يساوي ١٦,٦ من مساحة القدس.

وقد بُنيت القدس على جبل يتراوح ارتفاعه بين ٧٢٠ و٧٨٠ متراً، فوق سطح البحر.

وتنقسم مدينة القدس إلى قسمين: قسم داخل السور، وقسم خارجه.

وقد بني السور منذ زمن بعيد، وتم تجديده في كثير من المراحل، وطوله ٤٢٠٠ متراً، وارتفاعه في بعض الأماكن ٣٠ قدماً، وبه سبعة أبواب، هي: العمود، والساهرة، والنبي داود، والمغاربة، والأسباط، وباب الخليل، والباب الجديد، وربما يطلق أكثر من اسم على كل باب منها، وتلك الأسماء تسود وتختفي، حسب المرحلة التاريخية، وحسب القوى الحاكمة المهيمنة عليها. وكان بالسور في ستينات القرن الماضي ٣٠ برجاً وقلعة كبيرة.

يقع داخل السور مسجد قبة الصخرة المشرفة الذي بناه الخليفة عبدالملك بن مروان بين ٦٨٥ و٦٩١م، ويقع المسجد الأقصى إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة، وقد بدأ في بنائه الخليفة عبدالملك بن مروان أيضاً سنة ٦٩٣م، وأتمّه الوليد ابن عبدالملك سنة ٧٠٥م.

وكان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي استلم مفاتيح القدس، وبنى فيها المسجد الأقصى في موقع المسجد القديم (٦٣٦م)، وجدّده الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، ودانت المنطقة كلها للمسلمين حتى احتلها الصليبيون سنة ١٠٩٩م، وارتكبوا مجزرة ذهب ضحيتها ٧٠ ألفاً من المسلمين - كما تقول المصادر التاريخية - ثم استرجعها المسلمون تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م.

والقدس لا يطلق عليها اسم الحرم، كما يطلق على مكة والمدينة، ولذلك يجوز أن تصاد الحيوانات البرية فيها، ويجوز أن يختلى خلالها، ويقطع شجرها ونباتها ويستفاد منه، بخلاف حرمي مكة والمدينة.

وأرض فلسطين جزء من بلاد الشام، وكانت تتسع وتضيق باختلاف التقسيمات المتعاقبة عليها، ويمكن تقسيم فلسطين إلى ثلاث قطاعات طولية، هي: السهل الساحلي، والمرتفعات الجبلية الوسطى التي تشغل معظم مساحة فلسطين، والأخدود الأردني. [دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص٤٩].

وتبلغ مساحة فلسطين ٢٧٠٠٩ كيلومتراً مربعاً، وهي مستطيلة الشكل، يبلغ طولها نحو ٤٣٠ كيلومتراً، وأما عرضها فيتراوح في الشمال من ٥١ إلى ٧٠ كيلومتراً، وفي الوسط من ٧٢ إلى ٩٥ كيلومتراً، ويتسع في الجنوب ليصل إلى ١٤٧ كيلومتراً.

المطلب الثاني
أهمية أرض الإسراء لدى أمة الإسلام

إن فلسطين التي تضم القدس والأراضي المباركة حولها، والتي اغتصبها اليهود اليوم هي درة عظيمة من درر ديار المسلمين، فالأقصى هو القبلة الأولى التي كان المسلمون

يتوجهون إليها في صلاتهم، وهي البلد الوحيد الذي أسري برسولنا محمد ﷺ إليه، ثم عرج به من هناك إلى السموات العلا، وقد سجل القرآن هذه الواقعة العظيمة بأصرح عبارة، وافتتحت سورة الإسراء بذكر هذه الواقعة وتنزيه الله تعالى للدلالة على عِظَم هذه الآية ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

وأعظم أراضي فلسطين المسجد الأقصى الموجود في قلب القدس، والمسجد الأقصى هو ثالث المساجد المقدسة عند المسلمين، وهي المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، والمسجد الأقصى هو قبلة المسلمين الأولى، وهو المسجد الذي عمّره الأنبياء والصالحون من بني إسرائيل، وإليه أسري بنبينا محمد ﷺ، قبل أن يعرج به إلى السماء، وعن عبدالله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ قال: «إن سليمان ابن داود عليهما السلام سأل الله ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، وأرجو أن يكون أعطاه الله الثالثة، سأله مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله حكماً يوافق حكمه، فأعطاه إياه، وسأله من أتى هذا البيت، يريد بيت المقدس، لا يريد إلا الصلاة فيه، أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

فقال رسول الله ﷺ : «وأرجو أن يكون الله قد أعطاه الثالثة». [صحيح، موارد الظمآن إلى صحيح ابن حبان، ١/ ٤٣٣، ورقمه ٨٦٨].

وكان الأقصى قبلة اليهود في صلاتهم في زمن أنبيائهم، ففي سفر الملوك الأول، يقول نبي الله سليمان في صلاته: «إذا انكسر شعبك أمام العدو، لأنهم أخطؤوا إليك، ثم رجعوا إليك، واعترفوا باسمك، وصلوا وتضرعوا إليك نحو هذا البيت». [سفر الملوك الأول، الإصحاح الثامن، فقرة ٣٣].

وفي الفقرة ٤٤ من هذا السفر قال: «إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه في الطريق الذي ترسلهم فيه، وصلوا إلى الرب نحو المدينة التي اخترتها، والبيت الذي بنيته لاسمك» ومراده بالمدينة القدس، والبيت هو المسجد الأقصى، الذي يسمونه الهيكل.

والمسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي لا يجوز شدّ الرحال لغيرها، روى أبو سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» قال: وسمعتُه يقول: «لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها، أو زوجها» أخرجه البخاري ومسلم. وأخرجه الترمذي إلى قوله: «الأقصى». [جامع الأصول: ٩/ ٢٨٤، ورقمه ٦٨٩٥].

هذا هو المسجد الأقصى، وتلك هي الأرض المباركة حوله، التي اغتصبها اليهود بأقصاها، وأعانهم قوم آخرون، وشهدوا أن تلك الأرض أرضهم ظلماً وزوراً، ونحن لن نرضى بأن يغتصب اليهود أرضنا وبلادنا، وعندما أقول: «نحن» أعني جميع المسلمين في كل بقاع الأرض، فمكة، والمدينة، والأقصى، هي مدننا المقدسة التي لا يملك أن يتنازل عنها مسلم بحال من الأحوال، ومن اعتدى على واحدة منها، بل ومن غيرها وجب على جميع المسلمين أن يجاهدوا حتى يعيدوا الأرض المغصوبة إلى حضن المسلمين.

المطلب الثالث
الأقصى في الأرض وليس في السماء

يدعي بعض من يُنسب إلى الإسلام أن المسجد الأقصى ليس في الأرض، بل هو في السماء، وأنه الذي يسمى بالبيت المعمور.

وقد تلقى هذا القول المتهافت بعض المستشرقين، وبعض اليهود، وهذا قول باطل، وأهل العلم الذين يعتد بقولهم مجمعون على أن المراد بالمسجد في الآية الكريمة هو المسجد الأقصى المعروف في مدينة القدس.

ولو كان هو الذي في السماء لما قال: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]؛ لأن السماء كلها مباركة، وأول ما يدخل في الأرض المباركة أرض فلسطين، وهي موطن نبي الله سليمان الذي قال الله فيه: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨١].

والأرض المباركة التي حول الأقصى هي الأرض التي نجّى الله إبراهيم ولوطاً إليها ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:٧١].

وهي الأرض المقدسة التي أمر موسى قومه أن يدخلوها قائلاً: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة:٢١].

وقد بني هذا المسجد بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة، والبيت المعمور مبني في السماء قبل ذلك بدهور لا يعلمها إلا الله، روى البخاري في صحيحه عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: «سمعت أبا ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أيّ، قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثمَّ أينما أدركت الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه». [البخاري: ٣٣٦٦، ومسلم: ٥٢٠].

وهذا المسجد هو الذي كان يصلي إليه رسول الله ﷺ في أول الأمر قبل أن يوجه في صلاته إلى الكعبة، ففي صحيح البخاري عن «البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال: أخواله من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً» [البخاري: ٤٠. ومسلم: ٥٢٥].

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أنه «ركب البراق ليلة الإسراء، فركبه حتى جاء به بيت المقدس، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم عرج به إلى السماء» [مسلم:٢٥٩].

وعندما عاد الرسول ﷺ إلى مكة وأخبر قريشاً بإسرائه إلى المسجد الأقصى، فأخذوا يسألونه عن أشياء في بيت المقدس لم يثبتها، فكربه ذلك، فرفع الله المسجد إليه ينظره عياناً، فما سألوه عن شيء إلا أنبأهم به، وأخبرنا في هذا الحديث أنه صلى بالأنبياء إماماً، ووصف هيأة موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام. [مسلم:١٧٢].

وهذا غيض من فيض يدلنا على أن المسجد هو المسجد الذي في القدس، وليس كما يقول من قال: إنه في السماء.

والذي دعا من زعم أن الأقصى في السماء أن الإسراء كان قبل فتح القدس، والمسجد إنما بناه عمر بعد فتح القدس ووفاة الرسول ﷺ ، وغفل هؤلاء بسبب عدم علمهم بالسنّة النبوية أن المسجد قد يُطلق في السنّة على أماكن العبادة عند السابقين، ففي حديث أبي ذر الذي رواه البخاري وأوردته قبل قليل تسمية المعبد الذي في القدس مسجداً، وشبيه بهذا - كما يرى ابن تيمية - أن الكتب السماوية، وهي التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد بها الكتب المعينة، ويراد بها الجنس، فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره، كما في حديث البخاري أنه: «خفف على داود القرآن فكان ما بين أن تسرج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن». قال ابن تيمية: «المراد به قرآنه، وهو الزبور، وليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلا على محمد».

وكذلك ما جاء في صفة أمة محمد: «أناجيلهم في صدورهم» فسمى الكتب التي يقرؤونها أناجيل، وكذلك في التوراة: «إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى» فسمى الكتاب الثاني توراة. [الجواب الصحيح: ٥/١٥٦].

المطلب الرابع
أرض الإسراء ميراثنا من صالحي بني إسرائيل

أرض بيت المقدس والديار المباركة حولها كانت هي الأرض التي سكنها خليل الرحمن إبراهيم ﷺ ، وسكنها نبي الله إسحاق بن إبراهيم، وسكنها أيضاً نبي الله يعقوب بن إسحاق وأبناؤه الاثنا عشر، وعاد إليها نبيا الله موسى وهارون بعد خروجهما ببني إسرائيل من مصر.

وبعث الله في بني إسرائيل أنبياء كثيرين، سكنوا تلك الأرض الطيبة، ونحن أحق بإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ذريته، والصالحون الذين استقاموا على أمر الله تعالى، قال تعالى مقرراً هذا الذي ذكرناه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]، ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ

يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧] وأمرنا ربنا أن نتبع ملة إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٩٥].

إن تاريخنا يمتد إلى الأخيار من بني إسرائيل من المرسلين والأنبياء والصالحين، بل يمتد إلى كل الرسل والأنبياء الذين أرسلهم رب العباد، فالرسل جميعاً على دين واحد هو الإسلام، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

إن بني إسرائيل بعد بعثة عيسى ثم محمد ﷺ انقطعوا عن الفريق الخيِّر من بني إسرائيل، لقد كفر هؤلاء بمحمد ﷺ ، وهم بذلك يكفرون برسلهم وأنبيائهم، ويوم القيامة يعاديهم الأخيار من بني إسرائيل من الرسل والأنبياء والصالحين، ويقذف بهؤلاء في النار، بينما يكون أولئك في جنات النعيم.

وهذا الذي بيّنته في هذا المبحث يدل على فداحة وبطلان قول من يذهب إلى أن من كانوا يسكنون فلسطين من العرب أولى بفلسطين من الأنبياء والرسل والأخيار الذين اتبعوهم على إثرهم.

إن الأرض في الفقه الشرعي لله، وإذا منح الله قوماً أرضاً فهم أحق بها من غيرهم، ولذلك أعطى الله الصالحين من بني إسرائيل أرض فلسطين، ثم نزعها منهم لما كفروا وفسقوا وظلموا.

المطلب الخامس

الأقصى مسرى رسولنا ﷺ فتحها عمر وحررها صلاح الدين

من يدرس تاريخ الأمة الإسلامية يلحظ أن الرسول ﷺ أسري به إليها، وفي عهد عمر انطلقت الجيوش الإسلامية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إلى فلسطين،

وحاصرت القدس، وطلب أهلها أن يسلموا القدس لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب، فسار عمر من المدينة حتى استلم مفاتيح القدس.

وفي عام ١٠٩٥م دعا البابا النصارى إلى استرداد الديار المقدسة من أيدي المسلمين، ووعد من يشارك في الحملات التي تنقض على فلسطين بالمغفرة، وانطلقت الحملات الصليبية تغزو الديار الإسلامية وما حولها، وأول إمارة أقاموها هي إمارة الرها في مارس ١٠٩٨م، واحتلوا القدس في عام ١٠٩٩م، وأكثروا من قتل المسلمين وسفك دمائهم، حتى قتلوا في المسجد الأقصى سبعين ألف مقاتل.

ولم يزل الصليبيون يغيرون على القرى والبلاد والعباد حتى احتلوا فلسطين، ولم يطل الزمان حتى تفاعل المسلمون مع الحدث، وتجمعوا لقتال الصليبيين، ولم يطل الوقت حتى برز في الميدان عماد الدين زنكي، فخاض معارك كبار، وحقق الانتصارات على الصليبيين، وأخذ إمارة الرها من الصليبيين، وقُتل في عام ١١٤٦ ربيع الأول ٥٤١هـ غدراً، وقام ابنه نور الدين محمود مكانه، فقام بجمع المسلمين حوله على كلمة سواء، ولم يزل يقاتل الصليبيين حتى كاد أن يفتح القدس، ولكن المنية عاجلته، وتولى صلاح الدين الجهاد بعده، وانتصر على الصليبيين، وفتح القدس، ولم يزل المسلمون يحاربون الصليبيين حتى أخرجوهم من فلسطين، وبقيت فلسطين وأقصاها تحت حكم المسلمين إلى أن احتلتها بريطانيا، في عام ١٩١٧، وبقيت تعمل بجد لاستقدام اليهود إلى الأرض المقدسة، والتمكين لهم في فلسطين، وفي إمدادهم بالسلاح، ولم تزل تعمل على ذلك حتى خرجت من فلسطين بعد أن أصبح اليهود قادرين على إقامة دولة في أرض فلسطين عام ١٩٤٨.

وجاهد أهل فلسطين اليهود وبريطانيا، ولكنهم لم يستطيعوا وقف التيار الجارف، والوقوف في وجه بريطانيا العظمى، حتى ضاعت منا فلسطين.

إننا أوفياء لدماء الشهداء الذين سقطوا على أرض الإسراء والمعراج، ولن ينام المسلمون على ضيم، إن الإيمان يسري في كياننا، وفي كل يوم يؤزنا ما يفعله اليهود

بنا في أرض الإسراء، وسيبقى ذلك يزعجنا ويؤرقنا، وسيأتي يوم يُنسَفُ فيه اليهود خارج ديارنا، ليعودوا إلى الفرقة والشتات.

المطلب السادس
تسلسل زمني للتواريخ المهمة في قضية فلسطين

أعرض فيما يلي التسلسل الزمني للتواريخ المهمة في الصراع العربي الإسرائيلي.

- **٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧**: الجمعية العامة للأمم المتحدة تصدر القرار رقم ١٨١ الذي يقضي بتقسيم فلسطين الواقعة حينذاك تحت الانتداب البريطاني إلى دولة يهودية ودولة عربية منفصلتين مع تدويل مدينة القدس، وأعلن اليهود قبولهم للقرار بينما رفضه العرب.

- **كانون أول ١٩٤٧ إلى أيار/ مايو ١٩٤٨**: معارك في فلسطين بين الميليشيات اليهودية المحلية والفلسطينيين.

- **١٤ أيار ١٩٤٨**: ديفيد بن غوريون يعلن قيام دولة إسرائيل.

- **١٥ أيار ١٩٤٨**: جيوش مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق والمملكة العربية السعودية تشترك في معارك ضد الدولة الجديدة لتبدأ أول حرب عربية إسرائيلية، واستمرت الحرب مع عمليات وقف لإطلاق النار حتى توقيع الهدنة في عام ١٩٤٩ وظهرت إسرائيل وبحوزتها أراضٍ أكبر بنسبة ٥٠٪ مما هو مخصص لها بناءً على خطة الأمم المتحدة للتقسيم. وخضع قطاع غزة لسيطرة مصر، وخضعت الضفة الغربية والقدس الشرقية لسيطرة الأردن، وقامت إسرائيل بضم كل هذه الأراضي إليها عقب احتلالها في وقت لاحق.

وأصبح ما لا يقل عن ٧٢٦ ألف فلسطيني لاجئين ونزحوا من ديارهم على يد القوات اليهودية.

- **٢٤ شباط ١٩٤٩**: إسرائيل ومصر توقعان على اتفاق الهدنة، وأعقب ذلك اتفاقيات للهدنة مع لبنان (٢٣ آذار) والأردن (٣ نيسان) وسوريا (٢٠ تموز). وظلت خطوط الهدنة في مكانها كأمر واقع وحدود فعلية لإسرائيل، حتى نشوب حرب عام ١٩٦٧.

ورغم اتفاقيات الهدنة نشب قتال بشكل متقطع في فترة الخمسينيات، وشنت المقاومة العربية أيضاً غارات عبر الحدود استهدفت مدنيين إسرائيليين.

- **نيسان إلى حزيران ١٩٤٩**: الجولة الأولى من المفاوضات الإسرائيلية العربية في لوزان تحت رعاية لجنة المصالحة الفلسطينية، ووصلت الجولة الثانية في آب إلى طريق مسدد، وأعلنت اللجنة فشل المباحثات في تشرين ثاني عام ١٩٤٩.

- **أيلول ١٩٥١**: مصر ترفض دعوة مجلس الأمن الدولي فتح قناة السويس أمام الملاحة من وإلى إسرائيل.

- **٢٨ أيلول ١٩٥١**: إسرائيل تدعو إلى مفاوضات مباشرة مع الدول العربية، وتقترح معاهدات عدم اعتداء، وعرضت تعويضات عن ممتلكات اللاجئين.

- **٢٩ تشرين أول ١٩٥٦**: حملة سيناء (العدوان الثلاثي)، إسرائيل تغزو شبه جزيرة سيناء قائلة إنها ترد على غارات للفدائيين العرب وإغلاق قناة السويس ومضيق تيران أمام حركة الملاحة القادمة منها والمتجهة إليها.

وفي ذلك الوقت انتهت الحملة، واحتلت إسرائيل جزيرة سيناء باستثناء شريط عبر قناة السويس وقطاع غزة، ثم انسحبت إسرائيل في آذار ١٩٥٧ بعد نشر قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة على حدود سيناء وضمان واشنطن حق مرور السفن الإسرائيلية عبر مضيق تيران.

- **كانون الثاني ١٩٥٩**: ياسر عرفات ورفاقه يؤسسون منظمة فتح الفلسطينية.

- **٢٨ أيار ١٩٦٤**: تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية.

- **أول كانون الثاني ١٩٦٥**: فتح تقوم بأول عملية عسكرية بمحاولة تفجير ناقلة مياه إسرائيلية.

- **أيار ١٩٦٧**: سنوات من التوتر الإقليمي بين إسرائيل وجيرانها ومن بينها معارك على نطاق صغير، وتبادل غارات عبر الحدود حتى وصلت الأمور لذروتها، وأغلق الرئيس المصري جمال عبدالناصر مضيق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية، وطالب بإبعاد قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة من سيناء، نجح في ذلك، وأعلنت إسرائيل التعبئة بصورة جزئية وبدأ العد التنازلي لحرب ١٩٦٧.

- **٥-١٠ حزيران ١٩٦٧**: حرب الأيام الستة.. في ضربة جوية وقائية دمرت إسرائيل القوات الجوية لكل من مصر وسوريا والأردن، وقد مهد السبيل لهجوم بري، في ذلك الوقت أعلن وقف إطلاق النار ومنيت جيوش مصر وسوريا والأردن بالهزيمة، واحتلت إسرائيل صحراء سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية ومرتفعات الجولان.

- **١٢ حزيران ١٩٦٧**: إسرائيل تعلن أنها لن تنسحب إلى خطوط هدنة عام ١٩٤٩ حتى يتم تحقيق السلام عن طريق المفاوضات المباشرة.

- **٢٩ آب - أول أيلول ١٩٦٧**: اجتماع جامعة الدول العربية في الخرطوم، وتعلن أنه لا سلام مع إسرائيل، ولا مفاوضات مع إسرائيل، ولا اعتراف بإسرائيل.

- **٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧**: مجلس الأمن الدولي يصدر القرار ٢٤٢ الذي يدعو إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي المحتلة في الحرب مقابل السلام.

- **٢٣ نيسان ١٩٦٩**: عبدالناصر يعلن رسمياً أنه لم يعد ملتزماً بشروط الهدنة، وبدأت حرب الاستنزاف بطول قناة السويس حيث شنت القوات الإسرائيلية والمصرية هجمات محدودة برية وجوية وبالمدفعية واستمرت الحرب حتى تم التوصل لوقف لإطلاق النار.

- **٦ تشرين أول عام ١٩٧٣**: شنت مصر وسوريا هجمات مفاجئة ضد إسرائيل وحققت في البداية مكاسب عبر قناة السويس ومرتفعات الجولان، والتئم شمل الجيش الإسرائيلي من جديد وتماسك، وأعلن وقف إطلاق النار يوم ٢٤ تشرين أول، وثبتت القوات الإسرائيلية، وتمسكت بمواقعها على الجانب المصري من القناة وفي العمق في سوريا.

- **٢١ كانون أول**: انعقاد مؤتمر للسلام في الشرق الأوسط في جنيف بمشاركة إسرائيل ومصر والأردن والولايات المتحدة وروسيا وقاطعته سوريا.

- **١٨ كانون الثاني ١٩٧٤**: إسرائيل ومصر توقعان اتفاقية فك الاشتباك في سيناء. وفي ٤ آذار نشرت القوات الإسرائيلية في خطوط جديدة في سيناء، ووقعت اتفاقية مماثلة بين إسرائيل وسوريا في أيار من شأنها انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلت في الحرب الأخيرة.

- **٩ تشرين الثاني ١٩٧٧**: الرئيس المصري أنور السادات يعلن استعداده لزيارة القدس وإلقاء خطاب في الكنيست.

- **١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧**: وصول السادات إلى القدس، ويقوم رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن بزيارة مصر بعدها بفترة قصيرة، وبدأت الدولتان مفاوضات سلام بلغت ذروتها في أيلول ١٩٧٨ بوضع إطار معاهدة كامب ديفيد للسلام.

- **١٦ آذار ١٩٧٨**: إسرائيل تقوم بعملية الليطاني بالتقدم نحو نهر الليطاني لتطهير جنوب لبنان من الفدائيين الفلسطينيين عقب قيام الفلسطينيين بخطف حافلة في إسرائيل وقتل ٣٧ مدنياً، وظلت القوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني حتى أيار ٢٠٠٠.

- **٢٥ أيار ١٩٧٩**: وفقاً لمعاهدة السلام مع مصر بدأ الانسحاب الإسرائيلي المرحلي من سيناء وانتهى في نيسان عام ١٩٨٢.

- **٧ حزيران ١٩٨١**: الطائرات الإسرائيلية تدمر مفاعلاً نووياً عراقياً كان قد أوشك على دخول مرحلة التشغيل.

- **٦ حزيران ١٩٨٢**: إسرائيل تشن عملية السلامة للجليل، وتدعو الخطة في ظاهرها إلى إجبار الفدائيين الفلسطينيين على التراجع للوراء ٤٠ كيلومتراً بعيداً عن الحدود، واتضح فيما بعد أن وزير الدفاع أرييل شارون كان لديه خطة أبعد من ذلك تختمر في عقله تضمنت حكومة جديدة في بيروت، وحاصرت القوات الإسرائيلية العاصمة اللبنانية في ١٣ حزيران.

- **١٦ أيلول ١٩٨٢**: القوات العسكرية اليهودية وميليشيات الكتائب المسيحية اللبنانية ترتكب مذبحة، قُتل فيها ما بين ٤٠٠-٨٠٠ لاجئ فلسطيني في مخيمات صبرا وشاتيلا في بيروت، ووجدت لجنة تحقيق إسرائيلية فيما بعد أن شارون وكبار الضباط الإسرائيليين مسؤولون بشكل غير مباشر عن المذبحة، لعدم توقعهم ما سيحدث في حالة سماحهم للكتائب بدخول المخيمات، وعدم التدخل لمنع أعمال القتل عند بداية حدوثها.

- **٨ كانون أول ١٩٨٧**: تفجر الانتفاضة الفلسطينية الأولى في قطاع غزة، وسرعان ما انتشرت إلى الضفة الغربية، واتسمت الانتفاضة بالمظاهرات الجماهيرية وإلقاء الحجارة على القوات الإسرائيلية.

- **١٨ كانون الثاني ١٩٩١**: ضرب تل أبيب بصواريخ سكود عراقية بعد نشوب حرب الخليج الأولى، ومع استمرار الحرب سقط المزيد من الصواريخ في إسرائيل والضفة الغربية.

- **٣٠ تشرين أول ١٩٩٠**: بدء مؤتمر مدريد حول الحل السلمي للصراع في الشرق الأوسط، وحضر المؤتمر إسرائيل ومصر وسوريا والأردن ولبنان ووفد فلسطيني من الضفة الغربية وغزة، وأدى المؤتمر إلى مباحثات متعددة الأطراف بين الأطراف.

- **١٣ أيلول ١٩٩٣**: إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية توقعان إعلان مبادئ أوسلو يسمح بالاعتراف المتبادل، وعلى مدى السنة التالية انسحبت إسرائيل من منطقة صغيرة من الضفة الغربية وقطاع غزة، ونقلت إلى الحكم الذاتي الفلسطيني، ومن مناطق سلمت إلى السلطة المدنية الفلسطينية، وبدأت عناصر فلسطينية متشددة وخاصة من حماس والجهاد الإسلامي في تفجيرات انتحارية في المدن الإسرائيلية.

- **١٦ تشرين أول ١٩٩٤**: إسرائيل والأردن توقعان معاهدة سلام.

- **أيلول ١٩٩٥**: توقيع اتفاقية أوسلو الثانية بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، لتوسيع حكومة الحكم الذاتي الفلسطينية في الأراضي المحتلة.

- **٤ تشرين الثاني ١٩٩٥**: اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في تل أبيب على يد يهودي متطرف يعارض خطوات السلام مع الفلسطينيين، ورغم تعهد خليفة رابين وهو شيمعون بيريز بالاستمرار في خطوات السلام، فإنه لم يفز في الانتخابات ليخرج من السلطة في ٣١ أيار ١٩٩٦ ويحل محله المتشدد بنيامين نتنياهو.

- **تشرين أول ١٩٩٨**: أسفرت نتائج مباحثات واي ريفر بلانتيشن عن اتفاق على إعادة نشر القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية.

- **أيار ١٩٩٩**: هزيمة نتنياهو في الانتخابات على يد إيهود باراك الذي قال إنه يأمل في التوصل لاتفاق مع الفلسطينيين بأسرع ما يمكن.

- **كانون الثاني ٢٠٠٠**: انسحاب إسرائيل من لبنان إلى الحدود الدولية.

- **١١-٢٥ تموز ٢٠٠٠**: لقاء بين رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود بارك والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات والرئيس الأمريكي بيل كلينتون لإجراء مباحثات مكثفة، ولكنها فشلت في النهاية في وضع اتفاقية للسلام.

- **٢٨ أيلول ٢٠٠٠**: تفجر الانتفاضة الفلسطينية الثانية وتصاعد العنف بسرعة من إلقاء حجارة إلى إطلاق نار وتفجيرات انتحارية.

- **كانون أول ٢٠٠٠**: محاولة إسرائيلية فلسطينية أخرى فاشلة للوصول إلى اتفاق سلام.

- **آذار ٢٠٠٢**: ولي العهد السعودي الأمير عبدالله يعلن خطة للسلام تنص على انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة مقابل الاعتراف.

- **نيسان ٢٠٠٣**: إسرائيل والفلسطينيون يتسلمون خطة السلام الدولية «خطة الطريق» التي تدعو الطرفين إلى القيام بسلسلة خطوات تصل إلى إقامة دولة فلسطينية تعيش جنباً إلى جنب مع إسرائيل، وأعلن الجانبان قبولهما للخطة مع تحفظات، ولكنها سرعان ما تعطلت وسط اتهامات متبادلة بعدم الالتزام.

- **آب ٢٠٠٥**: إسرائيل تبدأ في إجلاء المستوطنين من قطاع غزة ومن أربع مستوطنات بالضفة الغربية، وغادر آخر جندي إسرائيلي القطاع في أيلول.

- **١٢ تموز ٢٠٠٦**: قوات جماعة حزب الله اللبنانية تشن غارات عبر الحدود، وتقتل ثلاثة جنود إسرائيليين وتأسر جنديين آخرين. وأطلقت القوات أيضاً صواريخ على إسرائيل، وردت إسرائيل بغارات جوية مكثفة على لبنان وأرسلت قوات برية مما أشعل حرب لبنان الثانية التي توقفت رحاها يوم ١٤ آب.

- **٢٦-٢٨ تشرين ثاني ٢٠٠٧**: الولايات المتحدة تعقد قمة في أنابوليس بولاية ميريلاند الأمريكية اتفق فيها رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت والرئيس الفلسطيني محمود عباس على استئناف المفاوضات ومحاولة التوصل إلى اتفاق قبل نهاية عام ٢٠٠٨. [القدس: ٦/ ٥/ ٢٠٠٨].

المبحث الخامس
التعريف باليهود الغاصبين لأرض الإسراء

يسمى الغاصبون لفلسطين ببني إسرائيل، وقد أطلقوا على دولتهم اسم إسرائيل، ويسمون أيضاً باليهود.

المطلب الأول
التعريف بإسرائيل وبنيه

إسرائيل هو لقب نبي الله يعقوب، ومعنى «إسرا»: عبد، ومعنى «إيل»: الله، وعلى ذلك فمعنى إسرائيل: عبدالله.

وبنو إسرائيل هم أولاد نبي الله يعقوب، وهم اثنا عشر ولداً، أطلق عليهم اسم الأسباط، ونبي الله يعقوب الذي هو إسرائيل نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل، ووالده أيضاً نبي عظيم، وهو إسحاق، وجدّه خليل الرحمن نبي رسول، وهو إبراهيم عليهم جميعاً السلام، وقد ورد هذا النسب الكريم صحيحاً في القرآن، فنبي الله ورسوله يوسف عليه السلام ابن نبي الله يعقوب يذكر آباءه من الأنبياء فيقول: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٣٨].

ويقول رب العزة عما آتاه خليله إبراهيم بعد اعتزاله قومه: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم:٤٩].

وقال رب العزة في موضع آخر متحدثاً عما وهبه لخليله إبراهيم من الذرية: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء:٧٢]. وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧]. وقال فيهم: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص:٤٥].

وقد رزق الله نبي الله يعقوب اثني عشر ولداً، وأحدهم نبي الله يوسف والأحد عشر الآخرون هم الذين رآهم يوسف عليه السلام يسجدون له في صورة كواكب ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤].

وهؤلاء الأولاد هم الذين سماهم القرآن «الأسباط»، قال تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة:١٣٦]، وقال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقد تناسل كل سبط من هؤلاء فأصبح بمثابة القبيلة، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف:١٦٠] وهؤلاء الأسباط الأمم كانوا مع موسى في التيه، وكان موسى عليه السلام عندما يضرب الحجر ينبثق منه اثنتا عشرة عيناً بعدد أسباطهم، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف:١٦٠].

وأسباط بني إسرائيل الذين انتشروا في أرض الله الواسعة بعد ذلك، منهم الصالحون، ومنهم الفاسدون ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨].

والله - تبارك وتعالى - ينادي ذرية يعقوب ببني إسرائيل، وقد ورد في القرآن ذكر بني إسرائيل صريحاً أربعين مرة، كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [البقرة:٢٤٦]، وقوله: ﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ [يونس:٩٠].

وقد ورد في القرآن نداء يعقوب أولاده في موضعين، في قوله: ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ ﴾ [يوسف:٦٧] وقوله: ﴿ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [يوسف:٨٧].

وقد امتنّ الله على نبيه يعقوب وذريته من بعده بأن جعل فيهم الأنبياء والملوك: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٠]. وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الجاثية:١٦].

وقد ذكر الله تعالى في القرآن عشر من الأنبياء من ذرية يعقوب، في موضع واحد، قال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأنعام:٨٤-٨٥].

وسكن بنو إسرائيل، وهم اثنا عشر سبطاً فلسطين، وخرجوا منها إلى مصر وأقاموا بها مئات السنين، ثم خرجوا منها راجعين إلى فلسطين بقيادة نبيا الله موسى وهارون.

وكان فرعون وملؤه قد استعبدوا بني إسرائيل في مصر، فكانوا يعملون خدماً في منازل الأغنياء، فأرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون مطالباً إياه أن يطلق بني إسرائيل من رق العبودية.

وأنزل الله على موسى وهارون التوراة، وأرسل معه آيات بينات، فكان إذا ألقى عصاه تتحول إلى ثعبان مبين، وإذا أدخل يده إلى جيبه تخرج بيضاء للناظرين، وأرسل على فرعون وقومه الجراد والقمل والضفادع والدم، فلما قسا قلب فرعون، وقست قلوب من معه من الرجال، خرج موسى ببني إسرائيل بأمر من رب العزة تبارك وتعالى، حاملين معهم أموالهم، وما يهمهم أمره، فأتبعهم فرعون بجنوده،

فأدركهم فرعون في الصباح، ونظر بنو إسرائيل فإذا فرعون بجنوده خلفهم، والبحر أمامهم، فأيقنوا أنهم مدركون، وعلى يد فرعون هالكون ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١]، فقال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢] فأوحى الله إلى موسى آمراً إياه أن يضرب بعصاه البحر ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣] وأسفر الانفلاق عن اثني عشر طريقاً يبساً في البحر، فاقتحم موسى وهارون ومن معهم تلك الطرق التي شقت في البحر، فنجو جميعاً، وأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر حتى يرجع كما كان، ليحول به بينهم وبين فرعون وجنده، فنهاه الله عن ذلك ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٤].

لقد زين لفرعون أن يخوض عباب البحر بجنده وراء بني إسرائيل، فلما تتام وجودهم في البحر، أمر الله البحر أن ينطبق عليهم، فأغرقهم جميعا، فكانوا كهشيم المحتظر.

لقد كان إنجاء بني إسرائيل من فرعون وقومه آية من آيات الله تبارك وتعالى، فقد كان فرعون ذا جبروت وطغيان، فأذله الله وأغرقه مع قومه، وبعد ذلك أنجى الله جسد فرعون ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس:٩٢] وجسد هذا الفرعون الطاغية الظالم لا يزال موجوداً في المتحف المصري، يعتبر به من يراه من البشر إلى يوم الدين.

وكثر بنو إسرائيل في الأرض، وأنزل الله عليهم شريعة التوراة، تحوي الهدى والنور، وتدل على الله تبارك وتعالى، وتهدي للتي أقوم، وتدل على الأحكام التي فرضها الله على بني إسرائيل، قال تعالى مثنياً على التوراة، مبيناً ما فيها: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة:٤٣-٤٤].

المطلب الثاني
التعريف بالذين هادوا

سمي بنو إسرائيل في فترة من الفترات باليهود، واشتقاق اليهود، من قولهم: هاد إذا رجع، ولزمهم هذا الاسم من قول موسى عليه السلام: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:١٥٦]. قال ابن كثير: «قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وإبراهيم التيمي، والسدي، وقتادة، وغير واحد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾، أي: تبنا ورجعنا وأنبنا إليك». [تفسير ابن كثير: ٢/ ٩٤٤].

وسبب تسمية اليهود بهذا الاسم فيما نقله القلقشندي عن عماد الدين الكاتب صاحب حماة في «تاريخه»: «أن كثيراً من أجناس العرب والروم وغيرهم، قد دخلوا في اليهودية، وليسوا من بني إسرائيل» [صبح الأعشى: ١٣/ ٢٥٣]. وعلى ذلك فاليهود أعم من بني إسرائيل، فبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب وذريته، الذين كانوا على ما جاءت به أنبياؤهم، واليهود تشمل أبناء بني إسرائيل ومن دخلوا في اليهودية من غيرهم، وعلى ذلك فاليهودي اليوم هو كل من دان بدين اليهودية.

المطلب الثالث
هل اليهود اليوم من ذرية إسرائيل

نقلت في المبحث السابق عن عماد الدين الكاتب أنه أطلق على الذين دانوا بشريعة موسى اسم «اليهود»، لأنه دخل فيهم كثير من العرب والروم وغيرهم.

ودخول غير بني إسرائيل في اليهودية وقع مبكراً، فزوجة فرعون آمنت بموسى عليه السلام، واتبعت الدين الذي جاء به ﴿إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم:١١].

وآمن بموسى رجل من الأسرة الحاكمة في ذلك الزمان، ودافع هذا المؤمن الذي كان يكتم إيمانه عن موسى في المجالس التي تضم الملأ من بني إسرائيل أمام فرعون وآله، ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ [غافر:٢٨].

وكان كعب بن الأشرف الذي آذى الله ورسوله، يهودياً عربياً من قبيلة طيئ من بطن من بطونها يدعى بني نبهان، وقد أغرى رسول الله ﷺ أصحابه بقتله، فإنه كان يهجو رسول الله ﷺ في شعره، ويحرض عليه كفار قريش، ويشبب بنساء المسلمين. [فتح الباري: ٧/ ٤٢٠].

والحديث الذي أغرى الرسول ﷺ بقتل كعب رواه البخاري في مواضع من صحيحه (٤٠٣٧) ويبدو أن أكثر اليهود الذين كانوا في جزيرة العرب، ومنهم بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع كانوا من بني إسرائيل، وكذلك اليهود الذين كانوا يسكنون خيبر، وقد كانت زوجة الرسول ﷺ صفية بنت حيي اليهودي، من ذرية بني إسرائيل، فعن أنس بن مالك، قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يُبكيكِ؟ قالت: قالت لي حفصة: أنت ابنة يهوديّ، فقال النبي ﷺ : إنك لابنة نبيّ، وإن عمّك لنبيٌّ، وإنك لتحت نبي، فبم تفخَرُ عليك؟ ثم قال: اتق الله يا حفصة» أخرجه الترمذي والنسائي. [جامع الأصول: ٩/ ١٤٤، ورقمه: ٦٦٩٢ وسنده صحيح].

وإذا كانت صفية من سلالة نبي الله هارون وعمها موسى، فإن صفية ليست وحدها من ذرية إسرائيل، بل هذا يشمل أباها وجدها وكل أصولها، وكذلك إخوانها وأعمامها، وقد كانت اليهود تحفظ أنسابها في جزيرة العرب، وترجم ابن حجر في «الإصابة» لصفية بنت حيي، فقال: «هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي خبيب من «بني النضير»، وهو من سبط لاوي بن يعقوب» [الإصابة: ٤/ ٣٤٦].

وكثير من أهل اليمن اعتنقوا اليهودية قبل الإسلام، فالرسول ﷺأرسل معاذاً إلى اليمن، وقال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله» [البخاري: ١٤٥٨، مسلم: ١٩] ولم يكن في اليمن نصارى، وقد دخل أكثر يهود اليمن في الإسلام، وبقي طائفة منهم على دينهم إلى اليوم، وقد ارتحل أكثرهم إلى فلسطين بعد احتلال اليهود لها في هذا العصر.

وعلى ذلك فاليهود اليوم قسمان: قسم ينحدرون في نسبهم من نبي الله إسرائيل، والثاني: الذين اعتنقوا اليهودية ودخلوا فيها، وهم من غير بني إسرائيل، وقد اطلعت على مقال كتبه «بنيامين فريدمان» ونشرته مجلة (Common Sense) الأمريكية، وترجم هذا المقال زهدي الفاتح، وعنون له بـ «يهود اليوم ليسوا يهوداً».

والكاتب لم يصب في ادعائه أن هؤلاء ليسوا يهوداً، بل هم يهود ما داموا قد اعتنقوا اليهودية، والذي لا يقبل منهم دعواهم أنهم من ذرية إسرائيل، فلو قال: يهود اليوم ليسوا من ذرية إسرائيل لكان لقوله موضع من الصحة.

ويذكر المؤلف أن اليهود الذين انبثوا في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية هم من يهود الخزر، وقد بذلوا جهوداً هائلة لإقناع المسيحيين بأنهم من أولاد يعقوب أو من ذرية الذين سكنوا الأرض المقدسة.

وقد بيّن الكاتب أن هؤلاء من الخزر، وكان اليهود قد كوّنوا لهم دولة عظيمة في الخزر تزيد مساحتها على ٨٠٠ ألف ميل مربع، وأصبحت تلك الدولة أكبر مملكة في أوروبا على الإطلاق، وملكت هذه الدولة في القرن العاشر أعظم قوة عسكرية في أوروبا، وحكم اليهود هذه الدولة، فكان لا يصل إلى الحكم إلا من يدّعي أنه يهودي [يهود اليوم ليسوا يهوداً، ص١٧]، ثم قضى الروس على هذه الدولة في القرن العاشر، ومقصد اليهود من الحملة الإعلامية الضخمة كسب الشعب الأمريكي، وتقبلهم لليهود.

ولمزيد من التضليل زعموا أن عيسى ابن مريم كان ملك اليهود، وليس الصواب من الأمر أن ننكر أن عيسى كان من بني إسرائيل، ولكن الصواب أن نبين أن كثيراً من اليهود كفروا بعيسى وأرادوا قتله، بل هم يعتقدون أنهم قتلوه، وهم يزعمون أنه ابن زنى، وكل ذلك كذب وافتراء على عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع
التعريف بالشخصية اليهودية

الشخصية اليهودية الكافرة على اختلاف الزمان والمكان شخصية واحدة في تركيبها وخصائصها وأخلاقها وتطلعاتها، والسبب في ذلك أن العناصر التي تشكل هذه الشخصية عناصر مشتركة على مستوى الأمة اليهودية.

فاليهود الكفار موقفهم من ربهم موقف متعال متعجرف، فقد ادعوا أن الله فقير، وهم أغنياء ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:١٨١] وقالوا كاذبين على الله: يد الله مغلولة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة:٦٤].

واليهود قتلوا أنبياءهم، وكذبوا عليهم، فرموا بعضهم بالزنا بمحارمه، ورموا آخر بالسحر وعبادة الأوثان، ورموا آخر بالكذب ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠].

واليهود أحرص الناس على حياة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] واليهود جبناء ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤].

واليهود سماعون للكذب أكالون للسحت ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [المائدة:٤١] وقال فيهم: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢] واليهود حرّفوا كلام الله عن مواضعه ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦].

واليهود اتصفوا بالمكر والخداع والكيد ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦].

وقد اتخذ اليهود دين المسلمين هزواً ولعباً ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة:٥٧]، ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة:٥٨]، ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤].

وهم حاقدون على المؤمنين، قد أكل الغيظ قلوبهم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١١٩].

وهم أكلة أموال الناس بالباطل ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [التوبة:٣٤]، واليهود يخلطون الحق بالباطل فيفسدونه ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [آل عمران:٧١].

هذا فيض من غيض من بعض المعالم التي ذكرها الله عن هذه الأمة، وهذه المعالم هي التي تشكل الشخصية اليهودية، لقد أضحت هذه الشخصية شخصية مريضة ملتوية مضطربة قاسية، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤].

وقد لعن الله اليهود الكفرة، وكل اليهود بعد بعثة محمد ﷺ إذا لم يؤمنوا به كفرة، ولعن الله لهم يزيل البقية الباقية من الخيرية في نفوسهم ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم

مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]، ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨].

وهذا الصنف من البشر يستحق أن يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وأن يغشيهم بغضبة، ويسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧] كما يستحقون أن يمسخ أمثالهم قردة وخنازير ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠].

المطلب الخامس

أين كان بنو إسرائيل وإلى أي شيء صاروا؟

الغصن الأول

أين كان بنو إسرائيل

كان بنو إسرائيل في الماضي في عهد أبيهم يعقوب ومن بعده من الرسل والأنبياء، كموسى وهارون، وداود وسليمان زهرة الدنيا وعطرها الفواح، كانوا أفضل الناس وخير الناس في زمانهم، وقد خاطب نبي الله موسى قومه قائلاً: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٠].

وحدثنا ربنا تبارك وتعالى عن إنجائه بني إسرائيل من العذاب المهين الذي كان يصبه فرعون عليهم، وأخبرنا أنه اختارهم على علم على العالمين ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ [الدخان:٣٠-٣٣].

وقد أمر الله بني إسرائيل أن يذكروا نعمه التي أنعم بها عليهم، وخاصة تفضيله إياهم على العالمين ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧].

الغصن الثاني
إلى أي شيء صار اليهود ؟

أخبرنا الله تبارك وتعالى أنه لعن الذين كفروا من اليهود، وأخبرنا أن نبي الله داود ونبيه وعيسى ابن مريم عليهما السلام لعنوهما، فكيف يكون لهم احترام وتوقير بعد أن أحاط بهم اللعن، فأزال كل خير في نفوسهم، وأصبحوا مذمومين محتقرين، قال تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨]، وقال: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، وقال: ﴿وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٤٦]، وقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥٢]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة:٦٤].

وقال في لعن داود وعيسى ابن مريم للكافرين منهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

وقد ذهبت الخيرية من بني إسرائيل، وأحلّ الله بهم غضبه فهو لا يفارقهم، روى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يُحدِّث عن رسول الله ﷺ: «أنه لقي زيدَ بن عمرو بن نُفَيْلٍ بأسفل بَلْدَح، وذلك قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدَّم إليه النبي ﷺ سُفرةً فيها لحم، فأبى أن يأكلَ منها، ثم قال زيد: إني لا آكلُ مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكلُ إلا ما ذُكِرَ اسمُ الله عليه».

زاد في رواية: وإن زيدَ بنَ عمرو بن نفيل كان يعيبُ على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاةُ خلقها الله، وأنزل لها من السماء ماءً، وأنبتَ لها من الأرض، ثم أنتم تذبحونها على غير اسم الله ؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

قال موسى: «وحدثني سالم - ولا أعلم إلا يُحدّث به عن ابن عمر - أن زيد ابن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويبتغيه، فلقيَ عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم؟ فقال: إني لعلِّي أن أدينَ دينكم، فأخبرني. قال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، قال زيد: ما أفِرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمِلُ من غضب الله شيئاً أبداً وأنّا أستطيعُه؟

فهل تدُلُّني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً، قال زيد: وما الحنيفُ؟ قال: دين إبراهيمَ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد، فلقي عالماً من النصارى، فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع؟ فهل تدلّني على غيره؟

قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج، فلما برز رفع يديه وقال: اللهم اشهدْ أني على دين إبراهيم» [أخرجه البخاري، جامع الأصول: ٩/ ٢٣٥، ورقمه ٦٨٢٨].

المطلب السادس

إيتاء بني إسرائيل التوراة

من النعم الكبار التي أنعم الله بها على بني إسرائيل إنزاله التوراة عليهم، فهي واحدة من الكتب السماوية الخمس، وهي: القرآن، والتوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم، والزبور الذي أنزله على داود.

الغصن الأول

الغاية من وراء إنزال التوراة إليهم

أنزل الله تعالى التوراة لتكون كتاب هداية لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٩]، وقال: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:٥٣]، وجعل الله هذا الكتاب إماماً ورحمة ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود:١٧]، وسمى الله الكتاب الذي أنزله على موسى وهارون التوراة ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٣]. وقد جعل الله فيها الهدى والنور ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤]، وألزم بني إسرائيل بإقامة التوراة فيما بينهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

واليهود من غير إقامة التوراة لا يساوون شيئاً ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة:٦٨].

وضرب الله مثلاً لليهود والنصارى الذين كلفوا بحمل التوراة فلم يحملوها بالحمار يحمل أسفاراً ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

الغصن الثاني

التعريف بالتوراة

قال الشهرستاني فيما حكاه عنه القلقشندي معرفاً بالتوراة: «والذي يظهر أن لفظ «التوراة» عبراني مُعَرَّب: لأن لغة موسى عليه السلام كانت العبرانية، فناسب أن

تكون من لغته التي يفهمها قومه، قال الشهرستاني في «النحل والمِلَل»: وهي أول منزَلٍ على بني إسرائيل سمِّي كتاباً، إذ ما قبلها من المنزَّل إنما كان مواعظ ونحوها.

قال صاحب حماة: وليس فيها ذِكْر القيامة ولا الدار الآخرة ولا بعث ولا جنة ولا نار، وكل وعيد يقع فيها إنما هو بمجازاة دنيوية، فيوعدون على مجازاة الطاعة بالنصر على الأعداء، وطول العمر، وسعة الرزق ونحو ذلك؛ ويوعدون على الكفر والمعصية بالموت ومنع القطر والحُميَّات والحرب، وأن ينزل عليهم بدل المطر الغُبار والظُّلمة ونحو ذلك، يشهد لما قاله قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ الآية [النساء:١٦٠]، فجعل الظلم سبباً للتحريم.

قال: وليس فيها أيضاً ذمُّ الدنيا، ولا طلب الزُّهد فيها، ولا وظيفة صلواتٍ معلومة، بل في التوراة الموجودة بأيديهم الآن نسبةُ أمورٍ إلى الأنبياء عليهم السلام من الأسباط وغيرهم لا تحل حكايتها». [صبح الأعشى للقلقشندي: ١٣/ ٢٥٤]. ومراد الشهرستاني في التوراة: التوراة المحرفة، لا التوراة الصحيحة.

ويطلق اليهود اليوم على الأسفار التي تحوي دينهم اسم «العهد القديم» وهي تحوي تسعة وثلاثون سفراً وهي أربعة أقسام:

الأول: وهو الكتاب الذي أنزل على موسى، وهو خمسة أسفار: ١- التكوين ويختص بتاريخ العالم. ٢- والخروج ويختص ببني إسرائيل في مصر وخروجهم منها. ٣- والتثنية ويختص بأحكام الشريعة اليهودية. ٤- وسفر اللاويين ويختص بشؤون العبادات. ٥- وسفر العدد، ويختص بإحصاء اليهود لقبائلهم وجيوشهم وأموالهم.

أما **القسم الثاني** من العهد القديم، فيتكون من اثني عشر سفراً خاصة بتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على أرض كنعان.

و**القسم الثالث** من خمسة أسفار تختص بالأناشيد والعظات.

والرابع من سبعة عشر سفراً كل منها يختص بتاريخ نبي من أنبيائهم بعد موسى.

أما التلمود فهو مجموعة شروح للشرائع المنقولة شفاهة عن موسى وهما تلمودان: واحد تم تدوينه في فلسطين، والثاني كُتب في بابل. [الموسوعة الإسلامية، ص١٤٦٨].

فِرَق اليهود:

انقسم اليهود إلى أكثر من فرقة اختلفت فيما بينها حول الأخذ بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية لموسى أو إنكار بعضها. وأهم هذه الفِرَق خمس فِرَق: الفريسيون (الربانيون)، الصدوقيون، والسامريون، والحسديون (المشفقون)، والقراؤون (الكتابيون المتمسكون بالأسفار ويُعرفون أيضاً بالعنانيين نسبةً إلى مؤسسها عنان بن داود). ولم يبق من هذه الفِرَق إلا الربانيون والقراؤون والسامريون وبينهم اختلافات شديدة حول الطقوس والشرائع والمعاملات. أما اليهود المعاصرون فينقسمون بين سفارديم وهم اليهود الشرقيون بما فيهم ذوي الأصول العربية والإسبان والبلقان، وإشكنازيم وهم اليهود الغربيون. [الموسوعة الإسلامية، ص١٤٦٨].

الغصن الثالث

تحريف بني إسرائيل للتوراة

تكفل الله بحفظ كتابنا العظيم (القرآن) فبقي حافظاً للأمة هادياً لها وسيبقى إلى يوم الدين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] وعهد الله بحفظ التوراة إلى الربانيين والأحبار من علمائهم، فأضاعوها، ولم يحفظوها، ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة:٤٤].

وقد كانت التوراة موجودة بتمامها إلى عصر زكريا ويحيى وعيسى ابن مريم[1]، وبعد هذا العصر شرع بنو إسرائيل في إخفاء بعض التوراة، وتأويلها، وتحريفها، وتبديلها، وتغييرها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

قال ابن كثير: «أخبر تعالى أنهم يفسرونها ويتأولونها، ويضعونها على غير مواضعها، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء، وهو أنهم يتصرفون في معانيها، ويحملونها على غير المراد، كما بدلوا حكم الرجم بالجلد والتحميم، مع بقاء لفظ الرجم فيها، وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، مع أنهم مأمورون بإقامة الحد والقطع على الشريف والوضيع» [البداية والنهاية: ٢/ ١٤٩].

الغصن الرابع
مدى التحريف الذي أصاب التوراة

ذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريف أصاب التوراة كلها، حتى إنه لم يبق فيها مسألة إلا غيرت وبدلت، وذهب آخرون إلى أن التحريف الذي أصابها إنما هو في التأويل والتفسير، أما نصوصها فهي صحيحة.

ومن درس التوراة وجد فيها طامات وأكاذيب لا يمكن أن تكون منزلة من عند الله، ووجد فيها نصوصاً صحيحة أخبر قرآننا بصحتها، وقد نقل ابن كثير عن شيخه ابن تيمية أنه قال بهذا القول، ورجحه، وفي ذلك يقول: «وذهب آخرون من العلماء إلى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الإمام العلاّمة أبو العباس ابن

(١) لا يمكن أن تُحرَّف التوراة أو تغير مع وجود نبي، لأن الوحي يقوم بتقويم ذلك وتصويبه، ولكن يكون التحريف بعد انقطاع الوحي.

تيمية رحمه الله تعالى، فقال: أما من ذهب إلى أنها كلها مبدلة من أولها إلى آخرها، ولم يبق منها حرف إلا بدلوه، فهذا بعيد، وكذا من قال لم يبدل شيء منها بالكلية بعيد أيضاً، والحق أنه دخلها تبديل وتغيير، وتصرفوا في بعض ألفاظها بالزيادة والنقص، كما تصرفوا في معانيها، وهذا معلوم عند التأمل» [البداية والنهاية: ٢/ ١٤٩].

الغصن الخامس
ما يأخذ ويترك من التوراة

إذا كان بعض التوراة صحيحاً وبعضها محرفاً، فما دلنا القرآن أو صحيح الأحاديث على صحته أخذنا به وقبلناه، وما دلتنا على كذبه وبطلانه رددناه، وما ليس فيه بيان، وليس فيه ما يكذبه القرآن والحديث فلا نصدقه ولا نكذبه.

ويدل لصحة هذا المنهج ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة:١٣٦]» [البخاري: ٤٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢].

قال ابن حجر في شرحه للحديث في الموضع الأول لرواية البخاري له: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً، لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه، فتقعوا في الحرج. [فتح الباري: ٨/ ٢١٤].

وقد أنكر ابن عباس رضي الله عنهما على هذه الأمة أن يسألوا أهل الكتاب، ونصح هذه الأمة أن تكتفي بما أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ ، ففي صحيح البخاري عن عتبة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابُكم الذي أُنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه لم يُشب؟ وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله، وغيّروا

بأيديهم الكتاب، فقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٧٩] أفلا يَنهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجُلاً قطُّ يسألكم عن الذي أُنزل عليكم». [البخاري: ٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٥٢٢، ٧٥٢٣].

وقال ابن حجر: «أخرج عبدالرزاق من طريق حريث بن ظهير قال: قال عبدالله: لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل» [فتح الباري: ١٣/٤٠٨].

وقد حذر معاوية بن أبي سفيان عن الرواية عمن أسلم من اليهود، فيما يحدثون به عن كتبهم، فعن حميد بن عبدالرحمن أنه «سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان من أصدق المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا - مع ذلك - لنبلو عليه الكذب» [البخاري: ٧٣٦١].

قال ابن حجر: «قال ابن حبان في «الثقات»: أراد معاوية أنه يخطئ أحياناً فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذاباً» [فتح الباري: ١٣/٤٠٩].

وقد أغرق بعض المفسرين في إيراد الإسرائيليات في تفسيره لكتاب الله، وبعضهم دخل عليه ما أوردوه من تحريفاتهم للتوراة، فمن ذلك تحريفهم للنص المتحدث عن الذبيح، وزعموا أنه رسول الله إسحاق، والصحيح من القول أنه أخوه إسماعيل، وسيأتي بيان هذا وتحقيق القول فيه.

والواجب على أهل العلم أن يحكموا القرآن فيما يعرض من أخبار التوراة، فالقرآن مهيمن على الكتب السابقة كلها، ومبين لما فيها.

الغصن السادس
تصديق القرآن التوراة

صدق القرآن كثيراً من الأخبار التي وردت في التوراة مع أن بعض التفاصيل غير صحيحة، فمن ذلك خلق الله آدم عليه السلام من تراب، ثم نفخ في أنفه نسمة حياة،

فصار آدم نفساً حية، ومن ذلك قصة نوح التي انتهت مع قومه بالطوفان، ومن ذلك قصة إبراهيم وأولاده إسماعيل وإسحاق وحفيده يعقوب، والأسباط أبناء يعقوب، وفيهم نبي الله يوسف، وفيها قصة يوسف مع إخوته التي انتهت بخروج يعقوب وأولاده من فلسطين إلى مصر، وفيها قصة موسى وبني إسرائيل مع فرعون التي انتهت بخروج بني إسرائيل من مصر، وإهلاك فرعون وجيشه، وقصة نبي الله داود وابنه سليمان، وما أعطاهما الله من ملك، ومن يقرأ التوراة يجدها في آخرها بدءاً من سفر أشعيا إلى آخر ما دُوِّن منها، تتحدث عما يأتي:

١- تذكير بني إسرائيل بالنعم التي أنعم الله بها على آبائهم، وكيف كثّرهم الله، وأرسل لهم الأنبياء، وأخرجهم من مصر وظلم فرعون، وأعطاهم الأرض المقدسة.

٢- تذكيرهم بالعهد الذي أخذه عليهم بعبادته وحده لا شريك له.

٣- تبكيتهم على كفر بعض آبائهم وكفرهم هم من بعدهم وفسادهم وشركهم بالله.

٤- تذكيرهم بما أوقعه الله بهم أو سيوقعه من مصائب وما يسلطه عليهم من خراب ودمار وأعداء.

٥- نبوءات الأنبياء التي تتحدث عما سيقع من وقائع في مقبل الزمان، ومن ذلك حديثهم عن الرسول الخاتم محمد ﷺ وأرض مبعثه، وموضع هجرته، وبيان صفاته، وصفات أمته، والنصر الذي سيحل عليه، وغير ذلك، والقرآن مليء بهذه الأمور التي حدَّث بها أنبياء بني إسرائيل.

الغصن السابع
نصوص التوراة الصحيحة والنصوص الباطلة والمحرفة

بينت فيما سبق أن القول الصواب في التوراة أن فيها نصوصاً صحيحة، وأخرى باطلة مكذوبة.

وسأتناول في هذا المبحث ثلاثة أمور:

الأول: النصوص التي حكى القرآن أنها موجودة في صحف إبراهيم، وصحف موسى وهي التوراة والكتاب الذي أُنزل على داود وهو الزبور.

الثاني: الأحكام التي دلَّ القرآن على أنها موجودة في التوراة.

الثالث: الأمور التي دلّ القرآن على أنها محرفة في التوراة.

أولاً: النصوص التي صرح القرآن أنها موجودة في التوراة:

١- **بعض ما تضمنته سورة الأعلى:** في خاتمة سورة الأعلى أخبرنا ربنا تبارك أن بعضاً مما تضمنته السورة موجود في صحف إبراهيم وصحف موسى عليه السلام وهي التوراة، وفي ذلك يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٨-١٩].

والآيات التي في التوراة هي الآيات التالية أو بعض منها ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى:٩-١٧].

٢- **وأعلمنا ربنا في سورة النجم عن بعض ما في صحف إبراهيم وموسى:** قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا

مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ [النجم:٣٦-٦٢].

٣- **صفة أمة محمد في التوراة والإنجيل:** أخبرنا ربنا تبارك وتعالى عن صفة صحابة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح:٢٩].

وهذه النصوص الثلاثة إذا بحثت في التوراة فلم تجدها فاعلم مستيقناً أنها مما حذفته اليهود من التوراة من غير شكٍّ ولا ريب.

٤- **وأعلمنا ربنا تبارك وتعالى عن بعض ما في زبور داود** عليه السلام، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

وفي المزمور السابع والثلاثين لداود فقرات كلها ذكر، قال بعدها [فقرة: ٩-١١] «لأن عاملي الشرّ يقطعون، والذين ينتظرون الرب هم يرثون، بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع في مكانه فلا يكون، أما الودعاء فيرثون الأرض، ويتلذذون في كثرة السلامة».

وبعد فقرات من الذكر في المزمور نفسه قال: «لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون» [المزمور السابع والثلاثون، فقرة: ٢٢].

وقال أيضاً في [الفقرة التاسعة والعشرين من المزمور نفسه]: «الصديقون يرثون الأرض ويسكونها إلى الأبد» وفي الفقرة الرابعة والثلاثين: «انتظر الرب واحفظ طريقه، فيرفعك لترث الأرض».

ثانياً: الأحكام التي أخبر القرآن أنها في التوراة:

دلنا القرآن أن بعض الأحكام التي فرضها الله على بني إسرائيل لا تزال موجودة في التوراة إلى اليوم الذي كان القرآن يتنزل على محمد ﷺ، ومن هذه الأحكام:

١- **حكم القصاص في النفس والأعضاء:** ومن الأحكام التي أخبرنا الله أنها لا تزال في التوراة ما ذكره في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

ولا يزال هذا الحكم موجوداً في التوراة، ففي [سفر الخروج، الإصحاح الحادي والعشرين: ٢٣-٢٥] «وإن حصلت أذية تُعْطي نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسناً بسن، ويداً بيد، ورجلاً برجل، وكيّاً بكي، وجرحاً بجرح، ورضاً برض».

وقد فصلت التوراة الأحكام الخاصة بالقتل في [سفر العدد، الإصحاح الخامس والثلاثون: ٩-٢٨] ومما جاء في ذلك: «إن ضربه بأداة حديد فمات فهو قاتل، إن القاتل يقتل، وإن ضربه بحجر يد مما يقتل به فمات فهو قاتل، إن القاتل يقتل، أو ضربه بأداة يد من خشب مما يقتل به فهو قاتل إن القاتل يقتل، ولي الدم يقتل القاتل، حين يصادفه يقتله».

٢- **حكم الزانية والزاني:** تحاكم اليهود إلى رسولنا في رجل وامرأة منهما زنيا، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٤٣].

ولا يزال في التوراة إلى اليوم حكم الزنا الذي أخبر الله أنه موجود فيها، ففي [الإصحاح العشرين من سفر اللاويين: ١٠-٢١] بيان لأحكام الزنا، وفيها بعض

التفصيل، ومن ذلك قوله: «وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه، فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان كلاهما، دمهما عليهما، ومن اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما، قد فعلا فاحشة، دمهما عليهما».

وجاء في سفر التثنية، الإصحاح الرابع والعشرين: ١٧-١٨ «لا تكن زانية في بنات إسرائيل، ولا يكن مأبون من بني إسرائيل، لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر، لأنهما كليهما رجس لدى الرب إلهك».

٣- كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه: قال تعالى مخبراً بذلك: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣].

وقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣] يدل على أن هذا الحكم بنصه كان موجوداً في التوراة أيام تنزل القرآن.

٤- المحرم على بني إسرائيل من الأنعام: أعلمنا ربنا تبارك وتعالى بما حرمه على بني إسرائيل من الأنعام، فقال: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٦-١٤٧].

والمذكور في التوراة اليوم ليس فيه هذا البيان الذي في القرآن، ففي [سفر اللاويين، الإصحاح الأول: ٢] «فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم».

وفي [الإصحاح السابع من سفر اللاويين: ٢٢-٢٣] «وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل: كل شحم ثور أو كبش أو ماعز لا تأكلوا».

٥- **تلاعب اليهود بالتوراة وعدم تحكيمهم لأحكامها**: تلاعب اليهود بأحكام التوراة، فمن ذلك عدم إقامتهم الحد الذي أوجبه على الزانية والزاني، وقد تحاكموا إلى رسول الله ﷺ في رجل وامرأة زنيا، فأنكر الله عليهم تحاكمهم إلى الرسول ﷺ مع وجود الحكم في كتابهم ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٤٣]. وقد طلب الرسول ﷺ من اليهود الذين تحاكموا إليه أن يبينوا حكم التوراة في اللذين زنيا، فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فأمرهم بإحضار التوراة، فلما جاؤوا بها وجعلوا يقرؤونها ويكتمون آية الرجم التي فهيا، ووضع عبدالله بن صوريا يده على آية الرجم، وقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له رسول الله ﷺ : ارفع يدك يا أعور، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فأمر رسول الله ﷺ برجمهما.

وقد أورد الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلته الصحيحة حديث «إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه، وتركوا التوراة» [حديث رقم: ٢٨٣٢، المجلد السادس، القسم الثاني، ص٨٠٢] وهذا الكتاب هو «المشنا» وهو حمل بعير، وحسبنا ما أخبرنا به ربنا تبارك وتعالى عن اليهود: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:٧٩].

ثالثاً: الأحكام والأخبار المحرفة في التوراة:

١ - **دعواهم أن الله خلق السموات والأرض، فتعب فاستراح**: حرف اليهود التوراة المتحدثة عن خلق الرب تبارك وتعالى السموات والأرض في ستة أيام، فادعوا كاذبين أنه استراح في اليوم السابع من عمله الذي عمله، جاء في [الإصحاح الثاني من سفر التكوين، ٢-٣]: «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً».

وجاء في سفر الخروج: «الآن في ستة أيام صنع الله السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه» [سفر الخروج، الإصحاح العشرون، فقرة: ١١].

وجاء في سفر الخروج أيضاً: «لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس» [سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون، فقرة: ١٧].

وقد أكذب القرآن الكريم هذا الذي نسبوه إلى الله فقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨] واللغوب: التعب.

٢- دعواهم أن الذبيح إسحاق: ومن التحريف المفضوح في التوراة دعوى اليهود أن الذي أمر الله نبيه إبراهيم بذبحه من أولاده هو ابنه إسحاق، فقد جاء في [سفر التكوين، الإصحاح الثاني والعشرون، الفقرة ٢] أن الله خاطب إبراهيم فقال له: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك».

وقد جعل هذا التحريف التوراة متناقضة أيما تناقض، فهذا النص صرح تصريحاً لا لبس فيه أن إسحاق ابنه الوحيد، والابن الوحيد هو الذي لا يوجد له أخ آخر معه.

وقد صرحت التوراة أن إسماعيل ولد لإبراهيم، وكان إبراهيم في السادسة والثمانين من عمره، ففي [سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر: ١٦] «وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام».

وقد صرحت التوراة أن عمر إبراهيم كان مائة سنة عندما وُلد له إسحاق، جاء في [سفر التكوين، الإصحاح الحادي والعشرون، الفقرة: ٥] «وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين وُلد له إسحاق».

فالابن الذي كان وحيد إبراهيم طيلة أربع عشرة أو خمس عشرة سنة هو إسماعيل كما يظهر من النصين السابقين، وإسحاق لم يكن يوماً وحيداً لإبراهيم، لأنه الابن الثاني لإبراهيم، لقد حرّف اليهود التوراة وأقحموا إسحاق لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحرفوا هذا النص حسداً منهم للعرب، وهذا تأويل باطل، فإنه لا يقال: فلان وحيد أبويه، إلا إذا لم يكن لهما غيره.

النصوص الدالة على أن الذبيح إسماعيل:

ولا يوجد في الكتاب والسنّة نص يدل على أن الذبيح إسحاق، وقد دل القرآن على أن الذبيح إسماعيل من وجوه:

الأول: أن الله أخبر أن الذبيح كان حليماً ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠١-١٠٢]. وقد وصف الله إسحاق حين بشر به إبراهيم بالعلم لا بالحلم ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣] والحلم أخص بمن ابتلي بالذبح.

الثاني: أن الله وصف إسماعيل بالصبر دون أخيه إسحاق ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٨٥] لأنه صبر على الذبح.

الثالث: وصف الله إسماعيل بصدق الوعد، لأنه وعد أباه بالصبر على الذبح فوفى بما وعد به ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم:٥٤].

الرابع: كلما ورد في القرآن ذكر إسماعيل وإسحاق مقترنين قدم إسماعيل على إسحاق في الذكر، لأنه وُلد قبله ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة:١٣٣].

وانظر سورة البقرة، الآيات: ١٣٦، ١٤٠، وآل عمران، آية: ٨٤، والنساء: ١٦٣، وإبراهيم: ٣٩.

وكل هذا يدل على أن بكر إبراهيم وحيده هو إسماعيل.

الخامس: ذكر الله في صورة الصافات دعاء إبراهيم ربه أن يهبه من الصالحين، وتبشير الله إياه بغلام حليم، ورؤيا إبراهيم أنه يذبح ولده الموهوب له، وتصديق إبراهيم الرؤيا بصرعه ولده وتلّه للجبين، ومناداة الله إبراهيم ومفاداة إسماعيل بالذبح العظيم، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢] «فدل ذلك على أن المبشر به في الأولى غير المبشر به في الثانية، لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: وبشرناه بإسحاق، فهو تكرار لا فائدة فيه، ينزه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدي بالذبح العظيم، هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك» [أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي: ٦/ ٦٩٢].

السادس: ذكر الله تبارك وتعالى تبشير الملائكة لسارة زوجة إبراهيم عليه السلام بإسحاق مقرونة بولده يعقوب ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] فلا يعقل أن يبشر الله إبراهيم بإسحاق مقترناً معه البشارة بولد يولد لإسحاق هو يعقوب، ثم بعد ذلك يبتليه بذبح إسحاق، وقد علم على وجه اليقين أنه يعيش حتى يتزوج ويولد له ولد.

دلالة السنّة على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام :

ثبت في السنّة أن قرني الكبش الذي ذبحه إبراهيم فداءً لابنه كان متوارثاً في أهل الحرم معلقاً في الكعبة حتى جاء الإسلام، ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله قال: «حدثنا سفيان، قال: حدثني منصور، عن خاله مُسافع، عن صفية بنت شيبة أم منصور، قالت: أخبرتني امرأة من بني سُلَيم ولّدت عامةَ أهل دارنا: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة. وقال مَرَّةً: إنها سألت عثمان بن طلحة: لِمَ دعاك النبي ﷺ ؟ قال: إني كنت رأيت قرني الكبش[1] حين دخلتُ البيت، فنسيت أن آمُرَكَ أن

(١) هو قرن الكبش الذي فُدي به إسماعيل عليه السلام .

تُخَمِّرَهُما، فخمِّرْهُما، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي. قال سفيان: لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا» [قال المحقق فيه: إسناده صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ١٧/ ١٩٦، ورقمه: ١٦٦٣٧].

وقال ابن كثير بعد سياقه للحديث: «وهذا دليل مستقل على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام فإن قريشاً توارثوا قرني الكبش الذي فدى به إبراهيم خلفاً عن سلف، وجيلاً بعد جيل، إلى أن بعث الله رسوله ﷺ» [تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٩٨٦].

وعن الأصمعي: قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، قال: «يا الأصمعي، أين عزب عنك عقلك؟ ومتى كان إسحاق بمكة، إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكة» [تفسير القرطبي: ١٥/ ١٠٠].

٣- كذبهم على نوح في التوراة: كذب اليهود في التوراة عندما زعموا أن نبي الله نوح «شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً» [سفر التكوين، الإصحاح التاسع: ٢١-٢٢] وعندما أعلم أخوا كنعان ما كان منه، قال نوح: «ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته» [التكوين، الإصحاح التاسع، فقرة: ٢٥].

٤- كذب اليهود على نبي الله إبراهيم بدعواهم أنه تزوج أخته من أبيه: من افتراء اليهود على أبينا إبراهيم عليه السلام أنهم ادعوا كاذبين أن زوجته كانت أخته من أبيه، فقد قال إبراهيم لأبي مالك عن زوجته، «وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة» [التكوين، الإصحاح العشرون، الفقرة: ١٢].

٥- كذب اليهود على لوط في التوراة وادعوا أنه زنى بابنتيه: ومن الجرائم التي دوّنها محرفو التوراة في التوراة أن نبي الله لوط عليه السلام الذي قضى عمره في محاربة الرذائل الخبيثة في قومه زنى بابنتيه الواحدة بعد الأخرى، جاء في سفر التكوين: «وصعد لوط من صوعر، وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوعر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس

في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلمَّ نسقي أبانا خمراً، ونضجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً» [الإصحاح التاسع عشر: ٣٠-٣٣] وقد ذكر بقية الإصحاح أنهما اضجعتا معه وهو سكران، وأنجبت كل واحدة منهما منه ولداً، فالأولى ولدت ابناً سمته موآب، هو أبو الموآبيين، والثانية ولدت ابنته سمته عمون، وهو أبو العمونيين، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

٦- **أسطورة مصارعة يعقوب ملاك الرب**: من التحريف الذي دوّنه محرفو التوراة دعواهم أن يعقوب صارع ملاك الرب ليلة حتى طلوع الفجر، وفي ذلك يقولون: «وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال أطلقني، لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال: ما اسمك، فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله ومع الناس وقدرت» [تكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون: ٢٤-٢٨].

٧- **رمى اليهود نبي الله داود بالزنا**: رمى الذين حرفوا التوراة نبي الله داود عليه السلام بالزنا الصريح، ففي سفر صموئيل الثاني أن داود قام في وقت المساء عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على سطح بيت الملك امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود فسأل عن المرأة، فأرسل من جاء بها، وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها، وهي مطهرة، وحبلت المرأة وأخبرت داود بحبلها.

وذكر بقية الإصحاح أن داود احتال لجعل زوجها في وجه الحرب، فقتل، فضمها داود إلى نسائه. [الإصحاح الحادي عشر، فقرة: ٣-٢٦].

وقد برّأ رسولنا ﷺ داود مما رمته به يهود، فداود كما صحّ في الأحاديث نبي معصوم، وخير الصيام صيامه، كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وخير القيام قيامه، كان يقوم ثلث الليل، ولم يأكل إلا من كسب يده.

٨- **رمي اليهود ابنة نبي الله يعقوب بالزنا**: زعم محرفو التوراة كاذبين على أن نبي الله يعقوب زنت، ففي سفر التكوين: «خرجت دينه ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض، فرآها شكيم بن حمور الحِوي رئيس الأرض، وأخذها واضطجع معها وأذلها» [تكوين، الإصحاح الرابع والعشرون: ١-٢] صحيح أن يعقوب وأبناءه كما يذكر هذا السفر انتقموا من الرجل الذي زنى بأختهم وقتلوه وأباه وقومه، ولكن نسبة هذه الجريمة إلى ابنة نبي عظيم لا يجوز أن يؤذن بها.

٩- **كذب اليهود على نبي الله هارون وادعاؤهم أنه هو الذي صنع العجل**: من تحريف اليهود للتوراة ما ادعوه فيها أن نبي الله هارون هو الذي صنع العجل، وجعله إلهاً يعبده بنو إسرائيل. جاء في التوراة المحرفة: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال غداً عيدٌ للرب، فبكَّروا في الغد، واصعدوا محرقات، وقدّموا ذبائح سلامةٍ، وجلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب» [خروج، الإصحاح الثاني والثلاثون، فقرة: ١-٦].

وتحدث نبي الله موسى في إصحاح التثنية عن خطيئة بني إسرائيل العظمى في عبادتهم العجل، وكذبوا على موسى في قوله: «وعلى هارون غضب الرب جداً ليبيده» [الإصحاح التاسع، فقرة: ٢٠].

وقد برأ القرآن نبي الله هارون مما رماه به اليهود، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩٠-٩١].

وقد أخذ موسى برأس أخيه ولحيته، لأنه لم يتبعه عندما فعل بنو إسرائيل ما فعلوه، فبرأ هارون نفسه أمام أخيه ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:٩٤] فتركه موسى وعذره وانصرف عنه.

وقد أخبرنا القرآن بوضوح لا لبس فيه أن الذي صنع العجل ودعا إلى عبادته هو السامري، قال تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه:٨٧-٨٨] (راجع سورة طه، واقرأ تبكيت موسى للسامري فيما اقترفه الآيات ٩٥-٩٨).

١٠- زعموا في التوراة أن الملائكة الذين جاؤوا إبراهيم في صورة رجال أكلوا مما قدمه إبراهيم: زعم الذين حرفوا التوراة أن إبراهيم ﷺ قدّم الضيافة إلى ثلاث من الملائكة، قدموا إليه في صورة رجال، فأكلوا، جاء في هذا النص: «ثم ركض إبراهيم إلى البقر، وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام، فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله، ووضعه قدامهم، وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا» [التكوين، الإصحاح الثامن عشر، فقرة: ٧-٨].

وهذا التحريف موجود في خبر لوط أيضاً، فالملكان اللذان جاءا إلى لوط في صورة رجلين أكلا ضيافته، قالت التوراة: «فمالا إليه، ودخلا إليه، ودخلا بيته، فصنع لهما ضيافة وخبز فطير، فأكلا» [التكوين، الإصحاح التاسع عشر، فقرة: ٣].

وهذا كذب على الملائكة، فالملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وقد صرحت آيات سورة هود بنفي أكلهم مما قدمه إبراهيم لهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ

أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود:٦٩-٧٠].

١١- دعواهم أن سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ضحكت في باطنها عندما بشرتها الملائكة بالولد: ادعى الذين حرفوا التوراة أن الملائكة عندما بشرتها بالولد، ضحكت في باطنها، ونص ما جاء في التوراة: «وقالوا له أين سارة امرأتك، فقال: ها هي في الخيمة، فقال: إني أرجع إليك نحو زمان الحياة، ويكون لسارة امرأتك ابن، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة، وهو وراءه، وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام، فضحكت سارة في باطنها قائلة: أبعد فنائي يكون لي تنعم، وسيدي قد شاخ» [التكوين، الإصحاح الثامن عشر، فقرة: ٩-١٢].

والنص القرآني يقول: إنها كانت قائمة، وكان ضحكها قبل أن تسمع بالبشرى، فبشرتها الملائكة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تتوقف عند ضحكها الصريح الظاهر، وإنها قالت: يا ولتا كيف ألد، وهذا بعلي شيخاً، إن هذا لشيء عجيب، فرد عليها الملائكة قائلين: أتعجبين من أمر الله، وقالوا لها داعين ومبركين: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود:٧١-٧٣].

١٢- دعواهم أن موسى ضرب البحر بعصاه بعد أن أنجاه الله وبني إسرائيل من فرعون: سطر بنو إسرائيل في التوراة أن موسى بعد أن أنجاه الله وبني إسرائيل أمره الله أن يمدّ يده على البحر ليرجع على المصريين، جاء في سفر الخروج: «فقال الرب لموسى مدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم، فمدّ موسى يده على البحر، فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة، والمصريون هاربون إلى لقائه، فدفع الله المصريين في وسط البحر، فرجع الماء وغطى

مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر» [الخروج، الإصحاح الرابع عشر، الفقرة: ٢٦-٢٨].

والصواب أن الله أمر موسى عليه السلام أن يترك البحر رهواً، وفي ذلك يقول: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [الدخان:٢٣-٢٤].

قال ابن كثير في تفسيره لقوله: ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ [الدخان:٢٤]: «ذلك أن موسى أراد أن يضرب البحر بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم، فأمره الله أن يتركه على حاله ساكناً، وبشّره أنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركاً ولا يخشى»، وقال ابن عباس: «رهواً» أي: كهيئته. [تفسير ابن كثير: ٤/ ٢١٠٤].

١٣- تصويب القرآن ما أصاب قصة يوسف من تحريف وتغيير: أوردت التوراة قصة يوسف عليه السلام في «سفر التكوين، ابتداء من الإصحاح السابع والثلاثين» وهناك معالم كثيرة صحيحة فيما حدثت بها التوراة، ولكن بعض معالم القصة أصابها التغيير والتحريف، وسآتي سريعاً على بعض هذه المعالم من غير استقصاء.

أ- رأى يوسف عليه السلام أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهم ساجدين له، وحدث بهذه أباه وحده، كما في القرآن، فقال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥] وأصاب التحريف ما في التوراة، ففيها أنه قص هذه الرؤيا على إخوته ثم على أبيه [التكوين، السفر السابع والثلاثون: ٩-١٠]، وفيه أن أباه انتهره وقال له: «ما هذا الحلم الذي حلمت، هل نأتي أنا وإخوتك ونسجد لك» [السفر السابق، فقرة: ١٠]. والنص القرآني الذي ذكرته فيه أنه أوصاه بأن لا يذكر الرؤيا لإخوته، ولا شك أنه أطاع أباه.

ب- في القرآن الكريم أن إخوة يوسف تآمروا عليه ليقتلوه أو يطرحوه أرضاً، وأنهم هم الذين طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم ليرتع ويلعب، وأن أباهم تخوفهم

عليه [انظر: يوسف: ٨-١٢] والذي في التوراة أصابه التحريف، فإنها تذكر أن إسرائيل هو الذي أرسل يوسف إلى إخوته من غير طلب منهم، فضل الطريق، فأرشده رجل إلى حيث يرعون، فلما رأوه تآمروا على قتله [السفر السابق، فقرة: ١٣-٢٤].

ج- عندما جاؤوا عشاء على قميصه بدم كذب قال لهم أبوهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨] أما في التوراة فيقولون: «فمزق يعقوب ثيابه، ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة» [السفر السابق، فقرة: ٢٤] وهذا كله غير صحيح.

د- وفي الإصحاح التاسع والثلاثون من سفر التكوين أن سيدته أمسكته بثوبه عندما أرادته على نفسه، فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى الخارج، فنادت أهل بيتها وشهَّرت به، فوضعت ثوبها عنده حتى جاء سيده إلى بيته، فغضب وحمي، فأخذه ووضعه في السجن. [الإصحاح التاسع والثلاثون، فقرة: ١٢-٢٠].

وهذا فيه خلل كبير، والذي في القرآن أنهما استبقا الباب، فقدت قميصه من دبر، وهي تحاول منعه من الخروج، وأنهما ألفيا سيدها لدى الباب، فاشتكت إليه، فدافع عن نفسه، وقال: هي راودتني عن نفسي، وأن أحد أقاربها قضى بأن قميصه إن قدّ من قُبُل فهي صادقة، وهو كاذب، وإن قدّ من دبر فهي كاذبة وهو صادق، فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدكن، ولم يدفع به إلى السجن في الحال، بل بقي في المنزل فترة من الزمان، ولم تذكر التوراة تآمر النسوة عليه، وتصريح سيدته أمامهن بمرادها منه، وكيف أحاطت جماعة من النساء به، حتى تمنى الخلاص من ذلك المنزل، ولو أمر به إلى السجن. [يوسف:٢٤-٣٥].

هـ- وفي التوراة خبر الرجلين اللذين أخبر كل منهما يوسف بما رآه، فأوَّل يوسف لكل واحد منهما رؤياه، ولكن الخبر ليس بالوضوح الذي أورده القرآن، [التكوين، الإصحاح الأربعون، الفقرة: ١-٢٣].

وليس في التوراة تلك الموعظة التي وعظ بها الرجلين [يوسف:٣٦-٤٢].

و- ذكرت التوراة أن الملك رأى رؤيا، رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنابل ضعيفة تأكل سبعاً قوية، [التكوين، الإصحاح الحادي والأربعون: ١-٨].

والذي ذكره القرآن أنه رأى سبع سنابل خضر، وأخرى يابسات، وليس فيه أن اليابسات تأكل الخضر. [يوسف:٤٣-٤٥].

ز- في التوراة أن جليس الملك الذي كان في السجن انطلق إلى يوسف فدعاه إلى الملك، فجاء سريعاً، ذكر له الملك الرؤيا، ففسرها له، [التكوين، الإصحاح الحادي والأربعون، فقرة: ٩-٣٣].

والذي في القرآن أن يوسف لما جاءه الرسول سأله مباشرة، ففسر له الرؤيا، وعند ذلك طلبه الملك، فأبى يوسف الخروج من السجن حتى يسأل النسوة عن أمره، فدعاهن الملك وسألهن فاعترفن، وبرّأنه من كل سوء، واعترفت امرأة العزيز بجرمها، عند ذلك قال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي [يوسف:٤٦-٥٤].

ح- في سفر التكوين أن إخوة يوسف لما جاؤوا مصر لشراء القمح أخذ أحدهم رهينة حتى يأتوا بأخيهم في المرة القادمة [تكوين، الإصحاح الثاني والأربعون، فقرة: ٣٣] والقرآن صريح بأن هذا غير صحيح [يوسف:٥٩-٦٥].

ط- في التوراة أن إخوة يوسف قالوا ليوسف عندما قيل لهم: أنتم سارقون «الذي يوجد معه الصاع من عبيدك يموت، ونحن أيضاً نكون له عبيداً لسيدي، فقال: نعم، الآن بحسب كلامكم هكذا يكون، الذي يوجد معه يكون لي عبداً، وأما أنتم فتكونون أبرياء» [تكوين، الإصحاح الرابع والأربعون، فقرة: ٩-١٠].

وهذا فيه خلل، فإنهم هم الذين قالوا: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ [يوسف:٧٥].

ي- في التوراة أن يوسف اعترف لإخوته بنفسه، بعد أن ألحوا عليه بإطلاق أخيهم [التكوين، الإصحاح الخامس والأربعون، فقرة: ١-٥].

وهذا غير صحيح، فالذي في القرآن أنه رجع بعض منهم إلى والده، وبقي بعض، وأمرهم أبوهم بعد عودتهم إليه بالرجعة إلى مصر، وأمرهم بأن يتحسسوا من يوسف وأخيه، فلما ذهبوا إلى يوسف واستعطفوه كشف لهم عن نفسه. [يوسف:٨٠-٩١].

وفي هذا القدر من البيان كفاية، وإلا فقد تجاوزت عن أمور كثيرة خشية الإطالة، وسياق القصة في القرآن، وأحداثها، ووقائعها، وما قيل فيها من تعقيبات، وما يؤخذ منها من توجيهات، وما في آخر السورة من بيان عظيم، كل ذلك لا نظير له في التوراة.

١٤- الذي عطف على موسى ورعاه زوجة فرعون وليست أخته: أخبرت التوراة أن الذي أخذ موسى من النهر وعطف عليه وأحبه ابنة فرعون، وأن أخت موسى قالت لأخت فرعون هل أدعو لك امرأة مرضعة، فجاءتها بأم الولد، [خروج، الإصحاح الأول، فقرة: ٥-٩].

وهذا الذي ذكرته التوراة غير صحيح، فالذي أخذ موسى وأشفق عليه زوجة فرعون، وأخت موسى لم تعرض خدماتها إلا بعد أن يئس الباحثون عن إيجاد أم ترضعه، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:٩] وقال: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص:١٢-١٣].

١٥- دعواهم أن يد موسى تصبح برصاء عندما يدخلها جيبه: الذين حرفوا التوراة، ذكروا أن يد موسى تصبح برصاء عندما يدخلها عبَّه، جاء ذلك في التوراة

في قوله: «قال له الربُّ أيضاً أدخل يدك في عبك، فأدخل يده في عبه، ثم أخرجها، وإذا يده برصاء مثل الثلج، قال له: رد يدك إلى عبك، فرد يده إلى عبه، ثم أخرجها من عبه، وإذا هي عادت مثل جسده» [خروج، الإصحاح الرابع، الفقرة: ٦-٧].

وهذا الذي ذكروه غير صحيح، فقد كانت يد موسى تخرج من جيبه بيضاء من غير سوء، أي من غير برص كما أثبت ذلك القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل:١٢] والنصوص الواردة في ذلك كثيرة.

المبحث السادس
حجة اليهود على استحقاقهم فلسطين

المطلب الأول
نصوص التوراة الدالة على مطلبهم

عندما نناقش اليهود الذين اغتصبوا أرض الإسراء، فنقول لهم: لماذا اعتديتم على ديارنا، وأخذتم أرضنا وبلادنا وقرانا وأقصانا؟ يجيبون قائلين: هذه ليست بلادكم، بل بلادنا، أعطاها الله لآبائنا، ووهبهم إياها، وأنتم لها غاصبون، ونحن عندما نأخذها منكم نستعيد حقاً مسلوباً، وأرضاً مغتصبة، ثم إذا شئت يرونك من التوراة فيضاً من النصوص الدالة على ذلك.

ومن هذه النصوص الموجودة في التوراة حتى اليوم قول الله لإبراهيم: «اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك» [سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر: ١-٢].

وبعد أن ذهب إبراهيم إلى تلك الأرض قال لإبراهيم: «ارفع عينيك، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد» [سفر التكوين، الإصحاح الرابع عشر: ١٤-١٥].

وقال الله لإبراهيم: «أنا الرب العظيم الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها» [سفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر: ٧].

وجاء في هذا السفر: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» [التكوين، الإصحاح الخامس عشر: ١٨].

وجاء في سفر التكوين أيضاً أن إبراهيم قال لعبده كبير بيته: «الرب إله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي والذي كلمني وأقسم لي قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض» [سفر التكوين، الإصحاح الرابع والعشرون: ٧].

وجاء في سفر التكوين أيضاً «وظهر الرب لإسحاق، وقال له: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض، فأكون معك وأباركك، لأني لك ونسلك أعطي هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد» [سفر التكوين، الإصحاح الرابع والعشرون: ٢-٤].

والنصوص التي في التوراة التي تصرح بأن الله أعطى هذه الأرض لإبراهيم ولنسله من بعده من ذرية إسحاق كثيرة جداً.

وبعض هذا الذي احتجوا به صحيح في حق أنبياء الله ورسله، فالله أعطى الأرض المقدسة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، وليس عمدتنا النصوص الكثيرة التي تموج بها التوراة فحسب، فقد ورد في قرآننا نصوص كثيرة تدل صراحة على أن الله منح خليله إبراهيم وذريته الصالحين من ولده إسحاق تلك الأرض الطيبة الخيرة، قال رب العزة تبارك وتعالى في إنجائه عبده ورسوله إبراهيم عليه السلام ونبيه لوطاً إلى الأرض المباركة: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١].

وقال تعالى متحدثاً عما أورثه ربُّ العزة بني إسرائيل بعد إهلاكه فرعون وملئه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧] والأرض المباركة التي أورثها الله بني إسرائيل هي المسجد الأقصى وما حوله، قال تعالى: ﴿إِلَى

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]. وقال الله عز وجل مخبراً عما أمر الله به موسى قومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٢١].

وهذه النصوص تدل على استحقاق الصالحين من بني إسرائيل تلك الديار، ما استقاموا على أمر الله، واستجابوا له، وفق ما أمرهم به، وليس في القرآن نص يدل على أن الله أعطاهم أكثر من فلسطين، فمزاعم اليهود أن الله أعطاهم الأردن ولبنان وجزءاً من أرض سوريا ومصر والعراق والجزيرة الله أعلم بمدى صحته.

المطلب الثاني
المدى الذي يريده اليهود من أرض المسلمين

الذي يدرس التوراة والفكر اليهودي يجد اليهود لا يطالبون بفلسطين وحدها، بل يطالبون بمساحة واسعة من أرض المسلمين، ومطالبهم التي يسمونها إسرائيل الكبرى تتمثل في كل من الأردن ولبنان، وكامل سيناء، وثلثي سوريا، وثلاثة أرباع العراق وجزءاً كبيراً من مصر، وباختصار فبلادهم تمتد من نهر الفرات إلى نهر النيل.

وهذه المساحة التي يطالبون بها لم تكن لآبائهم يوماً، فقد كانوا ضيوفاً في مصر والعراق والمدينة وخيبر، والله أعلم بصحة النصوص التوراتية التي تجعل أرضهم من الفرات إلى النيل.

المطلب الثالث
عدم صلاحية ما احتجوا به من النصوص

وإذا كان هذا الدليل صالحاً للاستدلال على إعطاء رسل بني إسرائيل وأنبيائهم والصالحين منهم تلك الأرض المباركة، فإنها لا تدل على استحقاق الكفرة من بني إسرائيل لها، لقد كفر فريق من بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، وكفر الغالبية

العظمى من اليهود بنبينا محمد ﷺ ، والكفار من بني إسرائيل لا يستحقون الإمامة التي حبا الله بها عبده ورسوله إبراهيم، ولا يستحقون الأرض المباركة التي أعطاها له ولذريته، وقد أخبرنا ربنا بأنه جعل خليله إبراهيم إماماً للناس، وأن إبراهيم سأل الله عما ينال ذريته من هذه الإمامة، ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] (١).

وهذا النص صريح في أن عهد الله الذي أعطى إبراهيم إمامة الناس لا يشمل الظالمين من ذريته.

وقد صرح الله بكفر طائفة كبيرة بنبي الله عيسى ﷺ، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف:١٤]. وقال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ

---

(١) هذا الخبر الإلهي الرباني لا يزال يلوح في التوراة، ولكن ليس كوضوحه في القرآن، جاء في التوراة: «ولما كان إبرام ابن تسعٍ وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له: أنا الله القدير، سر أمامي، وكن كاملاً، فاجعل عهدي بيني وبينك، وأكثّرك كثيراً جداً، فسقط إبرام على وجهه، وتكلّم الله معه قائلاً: أما أنا فهوذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم، فلا يُدعى اسمك بعدُ إبرام، بل يكون اسمك إبراهيم، لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأُثمِرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً. وأكون إلههم».

وقال الله لإبراهيم «وأما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يُختَن منكم كل ذكرٍ، فتُختَنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهدٍ بيني وبينكم، ابنَ ثمانية أيام يُختَن منكم كلُّ ذكرٍ في أجيالكم، وَليد البيت والمبتاع بفضةٍ من كل ابن غريبٍ ليس من نسلك، يُختَنُ ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً، وأما الذكر الأغلف الذي لا يُختَن في لحم غرلتِه فتُقطَع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي» [سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، فقرة: ١-١٤].

﴿أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢]، فهؤلاء الذين أصبحوا كفاراً من بني إسرائيل ليس لهم عهد عند الله بامتلاك الأرض المقدسة.

وبعد بعثة محمد ﷺ كفر الغالبية العظمى به، قال تعالى محدداً موقف اليهود من رسولنا الخاتم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ﴾ [البقرة:١٠١-١٠٢].

وقال تعالى في الكفار من أهل الكتاب والمشركين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

المطلب الرابع
يدل على عدم استحقاقهم الأرض المقدسة نسخ شريعتهم

ولمزيد من الاستدلال على بطلان الدليل الذي استدلوا به نقول: إن بني إسرائيل حرفوا التوراة، فزادوا فيها، ونقصوا منها، وغيّروا وبدّلوا، وقد نسخ الله هذه الشريعة، وأرسل رسولاً عالمياً للناس جميعاً، وأنزل عليه كتاباً للناس كلهم، وحفظه من التغيير والتبديل، وأورث هذا النبي وأمته الرسل والأنبياء الذين مضوا من قبل، بما فيهم رسل بني إسرائيل وأنبيائهم، وتكفل بإظهار دينه على كل دين، وأورثه وأمته الأرض كلها، لا فرق بين ما أعطاه لبني إسرائيل وما لم يعطهم إياه.

وقد أعلمنا الله تبارك وتعالى أنه أخذ العهد على جميع الأنبياء والمرسلين أن يتبعوا محمداً إذا بُعث في عصر أيٍّ منهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم

﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]. قال ابن كثير بعد سياقه هذه الآية: «يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه الله من لدن آدم عليه السلام، مهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أي مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنن به ولينصرنّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته» [تفسير ابن كثير: ١/ ٤٢٤].

ونقل ابن كثير عن علي وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا في هذه الآية: «ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمد ﷺ وهو حيٌّ، ليؤمنّن به، ولينصرنّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بُعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه» [تفسير ابن كثير: ١/ ٤٢٤].

وأورد ابن كثير الحديث الذي رواه أحمد، وفيه: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من الأنبياء» [تفسير ابن كثير: ١/ ٤٢٥].

المبحث السابع
المصائب والرزايا التي حلت باليهود جراء غضب الله عليهم

أخبرنا ربنا تبارك وتعالى أنه أحلّ غضبه باليهود حتى تغشاهم، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦١] وهذا الغضب له أسباب وله آثار.

المطلب الأول
السبب في غضب الله على اليهود

الغصن الأول
فقدانهم للخيرية

السبب الأعظم الذي أحلّ الله باليهود غضبه أن الخيرية كانت قد تلاشت من بني إسرائيل وزالت، فأصبحوا غير قادرين على قيادة البشرية، ولا قيادة أنفسهم بمنهج الله، وقد بكّت أشعيا يهود عصره مع أنه كان فيهم بقية خير، ووصف ذلك الشعب بعدم المعرفة، وقلّة الفهم، كما وصف ذلك الشعب بأنه ثقيل الإثم، وأنهم نسل فاعلي الشر، وأولاد المفسدين.

ووصفهم بأنهم استهانوا بالله القدُّوس، وأنهم ارتدوا إلى وراء، ووصفهم بالفساد الذي بلغ مداه وغايته، الرأس مريض، والقلب سقيم، من أسفله إلى أعلاه فاسد، ليس فيه صحة، اقرأ ما قاله ذلك النبي متأملاً فيه:

«اسمعي أيتها السموات، واصغي أيتها الأرض، لأن الرب يتكلَّم، ربَّيتُ بنين ونشَّأْتُهم، أما هم فعصوا عليَّ، الثور يعرف قانيَهُ، والحمارُ معلف صاحبِه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم، ويلٌ للأمَّة الخاطئة، للشعب الثقيل الإثم نسل

فاعلي الشر أولاد مفسدين، تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدُّوا إلى وراءٍ، على مَ تُضرَبون بعد، تزدادون زَيَغاناً، كلُّ الرأس مريضٌ، وكلُّ القلب سقيمٌ. من أسفل القدم إلى الرأس، ليس فيهِ صحَّة بل جرحٌ، وإحباطٌ وضربةٌ طريَّة لم تُعصَر، ولم تُعصَب ولم تُليَّن بالزيت، بلادكم خربة، مدنكم محرقة بالنار، أرضكم تأكلها غرباءُ قدامكم، وهي خربة كانقلاب الغرباء، فبقية ابنة صهيون كمظلَّة في كرمٍ، كخيمة في مقثأةٍ، كمدينة مُحاصَرة، لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرةْ لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة» [أشعيا، الإصحاح الأول: ١-٩].

وقد حدثنا ربنا في كتابنا عن جرائم اليهود التي اقترفوها، والتي نخرت في بنية الأمة اليهودية، والنفس اليهودية، فمن جرائمهم الكبار أنهم اشترطوا لإيمانهم أن يريهم الله موسى ربَّهم عياناً، ومن ذلك عبادتهم العجل بعد أن انطلق موسى للقاء ربّه في الطور، ومن ذلك تغييرهم للقول الذي أمرهم أن يقولوه عندما يدخلون القرية التي أذن لهم بفتحها، ومن ذلك عدوانهم في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير، ومن ذلك رفضهم أخذ الميثاق الذي ألزمهم به، فرفع الله الطور فوقهم كأنه ظلَّة.

وأخبرنا ربنا أن من جرائرهم الكبار قتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم في مريم العذراء البتول قولاً عظيماً، وقولهم إنهم قتلوا نبيّ الله عيسى ابن مريم، وذلك كذب، فما قتلوه، وما صلبوه، ولكن شُبِّه لهم، وأخبرنا أنه بظلم من الذين هادوا حرموا طيبات أُحلت لهم، وأن من جرائمهم أخذهم الربا وقد نُهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، قال تعالى متحدثاً عن جرائمهم الكثيرة هذه، التي أنقصت قدرهم عند ربهم، وأزالت الخيرية منهم: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ

لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى
ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ
مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ
مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء:١٥٣-١٦١].

الغصن الثاني
استكبارهم وتعاليهم على ربِّهم وغلوِّهم في أنفسهم

ومع أن الخيرية والفضائل تلاشت في الأمة اليهودية وفي الشخصية اليهودية كثيراً، فقد تعاظم اليهود في أنفسهم، وغلوا في ذلك غلواً كبيراً، فمن ذلك زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾ [المائدة:١٨] أي أن كل فريق قال هذا القول وادعى هذه الدعوى، وقد أكذبهم الله فيما ادعوه، وبيّن أنه محض افتراء، فلو كانوا كما يقولون لما عذَّبهم بذنوبهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨].

وإذا كان الله مالكاً للسموات والأرض وما فيهما وما بينهما، فهم من ملك الله وخلقه، وهم بشر ممن خلق، والله يفعل ما يريد وإليه المرجع والمآب.

وزعم اليهود كاذبين أنهم أولياء لله من دون الناس، فطلب منهم طلباً أظهر كذب هذا الذي ادعوه، طلب منهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين فيما ادعوه،

وأخبر أنهم لن يتمنونه، لأنهم يعلمون أن مصيرهم إلى النار وغضب الجبار، ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:٦-٨].

ومن غلوّ اليهود في أنفسهم أنهم ادعوا هم والنصارى أنهم أصحاب الجنة، وأنها قصر عليهم دون الناس ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ﴾ [البقرة:١١١]، أي أن كل فريق ادعى هذه الدعوى وقال هذه المقالة، بدليل أن كل فريق رمى الآخر بأنه ليس على شيء ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة:١١٣] وقد بين ربُّ العزة أن دعوى كل فريق منهم هذه الدعوة أماني كاذبة ودعاوى مردودة، وأخبر أن أصحاب الجنة هم الذين أسلموا وجوههم لله، وهم محسنون، فهؤلاء لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، قال تعالى مفنداً مقالتهم: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١١-١١٢].

وأكذبهم ربُّ العزة في موضع آخر في دعواهم أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٩٤-٩٥] إنها دعوى كاذبة من قوم كاذبين، وأصحاب هذه الدعوى لا خلاق لهم في الآخرة، ومصيرهم في ذلك اليوم الإهمال، فلا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

ومن غلو اليهود في أنفسهم أنهم ادعوا كذباً وزوراً أنهم سيمكثون في النار أياماً، ثم يخرجون منها، ويحلُّ فيها غيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠] وأكذبهم رب العزة فيما ذهبوا إليه، وأبان القاعدة التي يكون عليها الحساب، فقال: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨٠-٨٢].

وحكى ربنا دعوى بني إسرائيل هذه في موضع آخر فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٢٤-٢٥].

لقد استكبرت اليهود استكباراً عظيماً، وغلو غلواً كبيراً، ووصل بهم الحال إلى أن قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، وهؤلاء الذين قالوا ما قالوه، مع بقية جرائمهم الكبار ستدخلهم النار جزءاً وفاقاً ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨١-١٨٢].

الغصن الثالث

نقض بني إسرائيل عهودهم ومواثيقهم مع ربهم

ذم الله في كتابه كثيراً اليهود بسبب نقضهم عهودهم مع ربهم - تبارك وتعالى - وقد وقع نقض العهود منهم في زمن الأخيار والصالحين منهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة:٦٣-٦٤].

يحدثنا ربنا - تبارك وتعالى - عن فعله بهم عندما أخذ عليهم العهد بالإيمان به وعبادته في زمن موسى عليه السلام، فأبوا أن يعطوا الميثاق، فرفع الجبل فوقهم كأنه ظلّة، فسارعوا إلى الطاعة والسجود لرب العالمين، وقال في الآية الأخرى: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:١٧١].

وقال في موضع ثالث: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة:٩٣].

وقال في موضع رابع عن نقضهم هذا الميثاق ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ...﴾ [النساء:١٥٤-١٥٥].

وأخبر الله تبارك وتعالى أنه أخذ عليهم الميثاق بأن لا يقولوا على الله إلا الحق، ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [الأعراف:١٦٩] أخذ الله عليهم أن يبينوا الحق المنزل إليهم من ربهم، فكتموه وأخفوه، وأخذ الله عليهم الميثاق بعبادته وطاعته وعدد العبادات التي ألزمهم بها في ذلك الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة:٨٣].

وأخبرنا عز وجل عن الميثاق الذي أخذه عليهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان برسله ونصرهم، وأخبر أنه لعنهم بنقضهم ما أخذه عليهم من ميثاق

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ ﴾ [المائدة:١٢-١٣].

وأخذ الله عليهم العهد بأن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج أحد منهم غيره من ديارهم ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة:٨٤-٨٥] وأخذ عليهم العهد بأن يبينوا الكتاب الذي أنزل إليهم ولا يكتمونه، فكتموه، وأخفوا ما فيه من الحق، وخاصة ما يتعلق منه برسولنا محمد ﷺ مما هو موجود في كتابهم ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

ولا شك أن الذي ينقض عهده مع ربه يوبق نفسه في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

لقد تعهد الله لبني إسرائيل أن يعطيهم الأرض المقدسة، وأن يؤيدهم، وينصرهم، ولكنهم لما نقضوا عهودهم مع ربهم فزال عنهم ما وعدهم به ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠].

المطلب الثاني
آثار غضب الله على اليهود

الغصن الأول
بعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب

أخبرنا ربنا تبارك وتعالى أنه سيبعث على اليهود من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧].

وأعلمنا ربنا تبارك وتعالى أنه سيصيب اليهود الذلة والصغار ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٦١].

ومن قرأ تاريخ اليهود يجد أن سومهم سوء العذاب يتمثل في ثلاثة صور:

الأولى: تشريدهم في مختلف بقاع الأرض.

الثانية: تحريق كتبهم الدينية.

الثالثة: فتنتهم عن دينهم، وجعلهم عبيداً.

وسنتناول هذه الصور الثلاث بشيء من التفصيل.

الصورة الأولى: تشريدهم في بقاع الأرض:

من يقرأ تاريخ اليهود في العالم يجد أن تاريخهم يجري وفق ما أخبرت به النصوص القرآنية، «ففي سنة ٧٢٢ قبل الميلاد استولى عدوهم سرجون الآشوري على السامرة، وخرب هيكلهم، وساقهم سبايا إلى بابل العراق، بعد أن قتل منهم ما لا يحصى، وفي سنة ٥٥٠ قبل الميلاد ضم كسرى كورش بن أستير اليهودية أرضهم إلى مملكته، وفي سنة ١٦٠ قبل الميلاد جاءهم الجرمان، واستعبدوهم، وقاموا

بثورات آخرها سنة ٧٠ ميلادية في عهد تيطس الروماني، فدمر على رؤوسهم مدينة القدس.

وفي سنة ١٣٥م حاولوا إقامة دولة لهم، وذبحوا النصارى في القدس، فسحقهم الرومان بعد أن قتل منهم حوالي مليون يهودي، وتشتت الباقون في جميع أنحاء العالم، وفي القرن السادس تجمع اليهود وقتلوا النصارى من جديد، فسحقهم جوستيانوس، وفي القرن السابع برعاية الفرس قاموا بمذبحة كبرى ضد نصارى فلسطين طمعاً في إنشاء مملكة لهم، ولكن الفشل كان حليفهم، واستمر تشتيتهم في أنحاء العالم عالة على غيرهم إلى يومنا هذا، وإن أقاموا دولة لهم في غفلة من حكام العرب والمسلمين وتناحرهم، بل وارتمائهم وموالاتهم للشرق والغرب.

وفي البلاد التي تشردوا فيها، لم يكونوا أحسن حالاً منهم في فلسطين، فلقد أساؤوا لكل الشعوب التي استضافتهم وشاركوهم الحياة، وكلما قويت شوكتهم حاولوا بها خدش الأيدي التي أحسنت إليهم، ولذلك عاشوا منبوذين محتقرين» [المؤامرات الدولية اليهودية، ص١٥٢].

وبعث الله على اليهود من يسومهم سوء العذاب ظهر في عدة صور، فمن ذلك تشريدهم من ديارهم التي حلوا بها، ومن ذلك إجبارهم على ترك دينهم، وإحراق كتبهم الدينية، وهدم معابدهم، وإجبارهم على التنصر، وتنصير أولادهم، واستلاب أموالهم وديارهم.

وقد تحدث محمد سعيد باناجة عن بعض عمليات التشريد التي حلت بهم، فقال:

«في عام ١٢٥٣م اتخذت الحكومة الفرنسية حلاً جذرياً لمشاكل اليهود الضارة لفرنسا وشعبها، فطردتهم جميعاً لمخالفتهم القوانين عامة، فاتجه كثير منهم إلى نواحي أوروبا، وخاصة إنجلترا التي آوتهم تحت ضغط نفوذ اليهود الذين كانوا سابقاً بها، وحتى سنة ١٢٥٥م كان اليهود قد تمكنوا من السيطرة على كثير من رجال

السلك الكنسي والحكومي في بريطانيا، وعلى كثير من النبلاء والإقطاعيين من ضعاف النفوس.

ومات الملك هنري سنة ١٢٧٢م، وخلفه إدوارد الأول الذي أصدر أمراً يحرم على اليهود ممارسة الربا، ثم استصدر البرلمان سنة ١٢٧٥م قوانين وأنظمة خاصة بالمرابين اليهود، وذلك لأجل تقليص سيطرتهم المادية والمعنوية في كافة أنحاء البلاد، وقد ظن اليهود أنهم سيتمكنون من تحدي أوامر الملك وقوانين البرلمان كما تحدوا من قبل قوانين المجمع المسكوني، وكان خطؤهم كبيراً، إذ إن الملك سرعان ما أصدر قانوناً بطرد جميع اليهود من إنجلترا.

وبعد أن خطا الملك إدوارد الخطوات الأولى، سارع ملوك أوروبا إلى الاقتداء به، حيث طردت فرنسا اليهود سنة ١٣٠٦، كما طردتهم بلجيكا سنة ١٣٧٠، وكذلك سلوفاكيا سنة ١٣٨٠، والنمسا سنة ١٤٢٠، والبلاد المنخفضة سنة ١٤٤٤، وإسبانيا سنة ١٤٩٢.

وبعد طرد اليهود من بلاد أوروبا، أرسل مجمع اليهود في الأستانة بتركيا سنة ١٤٨٩، إلى يهود فرنسا بأن يُجعل أولاد اليهود قساوسة وكهنة ومعلمين ومحامين وأطباء، حيث بها سيتمكنون من الدخول في النصرانية وتقويضها من الداخل.

وبالفعل بدأ اليهود بتنفيذ المؤامرة من تركيا، حيث اعتنق يهود الدونمة في سالونيك واستانبول الإسلام ظاهراً، بهدف تخريبه من الداخل وذلك بنشر الانحرافات الخلقية والحزبية المادية الإلحادية، ونشر البدع والخرافات، ومحاربة الفئات الإسلامية المصلحة المخلصة، وكان نتيجة كل ذلك في أوائل القرن العشرين أن انهارت الدول الإسلامية العثمانية على يد اليهودي المتظاهر بالإسلام مصطفى كمال وحزبه.

ومن الحوادث الخفية التي كشفت اليهود على حقيقتهم في إسبانيا في القرن الرابع عشر، تمكُّن المرابين اليهود من جعل الحكومة الإسبانية تمنحهم حق جباية

الضرائب من الشعب كضمان للقروض التي يقدمونها للحكومة، مما أثار الأهالي ضدهم، وأدى إلى مذبحة عامة سنة ١٣٩١.

وقصة «تاجر البندقية» التي يطلب فيها أحد المرابين اليهود من المدين الذي كان ضحية له أوقية من لحم جسده من أقرب مكان إلى القلب وذلك كغرامة لعدم دفعه الديون التي أثقلتها الفوائد المركبة، هذه القصة تعبر بشكل صريح عن اشمئزاز النصارى في ذلك الوقت من تصرفات اليهود، وعما كان سائداً ومعروفاً لديهم من استغلال اليهود وخستهم ودناءتهم.

وقد طرد اليهود من ليثوفيا سنة ١٤٩٥، ومن البرتغال سنة ١٤٩٨، ومن إيطاليا سنة ١٥٤٠، وبافاريا سنة ١٥٥١، كل ذلك تم بعد أن استغل اليهود شعوب تلك الدول أبشع استغلال للحصول على الأموال والممتلكات، وكان نتيجة كل ذلك كما تقول الموسوعة البريطانية، أن هاجر اليهود إلى الشرق، وعلى الأخص الإمبراطورية التركية والبولونية، ولم يبقَ منهم في الغرب إلا النزر اليسير، أو المؤمنين بالنصرانية ظاهراً.

وقد أخرج اليهود من إنجلترا سنة ١٦٠٠ كما عادوا إلى هنغاريا سنة ١٥٠٠، إلا أنهم طُردوا منها سنة ١٥٨٢، وعادوا إلى سلوفاكيا سنة ١٥٦٢، ليُطردوا منها سنة ١٧٤٤، ثم عادوا إلى ليتوانيا سنة ١٧٠٠، وبصرف النظر عن المرات التي طُردوا من أي بلاد، إلا أنهم كانوا دائماً يتركون وراءهم الشبكات الخفية، التي تدير وتخطط نشاطات العنف والاضطرابات العلنية والخفية التي تهيئ لإعادتهم مرة أخرى». [انظر: المؤامرات الدولية، سعيد محمد باناجة، مؤسسة الرسالة باختصار، الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م].

الصورة الثانية: إحراق كتب اليهود الدينية:

«وبالإضافة إلى تشريدهم في مختلف بقاع العالم واجه اليهود إحراق كتبهم الدينية في كثيرٍ من البلاد الأوروبية.

ففي عام ١٢٤٤م أمر ملك فرنسا بإحراق نسخ التلمود.

وفي عام ١٢٤٨م أمر الكردينال (ليجات أودو) بإعادة إحراق التلمود.

وفي عام ١٣٢٢م أُحرقت نسخُ التلمود في روما، بأمر من البابا (جون الثاني والعشرين).

وفي عام ١٣٥٣م أمر البابا (يوليوس الثالث) بإحراق نسخ التلمود في بارسيلونة والبندقية وروما وبيسارو.

وفي عام ١٥٥٨م أعيد إحراق نسخ التلمود في إيطاليا.

وفي عام ١٥٥٧م جمع شعب بولندا جميع نسخ التلمود وأحرقوها» [العلاقات الدولية التركية، ص٢٠].

الصورة الثالثة: فتنة اليهود في دينهم وإجبارهم على اعتناق النصرانية:

تحدثت الدكتورة هدى عن موقف فرديناند وإزابيلا ملك وملكة إسبانيا من اليهود في عام (١٤٩٢م/ ٨٩٨هـ) فقالت: «كان يحكم إسبانيا عام (١٤٩٢م/ ٨٩٨هـ) الملك فرديناند وزوجته الملكة إيزابيلا وكانا كاثوليكيين شديد التعصب للمسيحية، وكانا يبغضان اليهودَ بسبب معاداتهم لعيسى عليه السلام فلم يعترف اليهود بعيسى أنه المسيح، واعتبروه مرتداً عابداً للأوثان، وقد جاء عنه في التلمود: «إن يسوعَ الناصريَّ موجودٌ في لُجّاتِ الجحيم بين القار والنار، وقد أتت به أُمُّه من العسكريّ (باندارا) عن طريق الخطيئة، أما الكنائسُ النصرانيةُ فهي قاذوراتٌ، والواعظونَ فيها أشبهُ بالكلابِ النابحةِ».

كما أن قتلَ المسيحي كان من التعاليم المأمور بها، والعهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودُ القيامَ به، ومن الواجب أن يعلن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل[1].

---

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥، ص٣٦٧-٣٦٨.

ولهذا أراد الملك فرديناند وزوجته وضع نهايةٍ لهؤلاء اليهود وأعمالهم التخريبية ضد المسيحية تحت ستار العلم والفلسفة، فطالبهم الملك بضرورة دخولهم في المسيحية[١].

وفي ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢م/ ٨٩٨هـ وقّع فرديناند وإيزابيلا مرسوم نفي اليهود، مؤداه أن جميع اليهود الموجودين في البلاد غير المعمّدين - أياً كانت أعمارهم أو أحوالهم - عليهم أن يتركوا إسبانيا في موعد أقصاه ٣١ يوليو ١٤٩٢م/ ٨٩٨هـ[٢] ولا يسمح لهم بالعودة، ومن يخالف ذلك تكون عقوبته الإعدام، وعليهم أن يتخلّصوا من أمتعتهم خلال هذه المدة، ولهم أن يأخذوا معهم الأمتعة المنقولة وصكوك المعاملات دون النقد من ذهبٍ وفضة[٣].

وقد حاولت بعض الشخصيات اليهودية الكبيرة أمثال إبراهام سنيور، وإسحاق إبرابانل دفعَ مبلغ كبير من المال لفرديناند وإيزابيلا في سبيل سحب مرسومهما إلا أنهما رفضا طلبهم[٤].

ولم يستطع كبار الشخصيات اليهودية أن يثنوا الملك والملكة عن قرارهما، وإلغاء مرسوم طرد اليهود من إسبانيا[٥].

في هذه الفترة قام بعض اليهود بحرق منازلهم، وذلك لأخذ قيمة التأمين عليها، وتنازل البعض الآخر عنها للمجلس البلدي للدولة، وقام المسيحيون بتحويل المعابد اليهودية إلى كنائس، ومدافن اليهود إلى مراعٍ[٦].

---

(١) اليهود والدولة العثمانية، أحمد نوري النعيمي، ص٢٤.

(٢) ويل ديوارنت: ٢/ ٩١-٩٣، م٦، الإصلاح الديني؛ وشاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، مرجع سابق، ص٦١٩.

(٣) أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص١٤-٢٦؛ وشاهين مكاريوس، مرجع سابق، ص٦١٩.

(٤) ويل وإيريل ديوارنت، قصة الحضارة، الإصلاح الديني، ترجمة عبدالحميد يونس، مراجعة علي أدهم، ٢٥/ ٩١-٩٣، م٦، بيروت، تونس.

(٥) أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص١٤-٢٦؛ وشاهين مكاريوس، مرجع سابق، ص٦١٩.

(٦) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص٩١-٩٣.

وفي تلك الأثناء قامت الملكة إيزابيلا بتكوين محكمةٍ خاصةٍ لمحاكمة اليهود، سميت بمحكمة التفتيش، وثبت على أكثرهم تهمة خداع الكنيسة، وممارسة المعتقدات الموسوية سراً، وكان الغرض من محكمة التفتيش القضاء على الهرطقة في مهدها، بحيث ينسى الجيل الثاني أو الثالث من اليهود المعمّدين يهودية أسلافهم، وقد ظلّ ما يقارب من مئتين وخمس وثلاثين ألفاً منهم في إسبانيا على يهوديتهم مدعين أنهم نصارى.

وفي هذه الأثناء أخبر (فرديناند) أن اليهود عنفوا المتنصرين منهم، وحاولوا أن يعيدوهم إلى يهوديتهم مرة أخرى[1]، ونتيجة لذلك ذابت ثروات اليهود، وتنصّر خمسون ألف يهودي، وترك إسبانيا أكثر من مئة ألف منهم في موكب خروج طويل وكئيب[2].

سار المنفيون على متون الخيل أو الحمير أو على الأقدام، وناشد المسيحيون اليهود المنفيين أن يذعنوا للتعميد، فردّ عليهم الربانيون بأن أكدوا أن الله سيهديهم إلى أرض الميعاد، آملين أن يفتح الله لهم معبراً في البحر مثلما فعل لآبائهم في القديم مع موسى عليه السلام، ولما انقشع عنهم هذا الوهم اضطروا لدفع أجور باهظة لنقلهم بالسفن إلى البلاد المهاجر إليها، وفرّقت العواصف أسطولهم الذي كان يتألف من خمس وعشرين سفينة، ومروا بكثير من المشاق، وتحطمت سفينة تحمل خمسين يهودياً منهم بالقرب من صقلية، وحُكم عليهم بالسجن لمدة عامين، ثم بيعوا

---

(١) أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص١٤-٢٦؛ وشاهين مكاريوس، مرجع سابق، ص٦١٩.

(٢) ويل ديورانت، مرجع سابق، ٢٥/ ٩٣، م٦، يقول أحد المصادر التركية: إن عدد اليهود الذين فضّلوا الهجرة، ولم يقبلوا تغيير دينهم غير معروف، إلا أن الأرقام التي ذُكرت في هذا الصدد تتراوح بين ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٥٠٠,٠٠٠.
(Abdurrahman Kucuk, Donmelertarihi Ankara 1992, 597).

رقيقاً[1] وتعرض بعضهم للحرق وهم أحياء، حتى قيل: إن ٢٨٠ منهم أُحرقوا في سنة واحدة في إشبيلية[2].

وتم طرد ٣٠٠,٠٠٠ يهودي من إسبانيا، فغادروا جميعُهم إلى البلدان الإسلامية وشمال أوروبا[3]، واتجهوا مهاجرين إلى البرتغال وإيطاليا والمغرب وفرنسا والدولة العثمانية[4].

في ذلك الوقت كانت البرتغال أكثر الأهداف ملائمةً للمهاجرين اليهود، فهاجر إليها عددٌ كبيرٌ وصلَ إلى ثمانين ألفاً مما أفزع ملك البرتغال (جون الثاني) الذي منحهم مهلة ثمانية أشهر على أن يرحلوا بعدها، كما أصدر أمراً إلى جنوده بالقبض على أولادهم من سن الرابعة عشرة، وإبقائهم في بلاده حتى ينشَّؤوا فيها مسيحيين، فكانت النساء يطرحن أولادهن في الآبار والأنهار حتى لا يُنَصّروا[5].

ولما تفشى بين اليهود مرض الطاعون، انتشر بين المسيحيين، قام شعب البرتغال بالمطالبة بطرد اليهود من البلاد فوراً خوفاً من انتشار الطاعون في كل أرجاء البرتغال، وقد يسّر الملك لهم الخروج عن طريق السفن بأجورٍ زهيدة، ومات منهم الكثير جوعاً، وفي هذه الأحيان مكث مئتان وخمسون يهودياً على سفينة طوال أربعة أشهر لا يسمح لهم بالنزول في الموانئ، وذلك بسبب انتشار الطاعون بينهم[6].

---

(١) ويل ديورانت، ٢٥/ ٩٣، م٦، مرجع سابق.

(٢) شاهين مكاريوس، مرجع سابق، ص٦١٩.

(٣) ميخائيل زفي، التاريخ، وزارة المعارف الإسرائيلية، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٤) أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص٢٧.

(٥) شاهين مكاريوس، أربع كتب في الماسونية، تاريخ الإسرائيليين، مرجع سابق، ص٦٢٠.

(٦) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص٩٤-٩٥.

وحينما انتهت مهلة الثمانية أشهر قام الملك جون ببيع باقي اليهود المهاجرين إلى البرتغال بيع الرقيق، وانتزع الأطفال دون الخامسة عشرة من آبائهم، وأرسلهم إلى جزر القديس توماس لينشَّؤوا النشأة المسيحية التي يريدها.

وسار الملك أمانويل على نهج سلفه، فأمر جميع اليهود والمسلمين الموجودين بمملكته أن يتنصّروا، أو يُخرجوا من البلاد فوراً، وكان ذلك عام ١٤٩٦م/ ٩٠٢هـ كما قاموا بإجراءات قاسية لتنصيرهم، مما أدى إلى تعبير أحد الأساقفة عن مشاهداته لبعض هذه الإجراءات بقوله: «لقد رأيتُ أطفالاً كثيرين يُسْحَبون إلى حوض التعميد من شعورهم»[1] [العلاقات التركية اليهودية، ص٢٩-٣٢].

وتحدثت الدكتور هدى درويش عن الأسباب التي أدت إلى كره النصارى لليهود فقالت:

«أما عن صورة اليهود لدى المسيحية، فقد كان معتقَداً عند المسيحيين أن اليهوديّ يطلبُ دم المسيحي لأغراض الطقوس الدينية، وأنه يسرق الأطفال المسيحيين ويقتلهم لهذه الأغراض، وأنه يتعاون مع العرب المسلمين والتتار أعداء المسيحية، ومن هنا كان عداء أوروبا لهؤلاء اليهود شديداً، وصل إلى حدّ التنكيل والطرد والسجن، ومصادرة أموالهم، فحاول اليهود بسبب هذا الاضطهاد استدرار عطف الشعوب، وجعلهم في صورة المعتدَى عليه المظلوم، وهناك رأيٌ يقول: إن كثيراً من الناس ساعد اليهود في محاولة إقامة وطن قومي لهم، حتى يتخلصوا من شرورهم وتواجدهم في بلادهم»[2].

«ومن ناحية أخرى قام اليهود بمحاولة التسلل إلى صفوف الرهبان، فأصبح منهم البطاركة والمطارنة الذين كانوا يتظاهرون بالتعصب للمسيحية[3]، بينما

---

(١) ويل ديورانت، ٢٥/ ٩٧، م٦، مرجع سابق.

(٢) انظر أحمد شلبي، اليهودية، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) من هؤلاء اليهود المبشر المشهور (زويمر) الذي طلب عند وفاته إحضار حاخاماً يهودياً وطلب منه أن يدفن في مقابر اليهود.

ينشرون مبادئهم سرّاً بين صفوف النصارى، كما قاموا بمحاولة التغلغل إلى حريم ومصارف الشعب الإسباني بقصد التخريب» [العلاقات التركية اليهودية، ص٢٨].

الغصن الثاني
لم أذن الله لليهود بإقامة دولة في فلسطين

لا بد للباحث المسلم أن يسأل بقوة، فيقول: كيف قامت لليهود دولة في هذه الأيام على النحو الذي نراه ونشاهده مع أن الله قضى عليهم بالذلة والمسكنة إلى يوم القيامة، وتعهد بأن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة.

وسيزول الاستغراب من نفس الباحث إذا هو وقف على النص القرآني القائل: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١١٢].

لقد أخبرنا ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية، أنه ستأتي فترة زمنية ترفع عن اليهود الذلة بحبل من الله وحبل من الناس، أما غضب الله فلا يرفع ولا يستثنى، وكذلك المسكنة لا تستثنى، وستبقى مضروبة عليهم.

ورفع الذلة الذي استثناه الله عز وجل عنهم في فترة من فترات الزمن الآتي، هو ما وقع في أيامنا هذه ، فقد رفعت عنهم الذلة بحبل من الله وحبل من الناس، فقد سلّطهم الله على المسلمين الذين تركوا دينه وشرعه، عقاباً لهم، كما سلط نبوخذ نصر المجوسي على اليهود، وفيهم بعض الأنبياء وكثير من الصالحين، وأمدّهم الله بالأموال، وجمع لهم من شتى أنحاء الأرض الأولاد، وناصرتهم كثير من الدول، ومن هذه بعض الدول العربية والإسلامية، التي أقامت معهم علاقات دبلوماسية، واعترفوا لهم بجزء كبير من فلسطين، مع أنهم احتلوا قدسهم وأرض إسراء نبيّهم.

المبحث الثامن
النصر على اليهود قادم بحول الله وقوته

المطلب الأول
لا تيأسوا فالنصر آت آت

نحن علماء هذه الأمة بما آتانا الله من علم كتابه الكريم وسنّة رسوله ﷺ نقول جازمين بأن اليهود لن يطول وجودهم في فلسطين، وضعف الأمة العربية والإسلامية لن يتمادى، ونقول: إننا سننتصر على أعداء الله وأعداء رسوله الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب بسبب كفرهم وتعديهم حدود الله وقتلهم الأنبياء، واقترافهم الجرائم الكبار التي جعلتهم في هذه المنزلة الهابطة عند الله وعند الصالحين.

قد يظن بعض المسلمين أن استرداد فلسطين أمر محال، فاليهود ملكوا من القوة ما يكفي لمواجهة العرب جميعاً، والدول العظمى تقف من وراء يهود تمدهم بالسلاح والعتاد، وتنافح وتكافح عنهم أكثر مما تدافع عن أبنائها، وأنا أقول لهم: إن الله غالب على أمره، والقوة الإسلامية آتية آتية، وأقول للمسلمين ما قاله نبي الله يعقوب لبنيه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

علينا أن لا نقطع رجاءَنا وأملنا من الله تعالى، فالذين يقطعون رجاءَهم وأملهم بالله هم القوم الكافرون.

إن الأمل بالله عظيم مهما علت دولة الباطل وانتفشت، فإن الله قادر على تدمير الباطل وإزالته، فالله هو القوي القاهر الغالب، وعلينا أن ننظر إلى الماضي من تاريخنا، فننظر كيف نصرنا الله بعد الهزيمة، ومكّن لنا بعد الذلة، والأيام دول، تقوم

أمة، وتكبو أمة، وتنتصر أمة، وتهزم أخرى، ولكن الإسلام باقٍ وماضٍ إلى قيام الساعة ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠-١٤١].

إن بعض المسلمين تسلل اليأس إلى قلوبهم، وملك عليهم نفوسهم، وظنوا أنه لا طاقة لهم بيهود، وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد ظن بعض الصحابة مثل هذا الظن، وظن اليهود قديماً أن حصونهم وقوتهم ستمنعهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب، فأخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر:٢].

لقد كان عدد من قبائل اليهود يسكن المدينة عندما حلّ بها رسول الله ﷺ، فهادن الرسول ﷺ تلك القبائل وأعطاها عهداً وذمة، على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا عهودهم معه، فأحلّ الله بهم بأسه الذي لا مردّ له، وأنزل عليهم قضاءَه الذي لا يردُّ، فأجلاهم الرسول ﷺ من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنوا أنها مانعتهم من بأس الله، فما أغنت عنهم من الله شيئاً، وجاءَهم من عند الله ما لم يكن يخطر ببالهم، وسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة وهم يهود بني النضير، فذهب بعضهم إلى أذرعات من أعالي الشام، وطائفة منهم ذهبوا إلى خيبر. [تفسير ابن كثير، ٤/٢٣٠٦].

وقد أمرنا الله تبارك وتعالى في آخر الآية السابقة بأن نتفكر في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله، وكذّب كتابه، كيف يحل به بأسه المخزي في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

تلك التي تحدثت عنها الآيات واقعة مضت، واحتلال اليهود لمسرى رسولنا ﷺ وقدسنا وبلادنا المباركة واقعة حادثة اليوم، والخصم في الواقعتين واحد هم اليهود الذين كفروا بالرسول الذي أرسل، والكتاب الذي أنزل، والرب الذي يقود المعركة في الحالتين واحد، هو رب العزة الغالب القاهر الذي لا يقوم في وجهه قائم، ولا يغلبه غالب، والأسباب الموجبة لغضب الله على اليهود وصبّه عليهم الذلة والمسكنة لا تزال كما هي لم تتغير ولم تتبدل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٤] والله قادر على أن يُؤْتى اليهود اليوم من حيث لم يحتسبوا، كما فعل بأشياعهم من قبل.

وقد جاءنا الصليبيون بحملات هائلة قذفوا بها ديارنا، كلما تلاشت حملة قذفونا بأخرى، فكانوا كأمواج البحر القوية العاتية التي تضرب مدن الساحل بأمواج متلاحقة، فإلى أي شيء انتهى أمرهم، لقد بادوا، والبقية الباقية منهم خرجت مطأطئة الرأس، ولم يبقَ منهم في ديار الإسلام ناعق.

ولا يظنن اليهود أنهم سيغلبون الله، وأنهم سيستطيعون أن يتجنبوا ما حاق بالصليبيين من قبل، وأن تخطيطهم وتدبيرهم وجيوشهم ستمنعهم من الله.

المطلب الثاني
دلائل النصر وبشائره

دلائل النصر وبشائره كثيرة في الكتاب والسنّة، ومن هذه الدلائل والبشائر ما هو خاص بأرض الإسراء بعينها، ومنها ما هو عام يشمل أرض الإسراء وغيرها.

الغصن الأول
الدلائل والمبشرات الدالة على انتصار المسلمين على اليهود

هناك من الدلائل الدالة على أن دولة يهود ستتلاشى وتزول، وأننا سنسوء وجوه اليهود، وندخل المسجد كما دخلناه أول مرة، وسنتبر العلو اليهودي، وننسفه نسفاً.

البشارة الأولى
الإسراء برسولنا إلى الأقصى وصلاته بالأنبياء إماماً

إن إسراء الله تبارك وتعالى برسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فيه أعظم دليل على أن الأقصى سيبقى في حيازة الأمة الإسلامية، وقد نزعه منا الصليبيون، فأعاده الله إلينا، إن إسراء الله برسوله إلى الأقصى وصلاته فيه بالأنبياء إماماً، وفيهم نبي الله موسى، ونبي الله عيسى ليدل على أن حفظ هذا المسجد والقيام عليه أصبح موكولاً لأمة الرسول الأعظم ﷺ ، وليس الأمر كذلك فحسب، بل جعله قبلة المسلمين الأولى، وما كان لقبلة المسلمين أن تهان من قِبَل يهود، وتبقى تحت رجسهم إلى قيام الساعة، إن الله غضب على اليهود، وغضبه عليهم باقٍ دائم، وإنه وإن رفع الذلة عنهم فترة من الزمان، فإن غضبه يلاحقهم على مرّ الزمان، ووالله إن ذلك لحق، لا شك فيه ولا ريب، ولتعلمن نبأه بعد حين.

لقد أسري بالرسول ﷺ إلى الأقصى، وفتحه المسلمون، ولم يكن مضى على وفاة الرسول ﷺ إلا بضع سنوات، وتسلم مفاتحه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وسنفتحه أخرى بحول الله وقوته.

البشارة الثانية
وعد الله لنا بأننا سنسوء وجوه يهود ونتبر علوهم تتبيرا

لا شك أن اغتصاب اليهود لفلسطين وإقامة دولة لهم فيها حدث من الأحداث العظام، ومن البعيد أن لا يوجد في الكتاب والسنّة ما يدلُّ عليه، وقد تتبعت ما ورد في أخبار الغيب في السنّة النبوية، وما ألف في الفتن الواردة فيها، فلم أجد حديثاً واحداً في هذا الموضوع، ورأيت بعض الخطباء يذكر الأحاديث التي فيها نبأ محاربة هذه الأمة لليهود في آخر الزمان، ويحملها على مقاتلتنا ليهود عصرنا، وهذا ليس بصواب، فالأحاديث صريحة أن هذا يقع في قتالنا للسبعين ألفاً من اليهود الذين يكونون مع الدجال الأكبر.

والصواب من القول أن هذا الحدث الكبير الذي أصاب الأمة في أرض الإسراء موجود في القرآن يقرؤه الناس صباح مساء، وكل من تأمل فيه وجده يتحدث عن هذه الواقعة العظيمة، والذي صرف العلماء من قبلنا عن اعتبار هذا النص متحدثاً عن العلو الذي علاه اليهود في عصرنا أن العلماء من قبلنا جعلوا الإفسادتين المذكورتين في طليعة سورة الإسراء هما من الزمن الغابر المنقضي، وليس من الزمن الآتي الذي نراه ونشاهده اليوم.

وليت شعري متى علا اليهود علواً كبيراً، ثم بعث الله على اليهود عباداً له أولي بأس شديد فجاسوا خلال ديار اليهود، ثم ردّ الله لليهود الكرة عليهم، ثم جاءت الجيوش الغازية فدمرت ما صنعه اليهود من العلو، إن هذا الذي حدثنا عنه القرآن ليس له وجود إلا في عصرنا، وهما إفسادان متعاقبان متواليان، مضى بعض منهما في السنوات الماضية، ولا يزال بعض آخر منهما لم يقع.

إن اليهود أفسدوا قديماً فسلط الله عليهم المجوس بقيادة نبوخذ نصّر، فاجتاحوا ديار اليهود ودمروها، وأسروا من أسروا، وقتلوا من قتلوا، ولكن كان في اليهود في ذلك الوقت بعض الخير، وكان أحد أسراهم نبي الله دانيال، وفيهم أخيار صالحون.

ثم أين الكرّة التي كرّ بها اليهود على نبوخذ نصر ورجاله، ليس لها وجود ألبتة، وهذا الذي جرى من نبوخذ نصر أعظم ما قيل في إفساد بني إسرائيل.

والإفساد الثاني لليهود الذي يذكره علماؤنا الذي أدى إلى تدمير هيكلهم واجتياحهم وكان في سنة سبعين للميلاد، إفساد صغير بالنسبة لما يحدث ويقع اليوم، وفي ظني - والله أعلم بالصواب - أن هذين الإفسادين الواقعين من اليهود اليوم المتحدث عنهما في النص القرآني هما الإفسادان اللذان يجريان في أيامنا هذه، واقرأ هذا النص الذي يتحدث عن هذين الإفسادين، وتأمل في مدى انطباق الواقع مع النص الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ

مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء:٤-٧].

إن هذا النص صريح واضح في أن هذين الإفسادين هما من بني إسرائيل، وأن هذين الإفسادين سيقعان مرتين متتاليتين، وهما إفسادان يصحبهما علو عظيم، وأن هذين الإفسادين واقعان لا محالة، فقد حكاهما الله بصيغة القضاء، وهو الحكم اللازم الذي لا انفكاك عن جريانه ووقوعه.

إن إخبار الله لنا بهذين الإفسادين اللذين يصاحبهما ذلك العلو الكبير بعد الإخبار بواقعة الإسراء، التي تسلَّم فيها رسولنا ﷺ الإمامة من الأنبياء قبله، وورث فيها الأقصى والأرض المباركة حوله، ينبه الله فيها المسلمين إلى الحدث الكبير الآتي في مقبل الزمان، فقد أخذ الله العهد على كل نبي أنه إذا بعث محمد في عصره أن يتابعه وينصره ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١] إن هذا النبي هو محمد ﷺ ، وقد جمع الله له الأنبياء في إسرائه فأمَّهم هناك في الأقصى.

إن الخبر صريح واضح غاية الصراحة والوضوح ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤] وهذان الإفسادان الكبيران مذكوران في الكتاب أي في اللوح المحفوظ أو التوراة، وكونهما في التوراة المنزلة على موسى أرجح لديّ، وإن كنت حاولت على أن أعثر عليهما فيها، فلم أجد لهما ذكراً، فيكونان مما أخفته يهود وحذفته من التوراة، والله أعلم بالصواب.

وقد أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أن الله سيبعث على بني إسرائيل بعد العلو الأول عباداً له أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً.

وليس هؤلاء الذين يبعثهم الله على اليهود جيشاً كاملاً يستطيع أن يغلب اليهود ويقهرهم، وإنما هم عباد صادقون مع الله، وجوسهم خلال ديار اليهود ليس فتحاً لها، ولا طرداً لليهود منها.

يقول الراغب الأصفهاني محدداً معنى ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسراء:٥] «أي توسطوها، وترددوا بينها، ويقارب ذلك حاس وداس» [المفردات:١٠٣].

وقال الفيروز آبادي في الجوس: «الجوس هو الدخول في وسط المكان، قال تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسراء:٥] أي: توسطوها، وترددوا بينها» [بصائر ذوي التمييز، ٢/ ٤١٠].

إن الجوس يعني أن العباد أولي البأس الشديد يدخلون ديار اليهود، ويتوسطون فيها، ويترددون بين مدنها وقراها، وليس معناه احتلالها وإخراج اليهود منها.

وقد وقع هذا الجوس اليوم، فجاس عباد الله أصحاب البأس الشديد خلال ديار اليهود، وآذوا اليهود أذىً شديداً، وقاموا بعمليات موجعة لليهود، وقد احتاج اليهود بعد إحداها أن يؤتى بالزعماء والرؤساء من غير اليهود كي يشدُّوا من أزر اليهود، لقد جاء عباد الله أولي البأس الشديد ديار اليهود، فقتلوا من اليهود ودمروا ونسفوا وأوقعوا باليهود رعباً عظيماً، فأقام اليهود حول أنفسهم سوراً عظيماً ليحموا أنفسهم من ذلك الجوس، وهذا الجدار من الكرة التي حكى الله أنه سيردها على العباد الأقوياء، ولكن أنى للجدار أن يقي اليهود من بأس الجائسين، لقد انطلقت الصواريخ لتقوم بمتابعة الدور الذي كانوا يقومون به خلال الجوس في الديار، ومع ردّ الكرة لليهود يأتيهم سيل عظيم من مال الدول الصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، كما أمدّهم الله بالبنين يفدون عليهم من شتى أنحاء العالم، وخاصة من الدول التي كانت تعرف بالاتحاد السوفيتي، وأهمها روسيا.

وقد جاء اليهود إلى فلسطين من أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا والاتحاد السوفيتي (سابقاً) واليمن والعراق ومصر وأثيوبيا، وغيرها من الدول.

واحتاج اليهود إلى قناطير مقنطرة من الذهب والفضة لتوطين المهاجرين، ولإقامة جيش قوي يدافع عن الأرض التي احتلوها، ويكون رصيداً للأراضي التي يتطلعون إلى احتلالها، ومتى وجد في تاريخ اليهود هذا الذي حدثنا الله عنه والذي نراه في أيامنا ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ [الإسراء:٦].

لم يكن لليهود في فتنهم السابقة هذا الذي تحدث عنه النص القرآني من الإمداد بالمال والبنين، ولم يجعلهم الله في يوم من الأيام أكثر نفيراً كما جعلهم اليوم. إن اليهود اليوم بما لديهم من سلاح وعسكر يستطيعون مواجهة كل القوى الحربية المحيطة بهم بجميع جنودها وسلاحها، وقد يتفوقون عليها.

إننا لا زلنا نعيش مع اليهود اليوم في زمن الكرة التي أعطاهم الله إياها، ولا زلنا نعيش في الزمن الذي يمدهم الله فيه بالأموال والبنين، ولم يكن لهذين وجود في إفساد اليهود الغابر، ولا زلنا نرى اليهود أكثر نفيراً.

ولكننا ننتظر أن يأتي وعد الآخرة الذي قال الله فيه: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء:١٧].

ففي وعد الآخرة تأتي الجيوش الجرارة المسلحة بأعظم الأسلحة، وهي ليست كالمرة الأولى المقتصرة على الجوس خلال الديار، والمحدثة للرعب في دمار اليهود، ففي المرة الثانية التي سماها وعد الآخرة، تأتي قوة غالبة قاهرة، لا تخضع لضغوط الدول الكبرى، ولا تخضع لمجلس الأمن، إنها قوة غالبة، تسوء وجوه يهود، وعندها يرون من البأس ما لا قبل لهم به، فيوقنوا حين ذلك بأن لا طاقة لهم بما يرونه، وأن أمرهم إلى زوال، وأن قوتهم إلى اضمحلال، وعند ذلك يدخل الجيش

الفاتح من المسلمين المسجد الأقصى كما دخله آباؤهم في عهد عمر بن الخطاب، ويدمر الجيش الإسلامي العلو اليهودي تتبيراً، عند ذلك تشفى قلوب المؤمنين مما حلّ بها من أوجاع سببها اليهود بما أحدثوه من اغتصاب واستبداد وقتل وتشريد، ووالله إن هذا لكائن، يؤمن به كل الذين فقهوا عن الله دينه، وعلموا أن وعد الله مفعولاً.

لقد دخلنا المسجد الأقصى مرتين، الأولى في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، والثانية في عهد صلاح الدين الأيوبي، وسيكون دخولنا الثالث على نحو الدخول الأول، لا كما دخلناه في عهد صلاح الدين ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٧] وهذا يعني أنه ستقوم خلافة راشدة، هي التي ستعيد الأقصى إلى حضن الأمة الإسلامية من يهود.

يا حسرة على قومي الذين حملوا النص على غير محمله، الله يحدثهم في سورة بني إسرائيل عن بني إسرائيل الجاثمين فوق ظهر الإسراء، فيحملونه على بني إسرائيل الغابرين.

إن هذا النص يحكي خبر هذا الأمر الواقع المشهود، وهو يتحدث حديثاً لا لبس فيه عما وقع منه حتى اليوم، ويرسم صورة الآتي منه، وسيقع كما أخبر الله به من غير تغيير ولا تبديل.

إن ضعف الأمة الإسلامية وفرقتها لن يبقى أبد الآبدين، فإن الله يغير حال الأمة عندما تؤوب إليه، وتؤوي إليه، والتغيير الذي تخشاه اليهود آت قادم، فالإيمان الحق بدأ يسري في الأمة الإسلامية، والاتجاه إلى الإسلام الحق بعيداً عن الشرك والكفر والضلال بدأ في مختلف ديار الإسلام، بل إن الإسلام يموج اليوم في ديار الغرب، وقدرة الله على إيجاد القوة الغالبة التي تسوء وجوه اليهود، وتدخل المسجد الأقصى مرة أخرى وتدمر العلو اليهود، كل ذلك أمر سهل لا يستطيع أحد أن يوقفه وينهيه.

تدمير المسلمين العلو اليهودي
لفتات وخلاصات

من يقرأ النص القرآني المتحدث عن تحطيم العلو اليهودي بتدبر يلفت نظره ما يأتي:

١- نسب القرآن الإفساد إلى بني إسرائيل ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء:٤] ومن عجب أن يسمي اليهود دولتهم بإسرائيل، ولم يسموها دولة اليهود، أو دولة موسى، فيتطابق النص القرآني مع الاسم الذي سمى به اليهود دولتهم.

٢- ذكر رب العزة أن القوة الغالبة التي ستقهر اليهود ستدخل المسجد، وسيكون دخولهم إليه كما دخلوه أول مرة، ومعلوم أن المسلمين دخلوا المسجد مرتين، الأولى في عهد عمر بن الخطاب وعلى يده، والثانية على عهد صلاح الدين، وسيكون هذا الدخول مماثلاً للدخول الأول، ويبدو أنه سيكون هناك خلافة راشدة، تدخل المسجد كما وقع في دخول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.

٣- يتصف العلو اليهودي بإمداد اليهود بالمال والبنين، وسيكونون أكثر نفيراً، ولم يكن لليهود مثل هذا الإمداد في ما جرى لهم من إفساد في ما مضى، وقد تحقق هذا الإمداد، وأصبح اليهود مع قلتهم أكثر نفيراً، فبقدرتهم أن يحشدوا جيشاً يزيد في تعداده على جيوش العرب مجتمعة.

وقد قال لي بعض من حدثتهم بمعاني النص القرآني المتحدث عن الإفسادتين: لقد أمدَّ الله بني إسرائيل بالمال والبنين في عهد نبي الله سليمان، وغفل محدثي أن ما كان من بني إسرائيل في عهد سليمان إصلاح وليس إفساداً.

٤- المرتان اللتان يفسد فيهما اليهود متتاليتان قريب إحداهما من الأخرى، يجوس العباد أولو البأس الشديد خلال ديار اليهود في المرة الأولى، ولكنهم لا

يملكون جيشاً قوياً يدمر اليهود، أما في الثانية فالذي يسوء وجوه اليهود فهو جيش عرمرم يتبر العلو اليهودي تتبيراً.

٥- يملك الجيش الإسلامي الذي يقهر يهود قوة حربية فائقة، تتكفل بأن تسوء وجوه اليهود، وتوقع الرعب في قلوبهم، كما تتكفل بتدمير العلو اليهودي تدميراً فائقاً هائلاً.

٦- هذا الذي ذكره النص القرآني واقع لا محالة، لا ينفع فيه احتماء اليهود بمن يحتمون به من الدول، ولا ينفع فيه ما يجمعه اليهود من سلاح، وفي هذا كله لون آخر من ألوان سوم اليهود العذاب الذي حكم الله به على اليهود على مرّ الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكونه لوناً جديداً أن اليهود جمعوا من شتى فجاج الأرض ليكون تدميرهم في اجتماعهم، بينما كان سومهم العذاب فيما مضى متفرقاً هنا وهناك من بلاد الله الواسعة.

إفساد اليهود في فلسطين ومعالمه

تخطيط اليهود للإفساد وعزمهم عليه:

كان اليهود يتحدثون ولا يزالون عن الإفساد الذي يريدون إيقاعه في الأرض المقدسة، فمن ذلك قول هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية قبل قيام دولة إسرائيل بخمسين عاماً مبيناً ما يعتملُ في صدره من إفساد في أرض الإسراء: «إذا حصلنا يوماً على القدس، وكنت لا أزال حيّاً وقادراً على القيام بأي شيء، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها، وسوف أحرق الآثار التي مرّت عليها قرون» [مذكرات هرتزل الصادرة في عام ١٩٠٣].

ويقول مدوِّنو الموسوعة اليهودية: «إن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم، وأن يذهبوا إلى القدس، ويتغلبوا على قوة الأعداء، وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل، ويقيموا ملكهم هناك».

وقال شابيرا الذي كان حاخاماً أكبر للكيان الصهيوني:

«على الفلسطينيين أن يعرفوا أنه لن يكون بإمكانهم البقاء في هذا المكان إلى الأبد، هذا هو قدس الأقداس بالنسبة لنا، إن أحداً لا يمكنه أن يصنع سلاماً مع الدولة التي تمثل الشعب اليهودي إذا كان يصرّ في الوقت نفسه على البقاء في المكان الطبيعي للهيكل».

وفي حضور عدد من الوزراء الصهاينة صرخ شابيرا بصوت مرتفع أثناء الاحتفال بوضع حجر الأساس لمدرسة دينية في شرقي القدس وقال: «لا يوجد شيء اسمه المسجد الأقصى، إن هذه كذبة افتراها علينا العرب وصدقوا أنفسهم، وللأسف إن بعضنا قد آمن لهم» وقال شابيرا: «لا مجال للتضليل هنا، فجبل الهيكل (المسجد الأقصى) يتبع اليهود والشعب اليهودي في كل أماكن تشتته، ولا يليق بالدولة التي تمثل الشعب اليهودي أن تبدي أي تنازل عن هذا المكان».

وقول هذا الحاخام هو الكذب، فقد سماه الله بالمسجد الأقصى، وأسرى برسوله إليه، وبناه عمر بن الخطاب، وصلى فيه المسلمون من ذلك الزمان وإلى اليوم باستثناء الفترة التي احتلها فيه الصليبيون.

أما إفساد اليهود الذي قام به اليهود في أرض الواقع، فيتمثل فيما يأتي:

١- **اغتصاب اليهود فلسطين وهزيمتهم الجيوش العربية:** احتلال أرض الإسراء، وقد تم لهم ذلك، ففي عام ١٩٤٨ احتلوا أكثرها، وفي عام ١٩٦٧ اغتصبوا باقيها.

وقد هزم اليهود الجيوش العربية التي تصدت لحربهم وقتالهم، وانتصروا عليها.

٢- **تدميرهم القرى وهدمهم المنازل:** شردوا الكثير من أهل فلسطين، ففي عام ١٩٤٨ أخرجوا مئات الألوف من بلادهم وأرضهم وديارهم، وقد أقام اليهود مذابح هائلة لأهل البلاد كي يضطروهم إلى الخروج من ديارهم، وقاموا بتدمير

كثير من القرى في شتى أنحاء فلسطين في عام ١٩٤٨، ففي قضاء صفد دمروا سبعاً وسبعين قرية وأزالوها من الوجود ككفر برعم، والمَنشية المالكية، والنبي يوشع.

وفي قضاء عكا دمروا ستاً وعشرين قرية، منها البصة والدانون والنبي داود.

ودمروا في قضاء طبرية والناصرة تسعاً وعشرين قرية، منها المنشية، والمجدل، وحطين.

ودمروا واحداً وخمسين قرية في قضاء حيفا، منها الطيرة، وعتليت، وقيسارية.

كما دمروا خمساً وثلاثين قرية في قضاء بيسان وجنين، منها اللجون، وزرعين، والأشرفية، وفي قضاء طولكرم دمروا سبع عشر قرية، منها خربة المجدل، وخربة الزبابدة، وكفر سابا.

ودمروا في قضاء يافا ثلاثاً وعشرين قرية، منها: يازور، والشيخ مونس، وبيت دجن، وفي قضاء اللد والرملة دمروا ثمان وخمسين قرية منها: بيت نبالا، وعنابا، وخرونة.

وفي قضاء القدس دمروا ثمان وثلاثين قرية، منها دير ياسين، والمالحة، وجرش، ودمروا في قضاء الخليل ست عشرة قرية، منها: بيت جبرين، وعنا، والدوايمة.

وفي قضاء غزة وبئر السبع دمروا خمساً وأربعين قرية، منها: عراق المنشية، وحمامة، والفالوجة.

وجملة ما دمروه من القرى في عام ١٩٤٨ بلغ أربعمائة وخمسة عشر قرية.

٣- **تهويدهم القدس وأرض الإسراء ومحاولتهم إزالة الأقصى:** بعد احتلالهم للقدس وبقية فلسطين عملوا بكل ما يستطيعون لتهويد المدينة المقدسة، كما عملوا على إزالة المسجد الأقصى، ففي ١١/ ٦/ ١٩٦٧ هدموا حارة المغاربة في القدس بكل مبانيها ومساجدها الأثرية لتوسيع ساحة البراق التي يصلي اليهود فيها،

وهدمت أيضاً «حارة الشرف» بكاملها في ١٨/ ٤/ ١٩٦٨ والمكونة من ١٠٣٤ منزلاً و٤٢٥ متجراً و٦ مساجد وعدد من المدارس، وأقيم مكانها حي لليهود.

وفي ١٦/ ٧/ ١٩٤٨ قصفت القوات الإسرائيلية المسجد الأقصى وساحاته بـ ٥٥ قنبلة، وقصف مرةً أخرى بمدافع الهاون عام ٧٦، إلا أن الجريمة الكبرى كانت في ٢١/ ٨/ ١٩٦٩ حين أقدم أحد اليهود المتطرفين على إحراق المسجد الأقصى ومنبر صلاح الدين.

وفي ٢١/ ٥/ ١٩٨٠ كانت مجموعة متطرفة تنوي نسف المسجد الأقصى، واكتشف بحوزتها على كميات كبيرة من المتفجرات لتنفيذ الجريمة، ثم في ٨/ ٤/ ١٩٨٢ اكتشف حراس المسجد الأقصى طرداً مشبوهاً يحتوي على متفجرات موقوتة وآخر يحتوي على ٣ كغم من المتفجرات.

وفي ٢٥/ ٧/ ١٩٨٢ خطط أحد قادة «حركة كاخ» المتطرفة الإضرار بالمسجد الأقصى، وفي ٢٦/ ١/ ١٩٨٤ حاولت مجموعة من المتطرفين الدخول إلى المسجد الأقصى حاملين ٣ قنابل يدوية و٦ حقائب من المتفجرات في محاولة لنسف المسجد.

وفي ٢٧/ ١/ ١٩٨٤ عثر على ١٨ قنبلة يدوية و١٠ كغم من المتفجرات قرب السور الشرقي للمسجد. وفي ٣٠/ ١/ ١٩٨٤ عثر على ٣ قنابل مخبأة في قطعة قماش عند باب الأسباط.

وفي ١٧/ ١٠/ ١٩٨٦ أقلع طيار من سلاح الجو الإسرائيلي بطائرته المزودة بالصواريخ مستهدفاً المسجد الأقصى قبل أن يوقفه سلاح الجو.

وفي ١١/ ٤/ ١٩٨٢ اقتحم جندي متطرف مسجد قبة الصخرة وأطلق النار بشكل عشوائي على المصلين مما ما أسفر عن استشهاد فلسطينيين وجرح ستين آخرين. وفي ٨/ ١٠/ ١٩٩٠ ارتكبت القوات الإسرائيلية مجزرة في المسجد الأقصى استشهد فيها ٢٣ وجرح ٨٥ أثناء تصديهم لمحاولة وضع حجر الأساس للهيكل

المزعوم وفي ٢٤/ ٩/ ١٩٩٦ صدرت الأوامر الإسرائيلية بحفر نفق تحت المسجد الأقصى.

المنظمات الصهيونية التي تهدف إلى هدم الأقصى:

أورد الباحث الفلسطيني «نزار حميد» قائمة بأهم التنظيمات والحركات الصهيونية التي تستهدف المسجد الأقصى بهدف هدمه وبناء الهيكل الثالث المزعوم مكانه، وهي:

١- **جماعة أمناء الهيكل**: وهي جماعة دينية متطرفة تسعى إلى تهويد منطقة المسجد الأقصى، ويقع المقر الرئيسي لهذه الجماعة في مدينة القدس المحتلة، إلا أن لها فرعاً في الولايات المتحدة الأمريكية يقوم من خلاله مسيحيون متطرفون من كاليفورنيا بتقديم دعم مالي لها، وتضع هذه الجماعة نصب عينيها هدفاً أساسياً هو إعادة بناء الهيكل الثالث المزعوم محل المسجد الأقصى.

٢- **جماعة غوش أيمونيم**: جماعة «أيمونيم» معناها كتلة الإيمان، وتطلق على نفسها أيضاً حركة التجديد الصهيوني. أسسها «موشي ليفنجر» في مايو ١٩٧٤، وهي حركة جماهيرية دينية متطرفة تسعى للاستيطان في الضفة وقطاع غزة، وتعمل لإقامة الهيكل على أنقاض الأقصى، وتؤمن بالعنف لتحقيق ذلك. ومعظم أعضائها من شبيبة المدارس الدينية التابعة لحزب «المفدال» اليميني المتطرف. وتضم الحركة عدداً من أشهر حاخامات «إسرائيل» البارزين.

٣- **حركة «حي فاكيام» (الحي القيوم)**: لا يعرف بالتحديد تاريخ ظهور هذه الحركة، ويعيش معظم أعضائها الذين يقدر عددهم بالمئات في مستوطنة «غوش عتصيون»، وهم في الغالب ضباط من وحدات مختارة، ومن زعمائها «مردخاي كربال» و«يهودا عتصيون» الذي كان عضواً في التنظيم السري اليهودي، وهو الذي وضع خطة لتفجير المسجد الأقصى أوائل الثمانينيات من القرن العشرين.

٤- حركة «هتحيا» (النهضة): وهي حركة سياسية يمينية، تظهر توجهات غير دينية، وتعد من أكثر الحركات الإرهابية تطرفاً وعنصرية في الكيان الصهيوني، وانضم إليها قسم من جماعة «غوش أيمونيم»، «حركة المخلصين لأرض إسرائيل الكاملة». وهذه الحركة معنية بالسيطرة على منطقة المسجد الأقصى، لأن ذلك يحقق لإسرائيل السيادة والقوة بحسب اعتقادها.

٥- حركة كاخ (عصبة الدفاع اليهودية): وهي حركة يمينية متطرفة أسسها عام ١٩٧٢ الحاخام اليهودي الأمريكي «مائير كاهانا» الذي مثل حركته في البرلمان الصهيوني الحادي عشر عام ١٩٨٤، ويعرف كاهانا بآرائه التلمودية الداعية لطرد العرب الفلسطينيين من كل فلسطين بالقوة لتبقى خالصة لليهود. ومن أتباعه جودمان الذي قام بالهجوم على الأقصى يوم ١١ إبريل ١٩٨٢، وقد أدى هذا إلى استشهاد وجرح عدد من المسلمين. وقد قام كاهانا بدفع أتعاب المحاماة عنه حتى أطلق سراحه.

٦- حركة كهانا حي: وهي حركة إرهابية يمينية متطرفة لا تختلف عن حركة كاخ من حيث الأيديولوجية، إنما توجد خلافات شخصية بين قادة الحركتين. وينظم النشاطات الخارجية لهذه الحركة يوكتمئيل يعقوب، ذو السجل الإجرامي الدموي. ويرى المنتسبون لهذه الحركة - ومعظمهم من يهود الولايات المتحدة الأمريكية - أن «الشعب اليهودي» مقدس، وأن أرض «إسرائيل» مقدسة، لأنها تحمي الشعب من الناحية التربوية والدينية والطبيعية. ويتدرب أفراد هذه المجموعة البالغ تعدادها نحو ٢٠٠ عضواً - منهم ٣٠ شابة - على القتال الفردي والقتال القريب والأسلحة الخفيفة في معسكر تدريب خاص بالحركة في الولايات المتحدة الأمريكية، ويذكر أن السلطات الصهيونية أصدرت قرارات عدت فيها حركتي كاخ وكهانا حي منظمتين خارجتين عن القانون، وذلك لمنعهما من اتباع وسائل عنيفة ضد الفلسطينيين.

٧- **مجموعة حشمونائيم**: هي إحدى المجموعات الإرهابية الفاشية ويتزعمها «يوئيل لرنر»، ولا يعرف بالتحديد تاريخ ظهورها، وقد عرف أعضاؤها باللجوء إلى العنف الشديد، وبالخبرة العسكرية العالية، ويرجع ذلك إلى أنهم بعد أن فرغوا من الخدمة العسكرية اتجهوا إلى هدف السيطرة على بيت المقدس بالقوة، متمردين على سياسة الخطوة المتبعة من الحكومة، ومطالبين بطرد السكان العرب من القدس كلها.. ويذكر أن هذه المجموعة قامت بمحاولة تفجير قبة الصخرة في يوليو ١٩٨٢، غير أن المحاولة فشلت عندما تم اكتشاف الشحنات الناسفة قبل انفجارها.

٨- **منظمة بيتار (منظمة الشباب التصحيحيين)**: وهي منظمة صهيونية تأسست عام ١٩٢٣، ولها فروع في عدد من الدول، إضافة إلى وجودها في «إسرائيل»، وهي تهتم بإقامة الصلوات اليهودية في ساحة الأقصى.

٩- **حركة «تسوميت» أي مفترق الطرق**: وهي حركة قومية متطرفة، أنشأها رئيس أركان الجيش الصهيوني السابق «رفائيل إيتان» وذلك في عام ١٩٨٣ ومعروف أن إيتان من أشد اليهود تطرفاً في استعمال العنف ضد العرب حين كان رئيساً للأركان. وتسعى الحركة إلى التركيز على الصهيونية مذهباً، لأنها - بحسب اعتقادها - هي الحركة المعنية بإعادة المجد إلى أرض صهيون. وتصر الحركة على بقاء القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل تحت سيادتها.

١٠- **منظمة سيوري تسيون**: وهي رابطة تطوعية، تعمل بإشراف المدرسة الدينية «غليتستا»، وتظهر في شكل جمعية خيرية، وتتلقى دعماً من وزارة المعارف الصهيونية وبلدية القدس والجيش، وتهدف إلى تعميق الوعي إزاء الهيكل المزعوم لدى اليهود عامة والجيش خاصة، وتقوم بتنظيم رحلات دورية إلى الأماكن الدينية اليهودية في القدس. وهناك مدرسة تساندها وتهيئ اليد العاملة للمؤامرة ضد بيت المقدس، هي المدرسة الدينية «عطيرت كوهانيم» الموجودة في الحي الإسلامي من القدس العربية [الشبكة المقدسة ٥/ ٦/ ٢٠٠٦].

خرافات اليهود للاستيلاء على الأقصى:

واليهود يؤمنون بخرافات وأساطير مغرقة في الضلال لتحرير الأقصى، فمن ذلك أنه انتشرت في الأوساط اليهودية في بداية عام ١٩٩٧ الأقاويل عن ظهور البقرة المقدسة الحمراء في مدينة حيفا، وقد توجهت مجموعة من الحاخامات في نيسان من العام نفسه إلى حيفا لمعاينة البقرة التي ولدت هناك، وباركوها ووضعوا حراسة مشددة عليها.

ولادة البقرة الحمراء في نظر الحاخامات هي التبرير التوراتي لهدم المسجد الأقصى المبارك وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه.

ولدت البقرة في تشرين الأول عام ١٩٩٦، ووجدها الحاخامات مطابقة للمواصفات التي وردت في التوراة، ولكن يجب أن تبلغ الثلاث سنوات من عمرها لذبحها وحرقها وذر رمادها لتطهير القدس من النجاسة وإزالة كل ما هو غير يهودي من القدس[١]، وبالتالي فهي علامة من رب اليهود حسب اعتقادهم بقرب الانتهاء من النجاسة وإزالة المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس بدءاً من كنيسة القيامة وبالأخص المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه.

ويتذرع المتدينون سنوياً بذرائع واهية لاقتحام المسجد الأقصى وتهويده وتدميره لطمس هوية القدس الحضارية العربية الإسلامية وتهويدها.

وتعمل الحكومة الإسرائيلية على تكريس المنجزات المرحلية في التنفيذ لتهويد المسجد الأقصى تماماً كما فعلت في المسجد الإبراهيمي في الخليل، استجابة لمزاعم توراتية وتحقيقاً لأهداف استعمارية، في بادئ الأمر سمحت لليهود والسياح بزيارته، مما أجج الكراهية والعداء وصعّد من حدة الصراع الذي وصل ذروته في الزيارة المشؤومة التي قام بها شارون للأقصى في عام الألفين.

---

(١) ليس المسلمون هم الأنجاس، بل اليهود هم الخبثاء الأنجاس، ولذلك كان عجباً أن يريد الأنجاس تطهير القدس من النجس، وهم هم الأنجاس.

إن فتح بعض العواصم العربية على مصراعيها أمام السفاح شارون ووزرائه وسفرائه هو الذي صعّد من تمسك إسرائيل بالأكاذيب والأساطير والأطماع التوراتية، وتمسكها بتهويد القدس وبقاء المستعمرات الكبيرة في الضفة الغربية ورفض تطبيق حق العودة.

٤- ما أوقعوه من قتل وأسر وقلع للأشجار وهدم للبيوت: منذ أن وطئ اليهود أرض الإسراء وهم يقتلون أهلها، ويأسرون رجالهم ونساءَهم وأطفالهم، ويغتصبون أرضهم ومزارعهم، ويغلقون مدارسهم وجامعاتهم.

لقد قتل اليهود عشرات الألوف في احتلالهم لفلسطين عام ١٩٤٨ وهجَّروا مئات الألوف من ديارهم، وهدّموا كثيراً من قراهم، وفي عام ١٩٦٧ سقط عشرة آلاف من جنود الدول العربية، واحتلوا مساحات واسعة من خمس دول هي: فلسطين، مصر، سوريا، لبنان، والأردن. وسقط من جيوش الدول العربية عشرة آلاف، وأسر عدة ألوف، وسأكتفي هنا بذكر تقرير كتبه عماد الإفرنجي لمجلة القدس في ١٩/ ٤/ ٢٠٠٧ تحدث فيه عن عدد الشهداء الذين سقطوا على يد قوات الاحتلال الإسرائيلي منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠ وحتى ٣١/ ٣/ ٢٠٠٧، وأذكر أنهم بلغوا ٥٠٩٣ شهيداً، فيما بلغ عدد الجرحى ٤٩٩٩٧ جريحاً، منهم ٤٨٣٥ مواطناً تلقوا علاجاً ميدانياً، وبلغ عدد الشهداء من الأطفال أقل من ١٨ عاماً ٦٤٠ شهيداً، في حين وصل عدد الشهداء الذين سقطوا جراء سياسة الاغتيالات والتصفية الجسدية ٤٨١ شهيداً من المواطنين المستهدفين.

وذكر تقرير حديث صدر عن مركز المعلومات الوطني الفلسطيني في الهيئة العامة للاستعلامات، أن عدد الشهيدات من الإناث بلغ ٣٥١ شهيدة، أما عدد الشهداء من المرضى جراء الإعاقة على الحواجز العسكرية الإسرائيلية فقد بلغ ١٥١ شهيداً ما بين طفل وسيدة وشيخ مسن من مرضى القلب والكلى والسرطان، إضافة إلى شهداء اعتداءات المستوطنين والذين بلغ عددهم ٦٧ شهيداً.

كما بلغ عدد شهداء الأطقم الطبية والدفاع المدني في هذه الفترة ٣٦ شهيداً، واستشهد ٩ من العاملين في الحقل الإعلامي، كما سجل التقرير ٢٢٠ شهيداً من الحركة الرياضية.

وحسب التقرير، فقد وصل عدد الأسرى والمعتقلين الذين ما زالوا في سجون الاحتلال إلى ١٠٤٠٠ أسيراً، منهم ٥٥٣ أسيراً قبل انتفاضة الأقصى، ما زالوا في الأسر وموزعين على أكثر من ٣٠ سجناً ومعتقلاً ومركز توقيف، من هؤلاء الأسرى ١١٥٠ أسيراً يعانون من أمراض مزمنة.

وحول المعتقلين من طلبة المدارس والجامعات، أفاد التقرير بوجود ١١٨٩ طالباً وطالبة في المعتقلات الإسرائيلية، منهم ٣٣٠ من الأطفال دون سن الثامنة عشرة.

أما إجمالي المعتقلين من المعلمين والموظفين في التربية والتعليم، فقد بلغ عددهم ١٠٧ معلماً وموظفاً فيما بلغ عدد الأسيرات الإناث ١١٧ أسيرة.

وأفاد التقرير أن عدد المباني العامة والمباني والمنشآت الأمنية المتضررة حتى ٣١/ ٣/ ٢٠٠٧ قد بلغ ٦٤٥ مقراً عاماً ومنشأة أمنية، وبلغ إجمالي المنازل التي تضررت بشكل كلي وجزئي ٧٢٧٣٧ منزلاً، أما المنازل التي تضررت بشكل كلي فكان عددها ٣٠٨٧١ منزلاً، منها ٤٧٨٥ منزلاً في قطاع غزة والمنازل التي تضررت بشكل جزئي فكان عددها ٦٤٦٩٣ منها ٢٣٦٢٢ منزل في قطاع غزة حتى ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٦.

وجاء في التقرير أن عدد المدارس والجامعات التي تم إغلاقها بأوامر عسكرية حتى ٨/ ٨/ ٢٠٠٦ بلغ ١٢ مدرسة وجامعة، في حين تم تعطيل الدراسة جراء العدوان الإسرائيلي في ١١٢٥ مدرسة ومؤسسة تعليم عالي، وبلغ عدد مؤسسات التربية والتعليم التي تعرضت للقصف ٣٥٩ مدرسة ومديرية ومكاتب تربية وتعليم وجامعة، وقد حولت ٤٣ مدرسة إلى ثكنات عسكرية، ووصل عدد الطلاب الذين

استشهدوا برصاص جيش الاحتلال الإسرائيلي إلى ٨٤٨ طالباً من طلبة المدارس والكليات. ووصل عدد الطلبة والطالبات والموظفين الذين أصيبوا برصاص الاحتلال إلى ٤٧٩٢ طالباً وطالبة وموظفاً.

وأكد مركز المعلومات أن إجمالي مساحة الأراضي التي تم تجريفها حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ بلغ ٨٠٧١٢ دونماً، في حين بلغ عدد الأشجار التي تم اقتلاعها في الضفة وغزة ١٣٥٧٢٩٦ شجرة، منها ٢٢٧٨ في قطاع غزة وهدم ٧٨٤ مخزناً زراعياً منها ١٦ في قطاع غزة، و٧٨٨ مزرعة دواجن وحظائر حيوانات تم تدميرها بمعداتها منها ٣٢ في قطاع غزة، وقد نفق ١٤٨٢٩ رأس ماعز وأغنام، منها ٩٩ في غزة، وقتلت ١٢١٥١ بقرة وحيوان مزرعة منها ١٩ في غزة، وتم إتلاف ١٦٥٤٩ خلية نحل منها ١٢٨٤ في غزة، وهدمت آبار كاملة بملحقاتها، بلغ عددها ٤٢٥ بئراً منها ٢٢ في غزة، كما هدمت منازل للمزارعين بأثاثها بلغ عددها ٢٠٧ منزلاً.

ونفقت ٨٩٩٧٦٧ دجاجة لاحمة، و٣٥٠٢٩٢ دجاجة بيض، وقتل ١٦٥٠ أرنب مزارع، في حين جرفت قوات الاحتلال ٣٣٧٩٢ دونماً من شبكات الري منها ٢٥٢٩ في غزة، وهدمت ١٣٦٢ بركة وخزان مياه منها ٣٥ في غزة، وتم تجريف ٦٣١١٨٢ متراً من سياج مزارع وجدران استنادية بالمتر الطولي منها ٢٥٣٤٠ في غزة، كما تم تجريف ٩٧٩٢٣٩ متراً طولياً من خطوط المياه الرئيسية منها ٦٨١٥٥ في غزة.

وذكر التقرير أن عدد المزارعين المتضررين حتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ بلغ ١٦١٩٥ مزارعاً، فيما بلغ عدد المشاتل المجرفة ١٦ مشتلاً، وقام الاحتلال بإتلاف جرارات ومعدات زراعية مختلفة بلغ عددها ١٦ جراراً، في حين دمرت قوات الاحتلال منذ ١/ ١٠/ ٢٠٠١ حتى نهاية شهر حزيران الماضي ٩٢٥٧ ورشة ومحل وبسطة.

وأشار التقرير إلى أن نسبة العاطلين عن العمل في الشعب الفلسطيني بلغت ٢٨,٤٪ حسب نتائج مسح الربع الرابع من العام ٢٠٠٦ موضحاً أن عدد العاطلين

عن العمل بلغ ٢٨٤٥٠٠ حتى ٣٠/٩/٢٠٠٦، كما أشار إلى أن نسبة الفقر في الأراضي الفلسطينية جراء الإغلاق والحصار أصبحت أكثر من ٧٠٪ حسب نتائج مسح الربع الثالث من العام ٢٠٠٦.

وأفاد التقرير بأن الانتهاكات ضد الصحافيين بلغت ١١٤٧ حالة اعتداء، في حين نصبت قوات الاحتلال ٥٠٠١ حاجزاً عسكرياً ونقطة عسكرية جديدة منذ ١/١٠/٢٠٠١، وقصفت تلك القوات الأحياء السكنية ٣٦٧٢٤ مرة من التاريخ السابق حتى نهاية الشهر الماضي.

وجاء في التقرير أن إجمالي مساحة الأراضي التي تمت مصادرتها لخدمة جدار الفصل العنصري منذ ٢٩/٣/٢٠٠٣ بلغت ٢٤٧٢٩١ دونماً، وتعرضت ٤٣٢ منشأة صناعية إلى الأضرار والخسارة الناتجة عن الانتهاكات والاعتداءات الإسرائيلية، حسب ما ورد من وزارة الاقتصاد الوطني.

٥- **المذابح الجماعية التي أقاموها لأهل فلسطين:** أقام اليهود لأهل فلسطين مذابح هائلة، فمن هذه المذابح:

أ- **مذبحة دير ياسين:** من المذابح المخزية التي اقترفها اليهود مذبحة دير ياسين، ودير ياسين قرية تقع في غرب مدينة القدس، ترتفع ٧٧٠ متراً عن سطح البحر، كان عدد سكانها قريباً من سبعمائة فرد.

توجه إليها في العاشر من إبريل سنة ١٩٤٨ مجموعة من الشبان والمراهقين المدججين بالسلاح، وأحاطوا بالقرية في الساعة الثانية صباحاً، وكان أهلها نياماً، واقتحموا البيوت يقتلون كل من وجدوه أمامهم من الأطفال والنساء والرجال، وجمعوا كثيراً منهم إلى جانب جدار وحصدوهم حصداً بالرصاص، وقد تفننوا في إيذاء أهل القرية، فقد بقروا بطون الحوامل من النساء، واغتصبوا النساء وبعضهن فتيات صغيرات، وقد حفروا بآلتهم قبراً جماعياً ودفنوا فيه مائتي وخمسين جثة لمن قتلوا من الكبار والصغار والرجال والنساء. ثم دمروا مساكن القرية، وأزالوا

مسجدها، وأحرقوا ما أمكنهم إحراقه، وحملوا البقية الباقية وعددهم خمسة وعشرون رجلاً، وطافوا بهم في حي يهودي، ثم قادوهم إلى مقلع للحجارة وقتلوهم جميعاً، وحملوا البقية الباقية من النساء والصبية في سيارة شحن، وألقوهم بعيداً عن قريتهم.

وقد أقام اليهود على أطلال قرية دير ياسين قرية خصصوها لسكناهم، وقد كانت مجزرة دير ياسين مثالاً للكيفية التي احتل اليهود بها القرى العربية، يقول المؤرخ الإسرائيلي أربيه يتسحافي الذي كان باحثاً في الجيش الإسرائيلي: «إذا أدركنا الحقائق ندرك أن مجزرة دير ياسين كانت إلى حد بعيد طابعاً مألوفاً لاحتلال قرية عربية، ونسف أكبر عدد من المنازل فيها، وقد قتل في هذه العمليات الكثير من الرجال والنساء والأطفال».

وقد كان لهذه المذبحة وأمثالها - كما قال بيغن رئيس الوزراء الأسبق للكيان الصهيوني «كان لهذه العملية نتائج كبيرة غير متوقعة، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع قوي، فأخذوا يفرون مذعورين» [المجازر الصهيونية لجواد الحمد، ص١٣ باختصار].

ب- **مذبحة قبية**: وقد استمر العدوان اليهودي المنظم على أهل البلاد حتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ففي ١٤/ ١٠/ ١٩٥٣ الساعة السابعة والنصف مساءً قامت وحدات الجيش النظامي وعددها ٦٠٠ جندي بتطويق قرية قبية، فحاصروها وعزلوها عن محيطها، وقصفوها بالمدفعية، ودخلوها وهم يطلقون النار، ويدمرون المباني، واستمرت المعركة ثنتان وثلاثين ساعة، قتلوا فيها سبعة وستين فرداً من أهلها، ودمروا ستة وخمسين منزلاً ومسجد القرية وخزان المياه الذي يغذيها.

ج- **مذبحة كفر قاسم**: وفي ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ هاجمت قوات إسرائيلية قرية كفر قاسم وحصدوا من أهل القرية تسعة وأربعين فرداً من الرجال والنساء والأطفال. [المصدر السابق، ص٢٣].

د- **مذبحة بلد الشيخ**: وقد تم الهجوم من قِبَل عصابات الهاغاناه على قرية بلد الشيخ (تسمى اليوم تل نحنان) ليلة رأس السنة في ٣١/ ١٢/ ١٩٤٧ وقد أدى هذا الهجوم إلى مصرع الكثير من النساء والأولاد، وقد كانت حصيلة المذبحة حوالي ٦٠٠ قتيل في المنازل معظمهم من غير المحاربين.

هـ- **الهجوم على قرية سعسع في الجليل ليلة ١٤-١٥/ ٢/ ١٩٤٨**: وتم نسف ٢٠ منزلاً على ساكنيها، معظمهم من النساء والأطفال.

و- **تدمير قرية أبو كبير في ٣١/ ٣/ ١٩٤٨ على يد فِرَق الهاغاناه**: وذلك من خلال الهجوم المسلح والتفجير وقتل السكان الهاربين من بيوتهم طلباً للنجاة.

ز- **مذبحة أبو شوشة**[1]: في فجر يوم ١٤/ ٥/ ١٩٤٨ بدأت مذبحة رهيبة في قرية أبو شوشة المجاورة لقرية دير ياسين راح ضحيتها ٥٠ شخصاً من النساء والرجال والشيوخ والأطفال، ضربت رؤوس العديد منهم بالبلطات، وقد أطلق الجنود الصهاينة النار على كل شيء متحرك دون تمييز، وحتى البهائم لم تسلم من ذلك، وقد قام بهذه المذبحة وحدات من لواء جفاتي الصهيوني.

ح- **مذبحة اللد**: دخلت القوات الإسرائيلية في ١٢/ ٧/ ١٩٤٨ مدينة اللد، وأطلق جنود «يفتاح» النيران الكثيفة على جميع المارة في الشوارع دون تمييز، ويعترف اليهود بقتل ما يزيد عن ٢٥٠ عربياً لكن عارف العارف المؤرخ الفلسطيني المعروف يقول إن عدد الشهداء الذين حصدتهم الرشاشات اليهودية وصل إلى ٥٠٠ عربي، وقد قتل أكثر من ١٥٠ منهم داخل المسجد الكبير، وكان قائد اللواء اليهودي المهاجم يدعى مولاكوهين.

---

(١) راجع نصر يعقوب وفاهوم الشلبي، كتاب رقم ١٨ في سلسلة «القرى الفلسطينية المدمرة»، «قرية أبو شوشة» الطبعة الأولى، ١٩٩٥، مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني في جامعة بير زيت، مركز الأبحاث، نقلاً عن جريدة الحياة اللندنية عدد ١ إبريل ١٩٩٥.

ط- **مذبحة قلقيلية**: قال موشي دايان وزير حرب العدو «سأحرث قلقيلية حرثاً» في اجتماع على الحدود عام ١٩٥٣، وقد تم العدوان على قلقيلية يوم ١٠/١٠/١٩٥٦ من خلال مفرزة من الجيش، وكتيبة مدفعية، وعشر طائرات مقاتلة، كما تحشدت في العاشرة ليلاً قوة من المستوطنين هاجمت القرية بالتعاون مع الجيش، وانهالت المدفعية بحممها على المدينة، واستشهد خلال هذه المجزرة قرابة سبعين شخصاً وهم يدافعون عن المدينة، وكان الجيش الذي دخل القرية يطلق النار على المنازل وعلى كل ما يصادفه، وقام بقطع خطوط الهاتف والكهرباء، ومارس أعمال الإرهاب والرعب المعتادة من العصابات الهمجية في تاريخ البشرية غير مبالٍ بالأطفال أو النساء أو الشيوخ.

ي- **قام الجيش الصهيوني بمذبحة ضخمة في مخيم خان يونس للاجئين في قطاع غزة**: قتل فيها أكثر من ٢٥٠ من السكان المدنيين، وذلك خلال هجوم شنّه الإسرائيليون على المخيم يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦، وفي ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ - أي بعد تسعة أيام فقط - قامت وحدة من الجيش الإسرائيلي بمجزرة راح ضحيتها حوالي ٢٧٥ فلسطينياً من المدنيين في المخيم نفسه، وقتل خلال الهجوم الأخير أكثر من مائة آخرين وفي اليوم نفسه من سكان مخيم رفح للاجئين.

ك- **مجزرة السموع**: من خلال الهجوم المدفعي الوحشي عليها عام ١٩٦٦ حيث تم تدمير ١٢٧ منزلاً في القرية، وقتل ما لا يقل عن ١٨ شخصاً وجرح ما يزيد عن ١٣٤ آخرين.

ل- تم تصفية أكثر من ٢٣ مدنياً في مخيم رفح للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة عام ٦٧ وظلوا مطروحين في الشارع بعد قتلهم لعدة أيام وذلك بهدف إرهاب السكان.

م- **مذبحة صبرا وشاتيلا**: غزا الجيش الإسرائيلي لبنان في عام ١٩٨٢، وكان أحد الأهداف المناطة بتلك الغزوة إنهاء مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت،

ودفع الفلسطينيين إلى مغادرة لبنان، وقد شارك الجيش اليهودي في الهجوم على مخيم صبرا وشاتيلا عدد من قوات الكتائب وقوات سعد حداد.

ومخيما صبرا وشاتيلا مخيمان قريبان من بيروت يبلغ تعداد الفلسطينيين فيهما تسعين ألفاً، وقد قتل في هذه المذابح المخزية ما بين ثلاثة وثلاثة آلاف وخمسمائة فلسطيني، وقد حاول الظالمون إخفاء جريمتهم، ولكن جريمة بهذا الحجم لا يمكن أن تخفى. [المصدر السابق، ص٣٥].

ن- **مذبحة المسجد الأقصى:** وفي عام ١٩٩٠ الثامن من أكتوبر حاول أحد المتطرفين وضع حجر الأساس للهيكل في ساحة الحرم القدسي، فوقع اشتباك بين المصلين وأمناء جبل الهيكل، وتدخل جنود حرس الحدود، وأطلقوا النار على المصلين، وقتلوا ٢١ من المصلين، وجرحوا مائة وخمسين، واعتقلوا ٢٧٠ فرداً. [المصدر السابق، ص٢٧].

س- **مذبحة غزة:** وعندما كنت أراجع التجربة الأولى من هذا الكتاب قام الجيش اليهودي بالهجوم على قطاع غزة بطائراتهم ودباباتهم وصواريخهم وبوارجهم الحربية ومشاتهم، واستمرّ الهجوم مدة اثنين وعشرين يوماً، فهدموا المباني الحكومية والوزارات والبيوت والمدارس والمساجد والجامعات والمصانع والمتاجر ووصل التدمير إلى المستشفيات، واستعملوا في حربهم القنابل الفسفورية، وبلغ عدد البيوت التي هُدِّمت هدماً كلياً أربعة آلاف بيت، أما الذي هُدم هدماً جزئياً فبلغ سبع عشر ألف بيت.

وسقط من الشهداء قرابة ألف وأربعمائة شهيداً من الرجال والنساء والأطفال، وقارب عدد الشهداء من الأطفال والنساء نصف من سقطوا في هذه المعركة، وجرح من أهل غزة ما يزيد على خمسة آلاف، وكثير من جراح هؤلاء شديدة، فبعضهم أصيب بعاهة لا تندمل، فمنهم من قطعت منه الأيدي، ومنهم من قطعة منه الأرجل، وبعض هذه القنابل كانت تصيب من حلت به بأوبئة فتاكة، وبعض هذه القنابل استعملت لأول مرة مع ذلك الشعب الأعزل.

وبلغ حجم خسارة أهل غزة عدة مليارات من الدولارات، وبلغ حجم خسائر الجامعة الإسلامية وحدها خمسة عشر مليوناً من الدولارات، وقد كلفت هذه الحرب الدولة المعتدية أيضاً بضعة ملايين من الدولارات، فقد استنفرت جيشها واحتياطيها من الجنود، وبلغ عدد الذين استنفرتهم من الجنود خمسين ألف جندي، وأسقطت على بعض الأهداف قنابل تزن طناً كاملاً، بل طناً ونصف، وصبر أهل غزة لهذا العدوان صبراً جميلاً، وأسلم كثير منهم وجهه لله رب العالمين وقاوم المسلحون من أهلها بأسلحتهم الخفيفة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وسقط من جنود اليهود عدد ليس بالقليل، وثار العالم العربي والإسلامي، استجابة لنداء غزة، وخرجت المظاهرات، وتحركت المسيرات في مشارق العالم العربي والإسلامي ومغاربها، ولم يتحرك حكام العرب إلا بعد فوات الأوان، وصدر عن مجلس الأمن صوت ضعيف لا يسمن ولا يغني من جوع، وأخيراً لم تستطع الدولة الظالمة المعتدية أن تقضي على الجهاد في أرض قطاع غزة، بعد أن قتلت وجرحت ونسفت ودمرت، ولكن القوى المقاومة بقيت صامدة ثابتة، وبقيت صواريخها تنطق موقعة الرعب في مدن وقرى العدو اليهودي.

لقد قرأنا كثيراً عن الإفساد اليهودي في فلسطين، ولكننا في غزة شاهدنا الدمار والإفساد الذي حلَّ بها بأعيننا، وشاهده العالم كله عبر شاشات التلفزيون، وشاهدنا المساندة لليهود من القوى الصليبية، وبقيت المعركة دائرة حتى أوقفت إسرائيل الحرب بعد مرور اثنين وعشرين يوماً، وكان ذلك في نهاية الأيام الأخيرة من عام ٢٠٠٨ وبداية الأيام الأولى من سنة ٢٠٠٩.

وبعد الحرب تنادت الدول الصليبية الكافرة بإرسال قواتها البحرية لمراقبة سواحل غزة حتى تمنع وصول السلاح إليها، ووصلت فرقاطة فرنسية إلى تلك السواحل، وننتظر وصول المزيد من هذه القوارب، وكأن غزة تملك من السلاح ما لا تطيق إسرائيل أن تتحمله، وكأن إسرائيل التي تملك تلك القوة الهائلة خالية من

السلاح، وهي التي أمطرت غزة وسواحلها بما لا قِبَل لها به، إن الحرب اليهودية على فلسطين تساندها من ورائها حرب صليبية.

٦- **جمع اليهود من شتى أنحاء العالم:** عمل اليهود على جمع الشعب اليهودي من كل أطراف الأرض، فجاء اليهود إلى أرض الإسراء من اليمن والعراق وسوريا، وتونس والجزائر والمغرب وأثيوبيا، والاتحاد السوفيتي (سابقاً)، وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وغيرها من الدول.

وقد بلغ عدد اليهود في فلسطين حتى نهاية عام ٢٠٠٤ خمسة ملايين ومائتين وخمسة وثلاثين ألفاً، ولم يكن يزيد عددهم قبل مائة سنة عن بضعة آلاف.

وهؤلاء الذين سماهم القرآن بالبنين في قوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء:٦] هم من البنين المدربين على إقامة الدولة، وقد اطلعت على إحصائية تقول: إن كل مائة ألف يهودي من المهجرين إلى فلسطين فيهم ٢٠٠٠ عالِم وباحث، و١١٣٠٠ مهندساً، و٢٦٠٠ طبيباً، و٧١٨٠ اختصاصياً بمؤهلات علمية.

وكل هذه المؤهلات أنفقت عليها نفقات ضخمة خاصة في روسيا، لقد كان الاتحاد السوفيتي قديماً محضناً لبناء الدولة اليهودية، حيث أنفق بسخاء على ما تحتاجه الدويلة من طاقات.

وفي الوقت الذي يجمع اليهود من شتى بقاع الأرض في فلسطين، يشرد أهل فلسطين إلى شتى بقاع العالم.

٧- **إمدادهم بكميات هائلة من المال من مختلف دول العالم:** أغروا دول العالم بإمدادهم بالمال، فجرت أموال العالم أنهاراً إلى خزائنهم، فأمريكا تمدهم ظاهراً باثنين ونصف مليار سنوياً، والصحيح أن المبلغ يزيد عن ذلك كثيراً، ويصل إلى خمسة مليارات في كل عام.

وعلى مدار سبع سنوات بلغ المال الذي تدفق لهذه الدولة من دول أوروبا أربعة عشر ملياراً، وكثير من النصارى أمدوا اليهود بالمال، وأقاموا جمعيات تجمع المال وتمدُّ به اليهود.

٨- **بناء اليهود قوة عسكرية هائلة:** أقام اليهود جيشاً قوياً، دربوه أحسن التدريب، وسلحوه أحسن التسليح، وهم ينفقون على تصنيع السلاح بغير حساب، ففي عام واحد هو عام ٢٠٠٥ بلغت ميزانيتهم العسكرية عشرة مليارات. وقد بلغ الحال بهم أن يبيعوا صفقات من أسلحتهم ببضعة مليارات لدول كثيرة، كالبرازيل والإكوادور وكولومبيا والفلبين وسيرلانكا والهند وتركيا، ولا يخفى أن أمريكا تمد اليهود بما يريدونه من السلاح، كما يعينون هذه الدولة على عقد صفقات السلاح لمختلف الدول، وقد حصلت هذه الدولة على صفقة واحدة من الطائرات عددها ١٠٢ وهي من طائرات اف-١٦ أي العاصفة.

٩- **إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول العربية:** استطاعوا أن يقيموا علاقات دبلوماسية مع كثير من الدول العربية، مع أنهم يحتلون قدسهم ومسجدهم الأقصى، وشردوا إخوانهم، ويحاولون أن يهودوا ديار الإسراء تهويداً كلياً، وبخاصة مدينة القدس، ويحاولون تدمير الأقصى.

١٠- **هدم المساجد ومنع الصلاة فيها وتمزيق المصاحف:** هدم اليهود في فلسطين قرابة ألف ومائتي مسجد، وجعلوا بعض المساجد مقاهي وخمارات، وطغوا وبغوا عندما مزقوا المصاحف في المساجد والمدارس، وأهانوا العلماء.

وقد دأب اليهود على منع المصلين من الصلاة في المسجد الأقصى بأقصى ما يستطيعون ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ﴾ [البقرة:١١٤].

١١- **إقامة اليهود دولتهم على أساس من دينهم:** استطاع اليهود أن يقيموا دولتهم على أساس من دينهم، وقد تجلس مجلساً واحداً مع ثلاثين يهودياً في

فلسطين، فتجدهم من ثلاثين دولة، وتراهم مختلفين في سحناتهم وقسمات وجوههم ولهجاتهم، وعندما تتأمل في الرابط الذي يجمعهم في تلك البقعة من الأرض، فلا تجده إلا دينهم.

لقد سموا دولتهم باسم أبيهم يعقوب، وهو إسرائيل، وسموا مجلس الأمة باسم ديني هو الكنيست، وترى كثيراً منهم لا يعملون في يوم السبت بدعوى أن دينهم يحرم عليهم العمل في يوم السبت.

وعندما اشتد اضطهاد اليهود في أوروبا في أوائل القرن العشرين، عرضت عليهم كندا إقامة وطن قومي لهم في أرض مستقلة. ثم تقدمت أستراليا بالعرض نفسه وكذلك البرازيل، ولكن الصهيونية العالمية رفضت كل هذه العروض، وظلوا على عنادهم لا يرضون بأرض فلسطين بديلاً.

وكانت حجتهم في ذلك أن إقامة دولة في أي مكان غير فلسطين سيجعل هذه الدولة خالية من الروح والعقائدية التي تتمتع بها أرض الميعاد، وهي الأرض التي يحلمون بها منذ أكثر من ألفي سنة، وأن هذه الدولة الجديدة لن تستطيع اجتذاب يهود العالم روحياً كما تجتذبهم الأرض المقدسة، ومع أن فلسطين فقيرة بالخيرات والموارد الطبيعية بالمقارنة إلى كندا أو أستراليا أو البرازيل إلا أنها سوف تعوضهم بالدفع العقائدي والروحاني الذي هو بدوره أثمن وأغلى من كل خيرات الأرض.

والدارس لقانون التعليم الإسرائيلي يجده قائماً على أساس قيم اليهود الثقافية، وتحصيل العلوم ومحبة الوطن والولاء لدولة إسرائيل والشعب اليهودي.

وقد جاء في مقال كتبته الكاتبة الأردنية خولة النوباني في مجلة الغد بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٤ قالت فيه:

جاء في القانون الرسمي للدولة العبرية ما نصه «إن الهدف من التعليم الرسمي هو إرساء الأسس التربوية على أسس الثقافة اليهودية منجزات العلم وعلى

محبة الوطن والولاء للدولة وللشعب اليهودي» والذي يثير الانتباه في نص القانون التعليمي السابق أن الأسس التربوية إنما هي قائمة على الثقافة والتي تقوم على أسس العقيدة اليهودية، وقد جاء ذلك صريحاً في المؤتمر اليهودي للتربية والتعليم «أنه يقر بأن التربية اليهودية أو الصهيونية يجب أن تكون قائمة على أساس القيم اليهودية، والذات والتقاليد اليهودية، وأنها سوف تتولى كافة المجالات التربوية بكل فروعها الرسمية وغير الرسمية لتربية الأطفال والشبيبة والطلبة الأحداث».

وما يدعو إلى استدعاء المفارقات بين ما هو معلن وبين ما هو مفعل حقيقة على أرض الواقع أن التعليم الديني في الدولة العبرية ينطلق من المفهوم الديني لليهودية، بل إن هذا المفهوم يعتبر الأساس للعملية التربوية ككل إن صح التعبير.

ولفهم وتعريف الإنسان اليهودي نعود للنص الذي أورده إسرائيل شاحاك في كتابه - الديانة اليهودية وتاريخ اليهود - وقد قال فيه: «فبحسب القانون الإسرائيلي يعتبر الشخص «يهودياً» إذا كانت والدته أو جدته، أو جدته لأمه، أو جدته لجدته، يهودية في ديانتها؛ أو إذا اعتنق الشخص الديانة اليهودية بطريقة ترضي السلطات الإسرائيلية، ولكن شرط ألا يكون هذا الشخص قد تحول في وقت من الأوقات عن اليهودية واعتنق ديانة أخرى، ففي هذه الحالة تقلع إسرائيل عن اعتباره يهودياً».

ومما يؤكد على اعتمادهم المرجعية الدينية في نظام التعليم أنهم يعتمدون على التوراة والتلمود حاضناً أساسياً مهماً ورافداً لتحقيق الغايات التربوية، والتي تعزز الفكر الاستيطاني العنصري. يقول أحد حاملي لواء التربية اليهود: «إن روح التلمود ومعرفة جميع شرائعه وآدابه يجب أن تكون جزءاً من دراسة كل يهودي ومتعلم وإن لم يجعل من حقل الدراسة هذا مجالاً للعمل والأمر شبيه بتعليم الفيزياء والرياضيات». ونعلم أن اليهودي يعد التلمود كتاباً مهماً، بل يفوق في أهميته التوراة نفسها، يقول الأب بولس حنا مسعد في كتابه - همجية التعاليم الصهيونية - : «في

كل عصر عدّ اليهود عموماً، ما عدا بعض المشاقين، التلمود إلهياً كالتوراة، ولكن إذا فحصنا الحقائق بمنظار الروية، وجدناهم يضعونه فوق التوراة نفسها».

١٣- **احتماؤهم بسيف «اللاسامية»**: «اللاسامية» مصطلح ابتكره اليهود ضد الذين يسخرون منهم أو من دينهم أو تقاليدهم، وكل من انتقدهم حتى فيما يفعلونه من قتل وتدمير وتشريد في فلسطين رموه بـ «اللاسامية» حتى لو كان من أصدقائهم.

وقد أطلقوا هذا المصطلح على جيمي كارتر من أجل كتابه الأخير، وأطلقوه على شارل ديغول قبل ذلك، لأن الزعيمين دعيا إلى سياسة أكثر اتزاناً في فلسطين.

وبعض الكُتّاب اليهود كما تروي جريدة «الهيرالد تريبيون» لم ينجوا من الاتهام باللاسامية، لأنهم أنكروا على أولمرت سياسته الدموية ضد الشعب الفلسطيني.

وهذه التسمية خطأ، لأن السامية أوسع من اليهودية، وهي تضم نظرياً أولاد سام بن نوح، ومنهم العرب.

وكتب رئيس التحرير في مجلة القدس مقالاً حول هذا المصطلح قال فيه:

«اللاسامية» مصطلح سياسي يهودي صهيوني عنصري انتقائي استعماري إرهابي بامتياز.

اللاسامية مصطلح سياسي لارتباطه نشأةً وتواصلاً ومآلاً بأهداف سياسية متجددة تبعاً للمتغيرات السياسية الإقليمية والدولية التي أفرزته، ابتداءً بهجرة اليهود من أوروبا، ومروراً بأراجيف ومبتدعات المذابح والمحارق المختلفة في معظمها، التي تعرض لها اليهود، وانتهاءً بإقامة الكيان الصهيوني وحروبه الاستعمارية المتمثلة باحتلال الأراضي العربية، وإنكار حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني، والتشبث بأسطورة القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل.

واللاسامية مصطلح يهودي صهيوني لأنه نتاج «الذهنية اليهودية الصهيونية».

واللاسامية مصطلح عنصري، لأنه ينطلق من العرق، وأن اليهود هم شعب الرب وأما غيرهم غوييم (الأغيار)، وشرّع لهم الحق في إبادتهم، مع أن اليهودية دين، وليست جنساً كما هي المسيحية دين وليست جنساً، وكذلك الإسلام.

اللاسامية مصطلح انتقائي لأنه يحصر السامية في اليهود، مع أن هناك أقواماً أخرى، ومنهم العرب تندرج تحت السامية، والمغزى من هذه الانتقائية واضح تماماً، وهو بسط سيطرة اليهودية الصهيونية على العالم.

واللاسامية مصطلح استعماري، لأن آثاره الاستعمارية ظاهرة للعيان ومتحققة على الأرض سواء من خلال الكيان الصهيوني نفسه، أو من خلال احتلاله للأراضي العربية، أو من خلال حروبه العدوانية الاستعمارية التوسعية المباشرة، أو تلك بالنيابة كالحرب الأمريكية الأخيرة ضد العراق واحتلاله وتحويله إلى ساحة للموساد الصهيوني يسرح ويمرح فيها حيث وكيفما ومتى شاء.

واللاسامية مصطلح إرهابي، ليس لاستخدام الحركة الصهيونية الأعمال الإرهابية والتفجيرات ضد اليهود أنفسهم لحملهم على ترك أوطانهم الأصلية والهجرة إلى فلسطين، كما حصل في مصر والعراق وإلى حدٍّ ما في ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية فحسب، بل من خلال المذابح والمجازر الدموية التي ارتكبتها مليشياتها الإرهابية ضد القرى والمدن الفلسطينية مثل مذبحة دير ياسين، وكفر قاسم، وقبية، ومن خلال تدمير مئات القرى الفلسطينية، ومن خلال المذابح المتتالية والاغتيالات التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلي وسلاحها الجوي وأجهزتها الأمنية ضد الشعب العربي الفلسطيني وقياداته الفكرية والسياسية والعسكرية وسياسة الهدم والتجريف والتهجير القسري وغيرها من وسائل التهويد التي لا مجال لحصرها هنا.

واللاسامية مصطلح إرهابي بامتياز أيضاً لأن الحركة الصهيونية الأخطبوطية وأذرعها التي تمتد لمعظم دول العالم وبخاصة تلك التي تقرر اتجاهات السياسات

الدولية والإقليمية، وأهمها الولايات المتحدة الأمريكية تعمل جاهدة على تكميم أفواه الرأي العام العالمي وبخاصة الغربي من خلال سيف معاداة اليهود (اللاسامية) المسلط على رقبة كل من يفكر بدحض أكاذيبها أو إطلاع الرأي العام العالمي على أساطيرها وخزعبلاتها وجرائمها وسياساتها العدوانية التوسعية الاستعمارية العنصرية، كما حصل لكثيرين من المفكرين العالميين، ومن بينهم يهود، مثل باول فندلي، وروجيه غارودي قبل اعتناقه الإسلام وغيرهم، أو من خلال إجبار الدول على سن تشريعات تحرم التعرض لليهود ولتاريخهم الانتقائي بالنقد أو التشكيك أو الرفض، كما حصل مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية بسنّها تشريع «رقابة اللاسامية (معاداة اليهود)» في المناهج التعليمية والإعلام للدول وبخاصة الشرق أوسطية والعربية والإسلامية أو كما هو تشريع غاتسو في فرنسا أو كما حصل من قبل في ألمانيا الاتحادية.

ومن بين أخطر أذرع الأخطبوط اليهودي الصهيوني يأتي المؤتمر اليهودي العالمي الذي طالب رئيسه إسرائيل أمام المؤتمر المشترك الذي عُقد مؤخراً في مقر الاتحاد الأوروبي في بروكسل، وبحضور قائد قوات حلف الناتو (الأطلسي) الدول الأوروبية بضرورة الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل كتكفير عن بعض مظاهر «سياساتها اللاسامية» التي جعلت الرأي العام الأوروبي يحمل إسرائيل مسؤولية انعدام السلام والأمن في الشرق الأوسط والعالم.

١٤- المحرقة أو ما يسمونه (الهولوكوست): افترى اليهود كذبة عظمى زعموا فيها أن هتلر في ألمانيا في الحرب العالمية الثانية أحرق ستة ملايين يهودي، واتخذت هذه الكذبة ذريعة لاستغلال العطف العالمي تجاه اليهود، وقد اجتاح اليهود فلسطين، وقاموا بتدمير المدن والقرى، وقتل أهل فلسطين وتشريدهم، وتريد أن لا يعترض عليهم أحد بسبب ضحايا الهولوكوست.

وقد كتب جورج حداد عن المحرقة بمناسبة انعقاد مؤتمرين عنها في طهران، وبرلين، فقال:

في كل من طهران وبرلين ينعقد مؤتمران حول (المحرقة) أو ما يسميه اليهود «الهولوكوست». مؤتمر طهران، بحسب ما ذكره وزير خارجية إيران منوشهر متكي «.. منتدى علمي يرمي إلى تقديم إجابات على الأسئلة المتعلقة بالمحرقة التي طرحها الرئيس الإيراني أحمدي نجاد»! .

وكان نجاد أكثر من مرة قد صرّح بأن (المحرقة) ليست إلا خرافة استخدمها ويستخدمها اليهود ذريعة لإقامة إسرائيل ودعم سياساتها العدوانية الشريرة! .

ربما يجهل الكثيرون أن غالبية الدول الغربية (أمريكا وأوروبا) قد انصاعت للضغوط اليهودية حين سنّت القوانين التي تعاقب بالحبس والغرامة كل من يشكك في واقعة (المحرقة)! .

جرى هذا بعد أن قام الكثير الكثير من المؤرخين والباحثين ومراكز الأبحاث والدراسات في بلدان ما يسمى «العالم الحر» المتحضر الديمقراطي بنفي كلي أو جزئي وتفنيد الرواية اليهودية عن المحرقة !! الأمر الذي دفع اليهود إلى إثبات صحة وقوع المحرقة، وكل ما أوردوه حولها من مبالغات غير معقولة، من خلال الضغط على الحكومات والمجالس التشريعية لسن قوانين جزائية لمعاقبة المشككين برقم الضحايا (ستة ملايين!!) أو حتى وجود غرف غاز!! .

وفعلاً تم محاكمة الكثيرين من هؤلاء المؤرخين والباحثين والمراكز البحثية، وتعرضوا للسجن والتشهير، وفي بعض الأحيان بحرق المراكز، كما حدث في أكثر من بلد أمريكي وأوروبي!! وهناك لمن يريد الاطلاع والتوسع عشرات الكتب ومئات بل ألوف المقالات المدعمة بالحقائق والوثائق حول موضوع المحرقة وضعها وكتبها أساتذة وعلماء ومؤرخون كانوا وما زالوا يطرحون السؤال الذي يطرحه الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الآن وهو: «.. إذا كانت الهولوكست حقيقة تاريخية، لماذا إذن لا يمكن دراستها؟!» .

وفي الحقيقة أن جرائم النازية وفظائعها، أمر ثابت سواء كان هناك محرقة يهودية أو لم تكن، فالنازيون الألمان خلال الحرب العالمية الثانية قتلوا من الروس والنور وشعوب شبه جزيرة البلقان التي قاومت الغزو النازي، أضعاف أضعاف أضعاف من قُتلوا من اليهود، ومع ذلك فإن اليهود فقط هم ضحايا النازية !! .

وبالمناسبة، فإن اليهود يرفضون بشدة الحديث عن المحرقة إلا من جانبها المأساوي المتعلق باليهود وحدهم، فهم مثلاً يقاومون بضراوة قصوى، كل حديث أو بحث عن علاقتهم وعلاقة حركتهم الصهيونية بالنازيين، والنازية، ذلك أن مثل هذا الأمر يقود حتماً إلى فضح كثير من الأسرار والاتفاقات والتفاهمات التي تمت بين النازيين وبين اليهود والحركة الصهيونية.

وصحيح أن النازيين كانوا يكرهون اليهود، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يعقدون معهم الاتفاقات ويساعدونهم على الهجرة إلى «أرض الميعاد» مقابل خدماتهم التجسسية على الحلفاء، أعداء ألمانيا النازية. وقد استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٤٢ حين تأكد لليهود أن هزيمة النازيين في الحرب باتت متوقعة ومؤكدة !! آنذاك بادروا بالانقلاب على هتلر ونظامه النازي وتفاهماتهم مع النازيين!! .

الغصن الثاني

الدلائل والمبشرات العامة الشاملة لفلسطين وغيرها

تحدثت فيما سبق عن الدلائل الدالة على انتصار المسلمين على اليهود، وهناك دلائل وبشائر كثيرة عامة تدل على انتصار المسلمين في مقبل الزمان، وهذه الدلائل والبشائر تدخل فيها فلسطين وغيرها من الديار، وهذه البشائر تدل على أن المسلمين سيتجاوزون محنتهم مع اليهود، وسيستعيدون فلسطين والأقصى.

البشارة الأولى
وعد الله المؤمنين بأن يمكنن لهم دينهم ويستخلفهم في الأرض

وعد الله المؤمنين بأن يمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم، ويبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، بشرط أن يحققوا العبودية له وحده، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وقد تحقق ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة، فاستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، ومكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وبدّلهم من بعد خوفهم أمناً، وفتحوا الجزيرة العربية كلها، وملكوا ملك كسرى وقيصر، وأنفقوا كنوزهما في سبيل الله، وكلما امتد الزمان ساحت جيوش الإسلام حاملة الهدى والنور، حتى كاد يعم الإسلام الأرض كلها.

البشارة الثانية
نصر الله عباده المؤمنين في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد

كتب الله - تبارك وتعالى - وفرض أن تكون الغلبة له ولرسله، وقال في ذلك: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١]. أي حكم وكتب في كتابه الأول، وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع، ولا يبدّل، بأن النصرة له، ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥١-٥٢] [تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٣٠٤].

وهذه النصوص عامة في المرسلين كلهم، ومحمد ﷺ في زمرتهم، والآية الأخيرة مصرحة بأن المؤمنين المجاهدين داخلين في الذين يستحقون نصر الله.

البشارة الثالثة

وعد الله رسوله ﷺ أن يظهر دينه على الدين كله

وعدنا ربنا تبارك وتعالى أن يظهر دينه الذي أنزله على عبده ورسوله ﷺ على الدين كلّه، وهذا يدل على أنه سيبطل كيد الكافرين الذين يريدون إطفاء نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣] ومعنى إظهاره على الدين كله إظهاره على كل الأديان.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٨].

البشارة الرابعة

سيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار

أخبرنا رسولنا ﷺ وهو الصادق المصدوق أن هذا الدين بالغ ما بلغ الليل والنهار، وأنه لن يبقى فوق ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخله الإسلام.

روى تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذلُّ به الكفر» [عزاه خالد الغامدي في كتابه (أشراط الساعة) ص١٩٣ إلى أحمد والحاكم في المستدرك: ٨٣٢٦ وقال: حديث على شرط الشيخين، ولم

يخرجاه، والطبراني في الكبير: ٢/ ١٥٠، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩٨٠٧، والألباني في الصحيحة: ١/ ٣٢ رقم ٣].

وروى المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله عز وجل، فيجعلهم الله من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها» [عزاه خالد بن ناصر الغامدي في كتابه (أشراط الساعة) ص١٩٢ إلى الحاكم في المستدرك: ٨٣٢٤ وقال هذا حديث حسن صحيح رواه أحمد على شرط الشيخين والبخاري في التاريخ الكبير، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩٨٠٩، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح، والتبريزي في المشكاة، رقم ٤٢، وقال الألباني بهامشه: بسند صحيح].

وهذا الحديث يقوِّم الحديث الأول، فهو يدل على عموم الإسلام الأرض كلها، حتى لا يبقى بيت على وجه الأرض إلا دخله الإسلام.

وأخبرنا رسولنا ﷺ في حديث ثالث أن الله زوى له الأرض، وأن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها.

فعن ثوبان ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض» [مسلم:٢٨٨٩].

وأخبرنا رسولنا ﷺ أنه لا تزال طائفة قائمة بالحق إلى يوم القيامة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله، روى معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» [البخاري: ٣٦٤١، ومسلم ١٠٣٧، وذلك بأثر الرقم ١٩٢٣].

وأخبرنا رسولنا ﷺ أن هذا الدين سيبقى قائماً إلى أن تقوم الساعة، وأن الحكم الإسلامي الممتد عبر الزمان إلى يوم الدين سيكون فيه اثنا عشر خليفة، لم يمض منهم حتى اليوم إلا أربعة أو خمسة، هم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ولعل الخامس عمر بن عبدالعزيز.

عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش» وسمعته يقول: «عصبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض، بيت كسرى، أو آل كسرى»، وسمعته يقول: «بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم». [مسلم:١٨٢٢].

وهذه الأحاديث التي أوردتها في هذا المبحث تدل على أن الإسلام باقٍ إلى قيام الساعة، وستبقى أمة الإسلام ظاهرة على هذا الدين إلى أن يأتي أمر الله، وهذا يدل على أن الإسلام سيبقى له ظهور وامتداد عبر الزمان وعبر المكان.

ولا يكون هذا مرة واحدة، ففي عصر الرسول ﷺ انتشر الإسلام حتى قارب أن يغطي الجزيرة العربية، وفي عهد أصحابه دخل العرب كلهم في الإسلام وامتد الإسلام فدخل فيه فارس والروم.

روى نافع بن عقبة قال: حفظت من رسول الله ﷺ أربع كلمات، أعدهنّ في يدي، قال: «تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله، ثم فارس، فيفتحها الله، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله، ثم تغرون الدجال فيفتحه الله». [مسلم:٢٩٠٠].

وقد ذكر الرسول ﷺ ثلاثاً من الفتوح الأول التي فتحها الله على المسلمين في عصر أصحابه، والفتح الرابع يكون في آخر الزمان.

وقد أخبر الرسول ﷺ عن استتباب الأمن في جزيرة العرب في مقبل الأيام، وأنهم سيفتحون كنوز كسرى، وأن المال سيكثر فيهم حتى لا يقبل الصدقة، وقد رأى ذلك الصحابي الذي روى الحديث أمرين من الثلاثة التي أخبره رسول الله ﷺ بها.

فعن عدي بن حاتم قال: «بَينا أنا عند النبي ﷺ إذا أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عديّ، هل رأيتَ الحيرةَ؟ قلت: لم أَرَها، وقد أُنبئتُ عنها، قال: فإن طالتْ بك حياةٌ لترينّ الظَّعينةَ ترتحلُ من الحيرة حتى

تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله، قلتُ فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعّارُ طيئ الذين قد سَعَّروا البلادَ؟ ولئن طالت بك حياةٌ لتُفتحنّ كنوزُ كسرى، قلت: كسرى ابن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياةٌ لترينّ الرجل يخرج ملءَ كفِّه من ذهبٍ أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقينّ الله أحدُكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يتُرجم له، فيقولنّ: ألم أبعث إليك رسولاً فيُبلِّغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطك مالاً وأُفْضِلْ عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلى جهنم.

قال عدي: سمعتُ النبي ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيبةٍ. قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياةٌ لترونَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: يُخرج ملءَ كفه». [البخاري: ٣٥٩٤].

وروى أبو موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «ليتأتين على الناس زمان، يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه» [البخاري: ١٤١٤. ومسلم: ١٠١٢].

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ عن فتح المسلمين لعاصمة الروم الشرقية وعاصمة الروم الغربية، وقد فتح المسلمون القسطنطينية التي بشّر الرسول ﷺ بفتحها في الحديث الذي رواه عبدالله بن بشر عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش». [هذا حديث صحيح قال فيه خالد الغامدي، في كتابه (أشراط الساعة). أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك، رقم ٨٣٠٠، وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير، رقم ١٢٩١].

وقد فتحت القسطنطينية الفتح الأول، فتحها محمد بن مراد المعروف بمحمد الفاتح (في عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) وكان فتحاً عظيماً، أعز الله فيه الإسلام وأذل الكفر، وتحقق ما وعد به رسول الله ﷺ أمته، ويبدو أن القسطنطينية ستفتح فتحاً ثانياً في آخر الزمان.

ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال: «سمعتم بمدينةٍ جانبٌ منها في البر وجانب منها في البحر؟» قالوا: نعم. يا رسول الله ! قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق. فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يُقاتلوا بسلاحٍ، ولم يرموا بسهمٍ، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحدُ جانبيها».

قال ثور: لا أعلمه إلا قال: «الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرَّج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخُ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء، ويرجعون». [رواه مسلم: ٢٩٢٠].

وهذا المذكور في هذا الحديث هو الفتح الثاني للقسطنطينية، والفاتحون هم المسلمون من بني إسحاق، وليسوا من العرب، وعدد هذا الجيش سبعون ألف مقاتل، ويفتحونها بالتكبير، فلا يقاتلون بسلاح، ولا يرمون بسهم.

ويقولون ثلاثاً: لا إله إلا الله والله أكبر، ففي المرة الأولى تسقط أسوارها التي في جانب البحر، وفي الثانية تسقط أسوارها التي في جانب البر، وفي الثالثة يفرج لهم، فيدخلونها، ويغنمون.

وهذا قبل ظهور الدجال بوقت قصير، فإن صارخاً يصرخ فيهم، ينذرهم أن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون.

وقد أخبرنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أن فتح القسطنطينية الثاني على يد بقية الجيش الذي ينتصر على النصارى في المعركة التي بأعماق أو بدابق، قال الرسول ﷺ في هؤلاء: «فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح - يعني الدجال - قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج». [مسلم:٢٨٩٧].

وقد فتحت القسطنطينية الفتح الأول كما سبق أن بيّناه قبل أكثر من خمسمائة عام، وقد جعلها الخلفاء العثمانيون الذين فتحوها عاصمة دولتهم، وأسموها إسلام بول.

ولم تفتح روما حتى اليوم، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن ذلك سيتحقق. وكان هذا العلم مستقرّاً عند الصحابة والتابعين، وقد سأل أصحاب عبدالله بن عمر بن العاص فقالوا له: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبدالله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبدالله: بينما نحن حول رسول الله نكتب، إذ سئل الرسول ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية، فقال رسول الله ﷺ : «مدينة هرقل تفتح أولاً» يعني القسطنطينية. [حديث صحيح، رواه أحمد في مسنده رقم ٦٦٤٥، وإسناده صحيح، وأخرجه الدارمي، ورقمه ٤٨٦، والحاكم في المستدرك ٨٣٠١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم، وأخرجه الألباني في الصحيحة: ١/ ٣٣١١، برقم ٤، راجع أشراط الساعة لخالد بن ناصر، ص٣١٠].

الغصن الثالث
الأحداث الكبار التي يكون فيها للمسلمين دور فاعل آخر الزمان

وهذه الأحداث تدل بوضوح على أن المسلمين باقين إلى آخر الزمان، وأنهم يملكون قوة هائلة يغالبون بها الكفر ويصارعونه، ويحققون انتصارات عظيمة باهرة.

البشارة الأولى
قتال المسلمين قوماً كأن وجوههم المجان المُطْرَقة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطْرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر» [البخاري: ٢٩٢٨. ومسلم: ٢٩١٢].

والمجان: جمع مجن، وهو الترس، والمطرقة: يقال: طرقت الترس إذا خصفته على جلد فوقها، شبّه وجوه الترك في عرضها وتنور وجناتها بالترسة المطرقة.

ومعنى ذلف الأنوف، أي: صغار الأنوف.

وهذا الصنف من الناس قاتلهم المسلمون، وقد خرجوا من الصين، واجتاحوا العالم الإسلامي بقيادة ملكهم جنكيزخان عام ستمائة وستة للهجرة، وقد كان النووي يشرح هذا الحديث في صحيح مسلم وكان قتالهم قائم في ذلك الوقت، وفي ذلك يقول: «وجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم». [شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٣٥٧].

وقال القرطبي في هؤلاء: «وقع ذلك على نحو ما أخبر ﷺ، فخرج منهم في هذا الوقت لا يحمينا إلا الله، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله، حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم» [التذكرة: ٢/ ٤٢٨].

وتحدث ابن كثير عنهم كثيراً، وذكر ما صنعوه في ديار الإسلام من فظائع وأهوال، ونقل ابن كثير عن ابن الأثير قوله فيهم: «هذا فصل يتضمن الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقمت الليالي والأيام عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها كان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها، ولا يدانيها» [راجع البداية والنهاية: ٣/ ٨٢].

وقد أخبر الرسول ﷺ أننا نقاتل أقواماً آخرين لهم بهؤلاء شبه، ولكنهم ليسوا مثلهم، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوز وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة» [البخاري: ٣٥٩٠، ومسلم: ٢٩١٢].

فهؤلاء ليسوا من الترك، بل من خوز وكرمان، وهم وإن كانت وجوههم كالمجان المطرقة وأعينهم صغيرة، إلا أن أنوفهم فطساً، والفطس انخفاض في قصبة الأنف مع تطامنها، وهو كالعاهة، أما الذلف فهو قصر الأرنبة واستواء القصبة من غير نتوء، وهو لون من الجمال والملاحة. [لسان العرب باختصار: ١/ ١٠٧٤].

البشارة الثانية

خروج الخليفة العادل المهدي في آخر الزمان

نعمت البشرية بالإسلام حيناً من الدهر في فترات سابقة، ولا يزال المسلمون يطمعون - مع شدة البلاء الذي يحيط بهم - بأن تعود للمسلمين عزّتهم ومكانتهم، وينعمون بمثل ذلك الرخاء الذي حققه لهم الإسلام عندما استظلوا بظلاله الوارفة، وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن أمجاد آتية للمسلمين في فترات قادمة، ومنها ما يكون في خلافة المهدي الذي سنتحدث عنه في هذه القصة.

وقد وردت جملة من الأحاديث الصحيحة تشكل بمجموعها قصة المهدي، منها:

١- عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تذهب الدنيا حتى يملِك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي». [الترمذي: ٢٢٣٠. وقال: «هذا حديث حسن صحيح»].

٢- وعن عبدالله، قال: عن النبي ﷺ قال: «يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» [الترمذي: ٢٢٣١. وقال: حديث صحيح].

وقال عاصم بن بهدلة: أخبرنا أبو صالح، عن أبي هريرة، قال: «لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يلي».

٣- عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ : «يكون في آخر أمتي خليفةٌ يحْثي المال حَثْياً، لا يعدُّه عدداً».

قال: قلتُ لأبي نضرة وأبي العلاء: «أتريان أنه عمر بن عبدالعزيز؟ فقالا: لا».

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ : «من خلفائكم خليفةٌ يحْثو المال حثْياً، لا يعدُّه عدداً».

وعن أبي سعيد وجابر بن عبدالله، قالا: قال رسول الله ﷺ : «يكون في آخر الزمان خليفةٌ يقسم المال، ولا يعدُّه». [مسلم:٢٩١٣، ٢٩١٤].

٤- عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبيِّنا حدثٌ، فسألنا النبي ﷺ ، فقال: «إن في أمتي المهديَّ، يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، (زيد هو الشاك). قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين، قال: فيجيء إليه رجلٌ، فيقول: يا مهديُّ، أعطني، أعطني، قال: فيحْثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله» [الترمذي: ٢٢٣٢. صحيح الترمذي: ١٨٢٠].

٥- عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهديُّ، إن قُصِرَ فسبعٌ، وإلا فتسعٌ، فتنعم فيه أمتي نعمةً لم ينعموا مثلها قط، تؤتي أُكُلَها، ولا تدَّخِر منهم شيئاً، والمال يومئذ كُدُوسٌ، فيقوم الرجل، فيقول: يا مهديّ، أعطني، فيقول: خذ».

٦- عن عليٍّ، قال: قال رسول الله ﷺ : «المهديُّ منا أهل البيت، يُصلحُهُ الله في ليلة». [ابن ماجة: ٤٠٨٢. صحيح ابن ماجة: ٣٢٩٩].

٧- عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا عند أم سلمة، فتذاكرنا المهديّ، فقالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من وَلَدِ فاطمة». [أبو داود: ٤٢٨٤. صحيح ابن ماجة: ٣٣٠١].

٨- عن أبي معبد، عن ابن عباس، قال: «إني لأرجو ألا تذهب الأيام والليالي، حتى يبعث الله منا أهل البيت، غلاماً شاباً حَدَثاً، لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها، يقيم أمر هذه الأمة، كما فتح الله هذا الأمر بنا، فأرجو أن يختمه الله بنا».

قال أبو معبد: فقلت لابن عباس: «أعجزت عنه شيوخكم ترجوه لشبابكم؟! قال: إن الله - عز وجل - يقول ما يشاء». [الداني في السنن الواردة في الفتن: ٥٦٠].

٩- عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي، واسمُ أبيه اسمُ أبي، يملأ الأرض قِسْطاً وعدلاً، كما مُلئت زوراً وظلماً».

«لا تذهب - أو لا تنقضي - الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي» [أبو داود: ٤٢٨٢. صحيح أبي داود: ٣٦٠١].

١٠- عن عليٍّ، عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبقَ من الدهر إلا يومٌ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً، كما مُلئت جوراً» [أبو داود: ٤٢٨٣. صحيح سنن أبي داود: ٣٦٠٢].

١١- عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ : «المهدي مني، أجلَى الجبهة، أقْنَى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين» [أبو داود: ٤٢٨٥. صحيح أبي داود: ٣٦٠٤].

١٢- عن عُبيد الله بن القبطية، قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبدالله بن صفوان، وأنا معهما، على أم سلمة، أم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يُخسَف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ : «يعود عائذٌ بالبيت، فيُبعث إليه بعثٌ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم» فقلت: يا رسول الله! فكيف بمن كان كارِهاً؟ قال: «يُخسف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيَّته» [مسلم: ٢٨٨٢].

١٣- عن حفصة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «ليؤمَّنَّ هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض، يُخسَف بأوسطهم، ويُنادي أولهم آخرهم، ثم يُخسَف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يُخبر عنهم» [مسلم: ٢٨٨٣].

وجملة ما حدثتنا به هذه الأحاديث الصحيحة أنه في آخر الزمان عندما يقترب وقوع الآيات العِظام، مثل الدجال، ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها، يأذن

الله تبارك وتعالى بخروج خليفة يقيم العدل، ويقمع الظلم، ويحيل الدنيا في ذلك العصر إلى واحة أمن وأمان، ينعم المسلمون فيها نعمة لم ينعموها في عصر من العصور، ويكثر الرخاء، ويفيض المال، حتى إن طالبي المال منه يحثو لهم المال حثواً، ولا يعده عدّاً. إنه الخليفة الصالح الذي يُلقَّب في عصره وقبل عصره بالمهدي، من آل بيت الرسول ﷺ، من عترته من ولد فاطمة، وجدّه من جهة أبيه علي بن أبي طالب.

وهذه الأحاديث تخبرنا أن اسمه يواطئ اسم الرسول ﷺ، واسم أبيه يواطئ اسم أبي الرسول ﷺ، فهو محمد بن عبدالله صاحب الجبهة الأجلى، والأنف الأقنى، والوجه الحسن.

ولا يتوقع أحد في زمنه أن توكل إليه أمور المسلمين، ويكون ظهور صفاته وبروز خصائصه في ليلة واحدة، والأظهر أنه سيكون من سكان المدينة المنورة، وتقع في تلك الأيام وقائع وأحداث، فيلتف حوله جمع من الأخيار، ويدفعونه إلى القيام بالأمر، ويدعونه إلى إصلاح أحوال المسلمين.

وفي مصارعته لأهل الشر والفساد يلجأ المهدي إلى حرم الله، ويصير إلى مكة المكرمة، فترسل قوى الشر الحاكمة في بلاد الشام جيشاً عرمرماً للقضاء عليه، وعلى أتباعه، قبل أن يتعاظم أمره، ويقوى ساعده.

ولما كانت إرادة الله قاضية بأن يعز الله الإسلام والمسلمين بالمهدي، فإنه يخسف بذلك الجيش أوله وآخره في بيداء من الأرض، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

ويؤيد الله المهدي بنصره، وينهد إليه أهل الإسلام والإيمان، ويغالب قوى الشر والفساد التي تتحكم في رقاب العباد، ويملك العرب وتدين له العجم، ويضيء الإسلام الدنيا، ويظهر الله الإسلام على الدين كله، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وعند ذاك يرسل الله السماء على عباده مدراراً، فلا تمنع شيئاً من قطرها، ولا تمنع الأرض شيئاً من نباتها، ويعيش الناس في بحبوحة من العيش.

ويرى كثير من أهل العلم أن المهدي هو الخليفة الذي يفيض المال في عهده، فيحثو المال لمن يطلبه حثواً، ولا يعدّه عدّاً، لكثرة الخير وعِظَم الرخاء، وهذه الحال أعظم من الحال التي وُجدت في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز، فالثراء بلغ بالمسلمين في عهد عمر أن لا يجد الناس مَن يأخذ الصدقة، ولم يبلغ أن يحثو المتصدقون المال حثواً، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن مدة حكم هذا الرجل الصالح الذي ينعم المسلمون في ظل حكمه، وينتشر الإسلام في عصره تدوم سبع سنين، ثم يلقى وجه ربه، وتلك سنّة الله في خلقه، فلو كان الخلد لأحد لناله الرسل والأنبياء.

[قصص الغيب، ص٢٨٠ للمؤلف].

البشارة الثالثة

قتال المسلمين النصارى في الملحمة الكبرى قرب خروج الدجال

١- عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوْا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يُفتنون أبداً».

٢- وعن يُسَيْر بن جابر، قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هِجِّيرَى إلا: يا عبدالله بن مسعودٍ ! جاءت الساعة. قال فقعد وكان متكئاً، فقال: «إن الساعة لا تقوم، حتى لا يُقسَمَ ميراث، ولا يُفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشأم) فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكُمُ القتال ردَّةٌ شديدة، فيشترط المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يحجُزَ بينهم الليل، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالبٍ، وتفنى الشُّرْطة.

ثم يشترط المسلمون شُرْطَةً للموت، لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غالبٍ. وتفنى الشرطة.

ثم يشترط المسلمون شُرْطَةً للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يُمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالبٍ، وتفنى الشُّرْطَة.

فإذا كان يوم الرابع، نَهَدَ إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدَّبْرَة عليهم، فيقتُلون مقْتَلَةً - إما قال: لا يُرى مثلها، وإما قال: لم يُرَ مثلها - حتى إن الطائر ليمرُّ بجنباتهم فما يخلِّفهم حتى يخرَّ ميتاً، فيتعادُّ بنو الأب، كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يُفرح أو أي ميراث يُقاسم» [مسلم: ٢٨٩٧، ٢٨٩٩].

والأعماق ودابق: مكانان قرب مدينة حلب، وهذه المعركة تكون قرب قيام الساعة، فقد ذكر في الأحاديث أن المنتصرين في تلك المعركة يفتحون القسطنطينية، وأن الدجال يخرج بعد رجوع المقاتلين من القسطنطينية بقليل، وتسبق هذه المعركة هدنة بيننا وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتوننا تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً [البخاري: ٣١٧٦].

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه في فترة الهدنة بيننا وبينهم نغزو نحن وإياهم عدواً، فننصر ونغنم، ثم يغدرون عندما يرفعون الصليب، ويقولون: غلب الصليب، فيثور رجل من المسلمين، ويدق الصليب، فيكرم الله ذلك الرجل ومن معه بالشهادة، ثم يجمع النصارى للمعركة [سنن أبي داود: ٤٢٩٢، ٤٢٩٣. والحديثان الواردان في ذلك صحيحان].

البشارة الرابعة
انتصار المسلمين على الدجال

خبر المسيح الدجال خبر واضح المعالم في صحيح الحديث النبوي، وقد حددت الأحاديث وقت خروجه، ومكانه، وتحدثت عن صفاته التي يتصف بها، وأهدافه التي يريد تحقيقها، وفصلت القول فيما يجري على يديه من خوارق العادات،

التي تفتن الناس، وتجعل كثيراً منهم يصدقونه ويتبعونه، وتحدثت النصوص عما يكون منه من اجتياح للأرض إلا مواضع قليلة منها، وكيف أنه يريد تدمير القوة الإسلامية في ديار الإسلام، وكيف يُنزل الله المسيح عيسى ابن مريم، فيكون تدمير قوته وقتله وإفناء جيشه على يديه. والدجال وإن كان سيخرج آخر الزمان، إلا أنه مخلوق موجود منذ عهد الرسول ﷺ كما دلّ عليه حديث تميم الداري.

وقد قال ابن صياد لأبي سعيد الخدري: «أما والله إني لأعلم الآن حيث هو، وأعرف أباه وأمه» وفي رواية: «إني لأعلم مولده ومكانه، وأين هو» [مسلم: ٢٩٢٧].

نص الحديث: عن النواس بن سمعان، قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداةٍ، فخفَّض فيه ورفَّع، حتى ظنناه في طائفة النَّخْل، فلما رُحْنا إليه عرف ذلك فينا. فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ! ذكرت الدجال غداةً، فخفَّضت فيه ورفَّعت، حتى ظننا في طائفة النخل.

فقال: «غيرُ الدجال أخوَفُني عليكم، إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسه. والله خليفتي على كل مسلم، إنه شابٌّ قَطَطٌ عينُهُ طافئةٌ، كأني أشبِّهه بعبد العزَّى ابن قَطَن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّةً بين الشأم والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله ! فاثبتوا».

قلنا: يا رسول الله؛ وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله؛ فذلك اليوم الذي كسنةٍ، أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ؟ قال: «لا، اقدروا له قدره».

قلنا: يا رسول الله ! وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيثِ استدبرتْه الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتُمطر، والأرض فتْنبت، فتروحُ عليهم سارِحَتهم، أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضُروعاً، وأمدَّه خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردُّون عليه قوله، فينصرف عنهم.

فيصبحون مُمْحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرُّ بالخربة فيقول لها: اخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلل وجهه، يضحك.

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضِعاً كفّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ، فيقتله. ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويُحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة».

رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، [ورقمه ٢٩٣٧] وأحاديث الدجال الصحيحة كثيرة، رواها عدد كثير من الصحابة، ورواها الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم، وهي دالة على خروجه آخر الزمان دلالة متواترة، لا شك فيها عند علماء أهل الحديث، وقد تواتر أيضاً ذكر بعض صفاته كعوره.

ومن جملة الأحاديث الصحيحة المحفوظة التي حذر الرسول ﷺ فيها من الدجال:

أ- حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور» [البخاري: ٣٠٥٧، ٣٣٣٧. ومسلم: ١٦٩ بعد الحديث رقم: ٢٩٣١].

ب- وروى أحمد وابن منده وابن حبان بإسناد صحيح على شرط الشيخين، أن الرسول ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي إلا قد أنذره أمته، لقد أنذره نوح أمته، والنبيون عليهم الصلاة والسلام من بعده أممهم» [قصة المسيح للألباني، ص٥٢].

ج- حديث النواس بن سمعان الذي اعتمدنا عليه في ذكر قصته.

د- وتحدث الرسول ﷺ عن الدجال في خطبة حجة الوداع فأطنب في الحديث عنه، وكان مما قاله: «ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإن يخرج فيكم، فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم: - ثلاثاً - إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية» [البخاري: ٤٤٠٢ عن ابن عمر].

ولم يكن الرسول ﷺ وهو يحدِّث أصحابه عن الدجال وفتنته يريد أن يشلّ حركتهم، ويشغل أوقاتهم في التباكي والتخوّف منه، وإنما حدّثهم عنه ليحسنوا التصرف إذا بُعث في زمانهم، ويعملوا ما هو خافٍ عليهم من أمره، ولذلك عالج المغالاة غير المحمودة في تصرفات أصحابه تجاه ما أخبرهم به من أمر الدجال، ليعيد إليهم توازنهم في الموقف منه.

أ- ففي حديث النواس هذا قال لهم مُنكِراً عليهم ما صار إليه حالهم: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم». فإذا كان الرسول ﷺ حياً عند خروجه، فالرسول ﷺ خير من يكشف باطله، ويظهر خدعه، ويحمي المؤمنين من أن يؤثر فيهم خوارقه، وإن خرج والرسول ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، فكل امرؤ بما لديه من إيمان وإسلام وما تركه الرسول ﷺ له من علم عن الدجال وأحواله وصفاته، يستطيع أن يقف محاجاً مخاصماً له.

ب- دخل الرسول ﷺ على زوجه عائشة فوجدها تبكي، فلما سألها عما يبكيها، قالت: ذكرت الدجال فبكيت، فقال لها: «إن يخرج وأنا حي كفيتكموه، وإن يخرج الدجال بعدي، فإن ربكم ليس بأعور» [عزاه الألباني إلى ابن حبان وأحمد وغيرهما، وقال: إسناده صحيح. قصة المسيح، ص٦٠].

ج- وذكرت أم سلمة ليلةً الدجال، فلم يأتها النوم، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال لها: «لا تفعلي، فإنه إن يخرج وأنا حي، يكفيكموه الله بي، وإن

يخرج بعد أن أموت، يكفيكموه الله بالصالحين» [عزاه الألباني إلى ابن خزيمة. وقال فيه: إسناده صحيح على شرط مسلم. قصة المسيح، ص٦٠].

د- أكثر المغيرة بن شعبة من سؤال الرسول ﷺ عن الدجال، فقال له الرسول ﷺ: «وما يُنصِبُكَ منه؟ إنه لا يضرك» وفي رواية: «هو أهون على الله من ذلك» [مسلم: ٢٩٣٩].

لقد حذر الرسول ﷺ أصحابه من الدجال، فلما ظهر منهم شيء من عدم التوازن في النظر إليه، أعاد إليهم التوازن الذي فقدوه، وبيّن لهم كيف ينبغي أن يكون الموقف الحق من الدجال [قصص الغيب: ص٣٢١].

بقية هذه النبوءة في التوراة:

أخبرنا رسولنا ﷺ أن كل الأنبياء حذروا أممهم من الدجال، ولكن رسولنا ﷺ حذّر منه تحذيراً لم يحذره نبيّ أمته.

وقد ورد في سفر دانيال عبارات مبتسرة، فيها شيء من الغموض تتحدث عن المسيح الدجال(١)، [ففي الإصحاح السابع من سفر دانيال يتحدث في الفقرة: ٢٥-٢٧] يتكلم

---

(١) سأذكر هنا بعض ما ذكر من أخبار الغيب في التوراة، وسيأتي ذكر المزيد في هذا الكتاب، ويذكر الدكتور فرج الله عبدالباري في كتابه اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص١١٨: «أنه لم يعثر في المراجع المتاحة له على إشارة عن علامات الساعة في التصور اليهودي».
وقال أيضاً: «وعلامات الساعة لا نجد في العهد القديم (أي التوراة) حديثاً عنها، حتى النصارى الذين يستدلون على الساعة وعلاماتها نجدهم لا يرجعون إلى العهد القديم في الاستدلال على علامات الساعة مع أنهم يعتبرون العهد القديم من الأصول التي يرجعون إليها، ويستدلون بها على كثير من قضاياهم، ولو كانت علامات الساعة واضحة في العهد القديم لاستدل النصارى عليها بالعهدين القديم والجديد معاً» [المصدر السابق، ص١١٨].
فإن عنى مؤلف هذا الكتاب بالتوراة الأسفار الخمسة التي أُنزلت على موسى، فأخبار الغيب فيها شحيحة، ولا أقول غير موجودة، ففي سفر التكوين: «لا يزول قضيب من يهودا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب، رابطاً بالكرمة جحشه، وبالجفنة أتانه، غسل بالخمر لباسه، وبدم العنب ثوبه، مسودّ العينين، ومبيض الأسنان من اللبن» [الإصحاح التاسع والأربعون، فقرة: ١٠-١٢]. =

= ويبدو أن هذا النص الذي هو من كلام يعقوب، يقوله وهو في سكرات الموت متحدثاً عما سيقع لرسول الله عيسى ، وهو من ذرية يهودا أحد أسباط بني إسرائيل، وشيلون هو محمد ﷺ ، الذي تخضع له الشعوب، وقوله: «رابطاً بالكرمة جحشه» وكثير ما يذكر عيسى في التوراة والإنجيل أنه راكب الحمار، ومحمداً راكب الجمل.

وجاء في سفر التكوين ما أخبر الله به نبي الله إبراهيم عليه السلام من غربة ذريته في أرض ليست لهم، ويستعبدون فيها، ثم يخرجون منها بأموال جزيلة، قال: «ولما صارت الشمس إلى المغيب، وقع على إبراهيم سبات، وإذا رعبة عظيمة واقعة عليه، فقال لأبرام: اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمائة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأموال جزيلة» [التكوين، الإصحاح الخامس عشر، فقرة: ١٢-١٥] وقد تغرب حفيد نبي الله إبراهيم وهو إسرائيل وأولاده الاثني عشر في أرض مصر، وكانوا في أول الأمر أعزّة، ثم استذلهم المصريون، حتى أخرجهم موسى بأموال جزيلة.

وجاء في سفر العدد: «يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم طرفي موآب، ويهلك كل بني الوغا، ويكون أدوم ميراثاً، ويكون سعيراً أعداؤه ميراثاً، ويصنع إسرائيل ببأس، ويتسلط الذي من يعقوب، ويهلك الشارد من مدينة» [العدد، الإصحاح الرابع والعشرون، فقرة: ١٧-١٩] وهذا النص يتحدث عن نزول المسيح عيسى عندما ينزل في آخر الزمان، ويهلك الله فيه كل الكفرة، ويدين الناس جميعاً بالإسلام.

وجاء في سفر التثنية: «يجلب عليك الرب من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر، أمة لا تفهم لسانها، أمة جافية الوجه، لا تهاب الشيخ، ولا تحن إلى الولد» [التثنية، الإصحاح الثامن والعشرون، فقرة: ٤٩-٥٠] وللنص بقية، فإن شئت فارجع إليه.

وهذا النص يتحدث عن بختنصر وقومه المجوس الذين جاؤوا من العراق، ودمروا بقية الدولة، وأسروا عدداً كبيراً من بني إسرائيل، وفيهم نبي الله دانيال.

وقد ذكر الله في الأسفار التالية للأسفار الخمسة كثيراً من الغيوب التي وردت في تلك الأسفار، وبعض تلك الغيوب البشارات بمحمد ﷺ وبأمته، وبما يجري في آخر الزمان من تلك الأحداث والوقائع العظام، وسأذكر بعضاً منها فيما يأتي:

والذي ينبغي التنبيه عليه هنا أن كثيراً من أحاديث الفتن في التوراة، لا تذكر تلك الفتن والأحداث الآتية بالمصطلحات التي نعرفها، وقد تكون تلك الوقائع رؤىً لبعض الأنبياء جاءت على صيغة أمثال، حتى إن بعض الأنبياء الذين ضربت لهم لم يفقهوا تأويلها على وجهها، وأصبح علماء المسلمين العالمين بالقرآن والسنّة قادرين على فهمها على وجهها، فدانيال في رؤياه في الإصحاح الثاني عشر يقول لمن يخاطبه في الرؤيا: «أنا سمعت وما فهمت، فقلت: يا سيدي ما هي آخر هذه؟ فقال: اذهب يا دانيال، لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية». [العهد القديم، سفر دانيال، الإصحاح الثاني عشر].

عن ملك أخير في آخر الزمان «يتكلم بكلام ضد العلي، ويبلي قديسي الرب وقديسي العلي، ويظن أنه يغير الأوقات والسنة، ويسلّمون ليده إلى أزمان وأزمنة ونصف زمان، فيجلس الدين، وينزعون عنه سلطانه، ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى، والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء، تعطى لكل قديسي العلي، ملكوته ملكوت أبدي، وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون».

وقوله: «يتكلم بكلام ضد العلي» معناه كما أخبرنا رسول الله ﷺ أن الدجال يدعى الألوهية ومعنى أنه: «يبلي قديسي الرب» أنه يلاحق المؤمنين الصالحين من هذه الأمة، ويبذل جهده وقوته للقضاء على القوة الإسلامية التي تكون موجودة في ذلك الزمان.

ومعنى قوله: يغير الأوقات والسنة - كما أخبرنا رسولنا - أنه يمكث أربعين يوماً في الأرض، يوم كسنة، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، ولا شك أن اليوم الذي كالسنة علينا أن نقدر فيه لكل صلاة وقتها كما أمرنا رسولنا ﷺ .

وقوله: «يجلس للدين، وينزعون عنه سلطانه» وذلك بعد نزول عيسى ابن مريم، حيث يغلب ويقهر هو وأتباعه ويفنوا، ويزول سلطانه، ويبطل، وإعطاء المملكة والسلطان لقديسي الرب، حيث يسود الإسلام، ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، ويعم السلام.

[وفي الإصحاح الثامن من هذا السفر: ١٣] تكلم عن معصية الخراب، فقال: «إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة ومعصية الخراب ليذل القديسين والجند مدوسين، فقال لي إلى ألفين وثلاثمائة مئة صباح ومساء فيتبرأ» ومعصية الخراب ورجسة الخراب في كلام دانيال تعني المسيح الدجال، وهو يخرج القديسين الصالحين من هذه الأمة.

وقد تكلم الذي فسر الرؤيا لدانيال عن معصية الخراب، فقال: «وفي آخر مملكتهم عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه وفاهم الحيل، وتعظم قوته، ولكن

ليس بقوته، يهلك عجباً، وينجح، ويفعل، ويبيد العظماء وشعب القديسين، وبحذاقته ينجح المكر في يده، ويتعظم بقلبه، وفي الاطمئنان يهلك كثيرين، ويقوم على رئيس الرؤساء، وبلا يد ينكسر، فرؤيا المساء والصباح التي قيلت هي حق، أما أنت فاكتم الرؤيا لأنها إلى أيام كثيرة» [دانيال، الإصحاح الثامن، فقرة: ١٥-٢٦].

وعلماء الشريعة من هذه الأمة الذين درسوا أخبار الفتن في السنّة يفقهون الكثير من هذه النبوءة، فهذه النبوءة عن الدجال الذي يأتي بعد أيام كثيرة من أيام دانيال، وقد وصف دانيال وجه الدجال بأنه جافي، وزاد رسولنا ﷺ وأخبرنا أنه أعور العين اليمنى، وأن شعره قطط.

وأخبرنا دانيال أن الدجال فاهم الحيل، وكل أمره حيل، كما أخبرنا رسولنا أن معه جنّة ونار، فناره جنة، وجنته نار، وإذا طالعت النصوص الحديثية الصحيحة فإنك ترى الكثير من حيله، وقوله: «تعظم قوته ولكن ليس بقوته» وقد أخبرنا رسولنا ﷺ عن تلك القوة، ولكنها ليست بالقوة الحقيقية، وقوله: «يهلك عجباً» فمن ذلك كما أخبرنا رسولنا ﷺ أنه يأتي القوم فيؤمنون به، فيأمر الأرض فتمطر لهم، ويأمر الأرض فتنبت، فإن كفروا به لم تمطر السماء، ولم تنبت الأرض.

والعظماء وشعب القديسين الذين يبيدهم هم أهل الإسلام من هذه الأمة، وقوله: «بلا يد ينكسر» أن قوته تنهار عندما يتنزل عيسى ابن مريم، فيهلكه الله وأتباعه، وتندثر قوته بغير قتال.

وفي الإصحاح الحادي عشر والثاني عشر إشارات سريعة إلى الرجس المخرب الذي هو الدجال.

وجاء في [قاموس الكتاب المقدس، ص٣٩٩] أن السيد المسيح أمر المؤمنين إذا ما رأوا رجسة الخراب الذي تحدث عنه دانيال قائمة في المكان المقدس أن يفروا في الجبال، وهذا موافق لحديث الرسول ﷺ الآمر للمؤمنين أن يفروا من وجه الدجال إلى الجبال.

البشارة الخامسة

قتال المسلمين مع عيسى عندما يخرج آخر الزمان

قصة عيسى ابن مريم ملازمة لقصة المسيح الدجال، فكلاهما يُبعث في آخر الزمان، وكلاهما اسمه المسيح، وكلاهما موجود منذ عهد بعيد، وكلاهما يبعث شاباً، ولكن الفرق بينهما كالفرق بين الثرى والثريا، والليل والنهار والماء والنار.

فالأول مسيح الضلالة والشر والخداع والكذب، والثاني مسيح الهداية والخير والصدق.

والأول يأتي محادّاً لله ورسوله، مستكبراً في الأرض مدّعياً الألوهية، جامعاً حوله قوى الشر، مجهداً نفسه في تأييد الباطل، والثاني ينزل لتأييد الحق وإزهاق الباطل، ونصرة المؤمنين، وإقامة دين الله في الأرض.

قال الرسول ﷺ في حديث النواس السابق: «فبينما هو (أي الدجال) كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طاطأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة.

فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجتُ عباداً لي، لا يدان لأحدٍ بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كلِّ حدب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرّة ماءٌ، ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيُرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم، فيصبحون فرْسى كموت نفس

واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم، ونتْنُهم.

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيُرسل الله طيراً كأعناق البُخْت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة. ويستظلون بِقِحْفِها، ويُبارك في الرِّسْل، حتى إن اللِّقْحَة من الإبل لتكفي الفِئام من الناس. واللِّقْحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللِّقْحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس» [مسلم: ٢٩٣٧].

وقوع الأمن والسلام على الأرض في ذلك الزمان مدة أربعين عاماً:

بعد القضاء على الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج وقضاء الله عليهم، تقع الأمنة على الأرض كلها، ويعم السلام الذي لم يقم قبله مثله، فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال فيما يكون عليه الحال، بعد القضاء على الدجال وهلاك يأجوج ومأجوج: «وتقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه».

قال الألباني في تخريجه: أخرجه أبو داود، والسياق له، وابن حبان، وأحمد، وابن جرير في التفسير، والآجري، وعبدالرزاق، وزاد: «وتكون الدعوة واحدة لرب العالمين». وقال فيه: إسناده صحيح، وصححه الحافظ، وهو مخرج في السلسلة الصحيحة. انظر قصة المسيح، ص١٠٠.

هذا النبأ موجود في التوراة حتى اليوم:

هذا الخبر الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ موجود في التوراة حتى اليوم، ليس به خفاء، جاء في سفر أشعيا: «ويخرج قضيب من جذع يسي، وينبت غصنٌ من أصوله، ويحلُّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح

المعرفة ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه، ويكون البر منطقة مَتْنَيه، والأمانة منطقة حقويه، فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل والمسمَّن معاً، وصبيٌّ صغير يسوقها. والبقرة والدبَّة ترعيان، تربض أولادهما معاً، والأسد كالبقر يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سَرَب الصلّ، ويمدُّ الفطيم يده على جُحر الأفعوان، لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر» [الإصحاح الحادي عشر: ١-٤].

والقضيب الذي يخرج من فرع «يسي» هو رسول الله عيسى عليه السلام ، والمراد به نزوله من السماء في آخر الزمان، فإنه في خروجه الأول، لم يفعل هذا المذكور هنا، وقد ذكر في هذا الموضع أن روح يحلُّ عليه، وأنه يقضي بالحق، وينصف المسكين بحكمه، ويضرب الأرض بقضيب فمه، فقد صح عندنا أنه لا يحلّ لكافر شمّ نفس عيسى إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي بصره، ولذلك يموت الكافر والمنافق من نفسه، وحدثنا عن الأمن والسلام الذي يعم العالم في أيامه التي يحكمها بعد قتله الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج والقضاء عليهم، وهو سلام ليس للبشر وحدهم، بل يعم الحيوان والطير أيضاً، فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض مع الجدي، والعجل والشبل معاً، والبقر يرعى مع الدببة، والأسد يأكل التبن كالبقر، ويلعب الرضيع مع أعتى أنواع الأفاعي، ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان.

ويكون عيسى عليه السلام الذي هو من ولد يسي راية للشعوب، وأن الأمم تطلبه، وتكون محبته عبادة، وتجتمع عليه الأمم.

وجاء في سفر أشعيا أيضاً: «الذئب والغنم يرعيان معاً، والأسد يأكل التبن كالبقر، أما الحية فالتراب طعامها، لا يؤذون ولا يهلكون في جبل قدسي، قال الرب» [سفر أشعيا، الإصحاح الخامس والستون، فقرة: ٦٥].

وجاء في أشعيا أيضاً: «فيقضي بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب بعد» [أشعيا، الإصحاح الثاني، فقرة: ٤].

وهذا يكون في عهد نزول عيسى عليه السلام، عندما يضع السلام على الأرض، فلا يكون حرب ولا قتال، وتجعل السيوف محاريث للزرع، والرماح مناجل للحصد.

جمع المؤمنين من اليهود آخر الزمان في الأرض المقدسة:

وذكر أرميا فيما أخبر به في مقبل الزمان أن الله تعالى يجمع في آخر الزمان في عهد نزول عيسى بني إسرائيل من كل فجاج الأرض إلى بيت المقدس، تحت حكم قادة صالحين، وفي ذلك يقول: «ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعيتي يقول الرب، لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل عن الرعاة الذين يرعون شعبي أنتم بددتم غنمي وطردتموها، ولم تتعاهدوها، هأنذا أعاقبكم على شر أعمالكم، يقول الرب، وأنا أجمع بقية غنمي من جميع الأراضي التي طردتها إليها، وأردها إلى مرابضها، فتثمر وتكثر، وأقيم عليهم رعاة يرعونها، ولا ترتعد، ولا تفقد، يقول الرب.

ها أيام تأتي يقول الرب، وأقيم لداود غصن بر يقول الرب، فيملك ملك، وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمناً، وهذا هو اسمه الذي يدعونه، الرب برنا، لذلك ها أيام تأتي يقول الرب، ولا تقولون: بعد حي هو الرب الذي أصعد بني إسرائيل إلى مصر، بل حي هو الرب الذي أصعد وأتى بنسل بيت إسرائيل من أرض الشمال، ومن جميع الأراضي التي طردتهم إليها، فيسكنون في أرضهم» [سفر أرميا، الإصحاح الثالث والعشرون، فقرة: ١-٨].

ولا شك أن هؤلاء الذين يجمعهم الرب في ذلك الزمان يدخلون في الإسلام، ويؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، والغصن الذي يقيمه الله من داود هو عيسى عليه السلام، الذي ينزل من السماء، ويحكم في الأرض بالعدل، ويقضي على كل دين غير الإسلام، ويصبح ثناء بني إسرائيل على ربهم في ذلك الزمان بجمعهم من أقطار الأرض، وقد

أشار القرآن إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء:١٠٤] فأسكنهم الله أرض فلسطين بعد هلاك فرعون، ويسكنهم إياها مرة أخرى في آخر الزمان عندما يأتي بهم لفيفاً، واللفيف في لغة العرب: الشيء الواحد يجمع من أمكنة شتى.

وذكر هذا الجمع حزقيال في قوله: «هكذا قال السيد الرب، وإن كنت قد أبعدتم بين الأمم، وإن كنت قد بددتهم في الأراضي، فإني أكون لهم مقدساً صغيراً في الأراضي التي يأتون إليها، لذلك قل: هكذا قال السيد الرب: إني أجمعكم من بين الشعوب، وأحشركم من الأراضي التي تبددتم فيها، وأعطيكم أرض إسرائيل، فيأتون إلى هناك، ويزيلون جميع مكرهاتها، وجميع رجاساتها منها، وأعطيهم قلباً واحداً، وأجعل في داخلكم روحاً جديداً، وأنزع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيهم قلب لحم، لكي يسلكوا في فرائضي، ويعملوا بها، ويكونون لي شعباً فأنا أكون لهم إلهاً» [سفر حزقيال، الإصحاح الحادي عشر: ١٦-٢٠].

وهذا الجمع يكون في عهد نزول عيسى، والذين يجمعهم هم بنو إسرائيل الذين دخلوا دين الإسلام، يجمعهم من الأراضي والبلاد التي تبددوا فيها، والمكرهات والأرجاس التي يزيلونها، ما وجد فيها من الشرك والباطل، والقلب الذي يعطيهم إياه، الإيمان الذي يسكبه القرآن في قلوبهم، فيجعلها مخبتة بدل تلك القلوب الحجرية القاسية، ويقوم هؤلاء بالفرائض التي فرضها القرآن، ويمجدون الله، ويوحدونه، ويكون لهم الرب إلها.

وذكر حزقيال هذه البشرى في موضع آخر، فقال: «لأنه في جبل قدسي في جبل إسرائيل العالي يقول السيد الرب هناك يعبدني كل بيت إسرائيل، كلهم في الأرض، هناك أرضى عنهم، وهناك أطلب تقدماتهم، وباكورات جزاكم من جميع مقدساتكم، برائحة سروركم أرضى عنكم حين أخرجكم من بين الشعوب، وأجمعكم من الأراضي التي تفرقتم فيها، وأتقدس فيكم أمام عيون الأمم، فتعلمون أني أنا الرب

حين آتي بكم إلى أرض إسرائيل إلى الأرض التي رفعت يدي لأعطي آباءَكم إياها» [سفر حزقيال، الإصحاح العشرون: ٤٠-٤٢].

وقال حزقيال أيضاً متحدثاً عن هذا الجمع: «هكذا قال السيد الرب، عندما أجمع بيت إسرائيل من الشعوب التي تفرقوا فيها بينهم، وأتقدس فيهم أمام عيون الأمم، يسكنون في أرضهم التي أعطيتها لعبدي يعقوب، ويسكنون فيها آمنين» [سفر حزقيال، الإصحاح الثامن والعشرون: ٢٥-٢٦].

البشارة السادسة
قتال المسلمين اليهود الذين يكونون مع الدجال

يخرج مع الدجال سبعون ألفاً من اليهود، وبعد نزول عيسى يقتل المسلمون هؤلاء اليهود، ويعينهم الشجر والحجر على قتالهم، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «تقاتلون اليهود، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله» [البخاري: ٣٥٩٢. ومسلم: ٢٩٢٢].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الشجر والحجر، فيقول الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود» [البخاري: ٢٩٢٦. ومسلم: ٢٩٢٢ والسياق لمسلم].

المبحث التاسع
ذهاب الإسلام وعودة الناس إلى الجاهلية في آخر الزمان

سيعود الناس في آخر الزمان قبل طلوع الشمس من مغربها إلى جاهلية مطبقة عامة على الناس في الأرض كلها، فلا تعرف معروفاً، ولا تنكر منكراً، ويعبد الناس الأوثان، ولا يقال في الأرض الله الله.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» [البخاري: ٧١١٦. ومسلم: ٢٩٠٦]. قال البخاري بعد سياقه الحديث: «وذو الخلصة: طاغية دوس، التي كانوا يعبدونها في الجاهلية».

وفي صحيح مسلم عن عائشة، قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى».

فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تاماً. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتَوَفَّى كلَّ من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم» [مسلم: ٢٩٠٧].

فالعودة إلى الجاهلية والشرك تكون في تلك الفترة التي لا يقال فيها في الأرض: الله، الله.

المبحث العاشر
علاقة المسلمين ببني إسرائيل

هذا المبحث يحدد في العلاقة بين المسلمين وبين بني إسرائيل عبر القرون المختلفة، منذ نبي الله إسماعيل إلى اليوم.

المطلب الأول
علاقة نبي الله إسماعيل بإخوته أبناء إبراهيم

تذكر التوراة أن زوجة خليل الرحمن ورسوله إبراهيم عليه السلام سارة منحت زوجها جاريتها هاجر لتكون زوجة لإبراهيم عندما تأخر حملها منه، فلما دخل بها إبراهيم وحبلت صغرت مولاتها سارة في عينيها، فتظلمت سارة إلى إبراهيم، فأطلق إبراهيم يدها في هاجر، فهربت هاجر من وجه سارة [تكوين الإصحاح السادس عشر: ١-٦].

وبعد هروبها قابلها ملاك الرب وهي في طريق شور، واستفسر منها عن الموضع الذي تذهب إليه، وقال لها: «ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها، وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعدُّ من الكثرة، وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى، فتلدين ابناً، وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن» [تكوين، الإصحاح السادس عشر، فقرة: ٩-١٢].

وذكر هذا الإصحاح أن «هاجر ولدت لإبراهيم ابناً ودعا أبرام ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل، وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام» [الإصحاح السادس عشر، فقرة: ١٥-١٦].

وقال الرب لإبراهيم: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده» [تكوين، الإصحاح السابع عشر، فقرة: ٢٠].

وحديث التوراة عن إخراج إسماعيل وأمه مجمل وغير واضح، فقد ذكرت التوراة أن إبراهيم كان عمره مائة سنة عندما صنع وليمة عظيمة يوم فطام إسحاق، وأن سارة طلبت من إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها إسماعيل، لأنها رأت إسماعيل يمزح في ذلك الحفل، فأعطى إبراهيم هاجر خبزاً وقربة ماء وصرفها، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس، لأنها قالت لا أنظر موت الولد، فجلست مقابله، ورفعت صوتها وبكت، فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء، وقال لها مالك يا هاجر، لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت ماءً، فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام، فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر. [تكوين، الإصحاح الحادي والعشرون، فقرة: ٨-٢١].

وقد جاء في الأحاديث ما يوضح هذه الفترة الغائمة المذكورة في التوراة، ويصحح ما وقع فيها من أخطاء، ويكمل ما فيها من نقص، وقد ذكر حديث ابن عباس الذي رواه البخاري أن إسماعيل كان رضيعاً عندما ذهب به إبراهيم وأمه إلى مكة، ولم يكن في سن الثالثة عشرة كما تقول التوراة، وفي نص التوراة ما يدل على ذلك، إذ كيف يكون للملك أن يأمر هاجر بحمله لو كان في سن الثالثة عشرة، وأن إبراهيم هو الذي أخذ هاجر وإسماعيل إلى مكة، ووضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، لا كما تقول التوراة: إن إبراهيم أعطى هاجر إسماعيل خبزاً وقربة ماء، وأمرها بالخروج، ولم تذكر التوراة ذلك الحوار الذي جرى بين

هاجر وإبراهيم، ولم تتركه حتى قالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ولم تذكر التوراة ذلك الدعاء الذي حفظه لنا القرآن، فإنه دعا ربه بعد أن غاب عنه شخص زوجته هاجر، مستقبلاً موضع البيت الحرام، داعياً ربه، قائلاً: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

ولم تذكر التوراة كيف سعت هاجر بين الصفا والمروة سبع مرات، تبحث عن الماء بعد أن فقدته.

والذي ذكره الحديث عن كيفية استخراج الملك زمزم أوضح مما ورد في التوراة بكثير، ولم تذكر التوراة قول رسولنا ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف الماء، لكانت زمزم عيناً معيناً».

ولم تذكر التوراة كيف جاء القوم الذين سكنوا مع إسماعيل، وكيف اشترطت عليهم هاجر أنه لا حق لهم بالماء، فوافقوا.

ولم تذكر لنا ما جرى مع إسماعيل بعد ذلك، وكيف أنه تزوج من القوم الذين سكنوا معهم، لا من مصر كما تقول التوراة.

وقد تحدث حديث ابن عباس عن تفقّد إبراهيم ابنه إسماعيل مرة بعد مرة، حتى انتهى ببناء إبراهيم بيته الحرام بمعونة إسماعيل عليه السلام.

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: «أول ما اتخذ النساء المِنطَق من قِبَل أم إسماعيل اتخذت مِنْطقاً لتُعفِّيَ أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جِراباً فيه تمرٌ، وسِقاءً فيه ماءً، ثم قفَّى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم

إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتترُكنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرَك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيِّعنا. ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنيّة حيث لا يرونه استقبلَ بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حتى بلغ ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

وجَعَلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نَفِدَ ما في السِّقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبَّط - فانطلقت كراهية أن تنظُر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبلٍ في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم ترَ أَحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف دِرعها، ثم سَعَت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات».

قال ابن عباس: قال النبي: «فذلك سعيُ الناس بينهما». فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صَهٍ تريدُ نفسها، ثم تسمَّعَت أيضاً فقالت: قد أسمعتَ إن كان عندَكَ غِواث، فإذا هي بالمَلَكِ عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تُحَوِّضُه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرفُ من الماء في سِقائها، وهو يفور بعدما تغرفُ.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً».

قال: «فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضَّيعة، فإن ها هنا بيتَ الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرّت

بهم رُفقة من جُرْهُم - أو أهل بيتٍ من جُرْهُم - مقبلين من طريق كَداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جَرِيَّين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا - قال وأم إسماعيل عند الماء - فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندكِ؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم».

قال ابن عباس: «قال النبي ﷺ: فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحبُّ الإنس، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهليهم فنّزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهلُ أبياتٍ منهم، وشبّ الغلامُ، وتعلّم العربية منهم، وأنْفَسَهُم وأعجبَهم حين شبّ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم.

وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يُطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بِشَرّ، نحن في ضيقٍ وشدة، فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجُكِ فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشُنا، فأخبرته أنّا في جهدٍ وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرَني أن أقرأ عليكَ السلام، ويقول: غيِّر عتبة بابك. قال: ذاكِ أبي، قد أمرني أن أُفارقك، الحقي بأهلكِ.

فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته، فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخيرٍ وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالتِ: اللحم. قال: فما شرابُكم؟ قالتِ: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حَبّ[1]، ولو كان لهم دعا لهم فيه،

(١) هذا فيه تصويب لما قررته التوراة أن إبراهيم ترك لهاجر وابنها خبزاً، والصواب كما في الحديث أنه ترك لهم سقاء ماء وجراب تمر، كما دل عليه الحديث.

قال: فهما لا يخلو عليهما أحدٌ بغير مكة إلا لم يُوافقاه. قال: فإذا جاء زوجُكِ فاقرئي عليه السلام، ومُريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخٌ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشُنا فأخبرته أنّا بخير. قال: فأوصاكِ بشيءٍ؟ قالت: نعم: هو يقرأُ عليكَ السلام، ويأمُرُك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاكِ أبي، وأنتِ العتبةُ، أمرني أن أُمسكك.

ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبْلاً له تحت دوحةٍ قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربُّك، قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مُرتفعةٍ على ما حولها - قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾».

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل، ومعهم شَنَّةٌ فيها ماءٌ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشَّنَّة فيدرُّ لبنها على صبيّها حتى قَدِمَ مكة فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيتُ بالله.

قال: فرجعت، فجعلت تشرب من الشَّنَّةِ ويدرُّ لبنُها على صبيِّها، حتى لما فَنِيَ الماءُ قالت: لو ذهبتُ فنظرتُ لعلي أُحسُّ أحداً. قال: فذهبت فصعدت الصفا فنظرت، ونظرت هل تُحسُّ أحداً؟ فلم تحس أحداً. فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة، ففعلت ذلك أشواطاً، ثم قالت: لو ذهبتُ فنظرتُ ما فعل - تعني الصبيّ -

فذهبت فنظرت، فإذا هو على حاله كأنه ينشغُ للموت، فلم تُقرَّها نفسُها، فقالت: لو ذهبتُ فنظرتُ لعلي أُحسُّ أحداً، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تُحسّ أحداً، حتى أتمت سبعاً.

ثم قالت: لو ذهبت فنظرتُ ما فعل، فإذا هي بصوتٍ، فقالت: اغِثْ إن كان عندَك خيرٌ، فإذا جبريلُ، قال: فقال بعقبه هكذا، وغمز عقبه على الأرض، قال: فانبثق الماء، فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفر، قال: فقال أبو القاسم: لو تركته كان الماء ظاهراً، قال: فجعلت تشرب من الماء، ويدرُّ لبنُها على صبيِّها.

قال: فمر ناسٌ من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطير، كأنهم أنكروا ذاك، وقالوا: ما يكون الطيرُ إلا على ماء، فبعثوا رسولهم فنظر، فإذا هم بالماء، فأتاهم فأخبرهم، فأتوا إليها فقالوا: يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك، أو نسكن معكِ؟ فبلغ ابنُها فنكح فيهم امرأةً.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطّلع تركتي،قال: فجاء فسلّم فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد. قال: قولي له إذا جاء: غيِّر عتبة بابك. فلما جاء أخبرته، قال: أنتِ ذاك، فاذهبي إلى أهلِك.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطّلع تركتي. قال فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ فقال: وما طعامكم، وما شرابُكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء. قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسم ﷺ: بركةٌ بدعوة إبراهيم.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مُطَّلع تركتي، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يُصلح نبلاً له، فقال: يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبنيَ له بيتاً. قال: أطعْ ربك. قال: إنه أمرني أن تعينني عليه، قال: إذن أفعلُ، أو كما قال. قال: فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] [رواهما البخاري في صحيحه: ٣٣٦٤، ٣٣٦٥]».

وتذكر التوراة أن علاقة إسماعيل لم تنقطع بإخوته من أبيه، فقد ذكر سفر التكوين أن إبراهيم عندما توفي «دفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكيفلية في حقل عفرون بن صوحر الحثي أمام مَمْرا» [الإصحاح الخامس والعشرون، فقرة: ٩].

وذكر سفر التكوين أيضاً أن عيسو بن إسحاق تزوج من مَحْلة بنت إسماعيل، جاء في ذلك السفر: «رأى عيسو أن بنات كنعان شريرات في عيني إسحاق أبيه، فذهب عيسو إلى إسماعيل، وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت زوجة له على نسائه» [الإصحاح الثامن والعشرون: ٨-٩].

وجاء في سفر التكوين أيضاً أن عيسو أخذ أيضاً بسمة بنت إسماعيل زوجة له، فولدت له رعوئيل. [الإصحاح السادس والثلاثون، فقرة: ٣-٤].

وقد ذكر سفر التكوين أسماء أبناء إسماعيل، وبيّن أنهم كانوا اثنا عشر رئيساً، أي بعدد أولاد يعقوب، وذكر أن إسماعيل عاش مائة وسبعة وثلاثين سنة. [تكوين، الإصحاح الخامس والعشرون، فقرة: ١٢-١٨].

وعندما حضر يعقوب الموت سألهم عن المعبود الذي يعبدونه بعد وفاته، فذكروا أنهم سيعبدون إلهه وإله آبائه، وذكروا في الآباء إسماعيل كما ذكروا إبراهيم وإسحاق عليهم السلام. ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٣].

المطلب الثاني
علاقة بني إسرائيل بالعرب بعد نبي الله إسماعيل

كان بنو إسرائيل يسكنون في فلسطين بعد عودتهم من مصر، وكان العرب يسكنون شبه الجزيرة العربية، وهي أكبر شبه جزيرة في العالم، وفي وسط شبه الجزيرة تقع هضبة نجد، وتقع الحجاز غربها، وتقع عسير إلى الجنوب من الحجاز، وتقع

اليمن في الجنوب الغربي من الجزيرة، وحضرموت على الساحل الجنوبي، وعُمان في الجنوب الشرقي، والكويت والإحساء ومجموعة من الإمارات على الساحل الشرقي، ومعظم البلاد صحارى، وهي قليلة المحاصيل الزراعية، وقد سكن نبي الله إسماعيل وبنوه في الحجاز.

وتحكي التوراة أن القبائل العربية كانت تتصل بالعبرانيين [تكوين، الإصحاح السابع والثلاثون: ٢٨، ٣٦، وسفر القضاة: ٦-٨]. كما ذكرت التوراة أن سليمان كان يستورد منهم الذهب والفضة والتوابل [الأخبار الثاني، السفر التاسع: ١٤]. كما تذكر أن العرب شاركوا الكوشيين والفلسطينيين في الهجوم على القدس، وسبي أموالها، وسلب ملكها بهرام [الأخبار الثاني، الإصحاح الحادي والعشرون: ١٦-١٨]. وقد هزمهم عزيا فيما بعد، وانتقم منهم ومن الفلسطينيين. [الأخبار الثاني، الإصحاح السادس والعشرون: ٧].

وكانت بلاد العرب إحدى البلاد التي أنذرها أشعيا، وأرميا، وتنبأ عليها بحكم الله وغضبه [أشعيا، الإصحاح الحادي والعشرون: ١٣-١٧].

[هذه الخلاصة مأخوذة من كتاب: قاموس الكتاب المقدس، ص٦١٥-٦١٦].

وقد بنى نبي الله إبراهيم عليه السلام الكعبة، وأمره الله برفعها على مكان عالٍ، ثم أمره أن ينادي الناس آمراً إياهم أن يحجوا إلى هذا البيت الكريم ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:٢٧].

ويدخل في الناس بنو إسرائيل، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن بعض أنبياء بني إسرائيل حج البيت الذي بناه أبوهم إبراهيم عليه السلام ، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ مرّ بوادي الأزرق فقال: «أي وادٍ هذا؟». فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جُؤارٌ إلى الله بالتلبية». ثم أتى على ثنيّة هرْشَى، فقال: «أي ثنية هذه؟». قالوا: ثنيّة هرشى، قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متّى عليه السلام على ناقة حمراء جعْدة، عليه جُبَّةٌ من صوف، خِطامُ ناقته خُلْبَةٌ، وهو يُلبّي».

وعن ابن عباس، قال: سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة، فمررنا بوادٍ، فقال: «أي وادٍ هذا؟». فقالوا: وادي الأزرق، فقال: «كأني أنظر إلى موسى ﷺ (فذكر من لونه وشعره شيئاً لم يحفظه داود) واضعاً إصبعين في أذنيه، له جُؤارٌ إلى الله بالتلبية، ماراً بهذا الوادي». قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنيّة، فقال: «أي ثنيّة هذه؟». قالوا: هرشى أو لِفْتٌ، فقال: «كأني انظر إلى يونس على ناقة حمراء، عليه جُبّة صوفٍ، خِطامُ ناقته ليفٌ خُلْبَةٌ، ماراً بهذا الوادي ملبياً» [مسلم: ٢٦٨، ٢٦٩ كتاب الإيمان].

وروى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء حاجّاً أو معتمراً، أو ليثنينهما» [مسلم: ١٢٥٢].

المطلب الثالث

الأسباب التي دعت اليهود إلى الاستقرار في الجزيرة العربية

تعود الأسباب التي دعت اليهود إلى المجيء إلى الجزيرة العربية والاستقرار فيها إلى البلايا والمصائب التي أصابتهم عبر تاريخهم، يذكر ابن كثير أن اليهود سكنوا المدينة بعد اجتياح بختنصر لدولتهم، وهدمه لقدسهم، فجاؤوا وسكنوا طيبة التي أصبحت فيما بعد المدينة، وكان يسكن المدينة منهم بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع، وسكن بعض منهم خيبر، ووادي القرى وتيماء.

ويذكر ابن كثير أن الأوس والخزرج سكنوا المدينة بعد أن سكنها اليهود بمدة طويلة من الزمان، وحدد وقت سكنى الأوس والخزرج المدينة بالفترة التالية لسيل العرم الذي فرق أهل اليمن شذر مذر، وقد سكنوا المدينة وحالفوا اليهود، وصاروا يتشبهون بهم، لما يرون لهم عليهم من فضل في العلم المأثور عن الأنبياء. [راجع البداية والنهاية: ٣/ ٢٢٤].

ولعل كثيراً من اليهود الذين سكنوا الجزيرة العربية إنما جاؤوا إليها لأن أنبياءَهم وكتابهم حدثوهم أن الرسول الخاتم ﷺ ستكون الجزيرة مبعثه، فقد

حددت لهم أسفارهم المدينة التي ستكون مبعثه، كما حددت لهم مهاجره، ووصفته وصفاً دقيقاً، وتحدثت عن أمته.

قال تعالى محدِّثاً عن علم علماء بني إسرائيل بنبينا ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧].

وروى سلمة بن سلامة بن وقش ﷺ، وكان من أصحاب بدر، قال: «كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً عليَّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت.

فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، ويجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحْلف به، وَلَوَدَّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه، ثم يدخلونه إياه، فيطبق به عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً.

قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبي يُبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن.

قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليّ - وأنا من أحدثهم سناً - فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه».

قال سلمة: «فوالله ما ذهب الليل والنهار، حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ، وهو حيٌّ بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: ويلك يا فلان، ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى: وليس به». [أورده إبراهيم العلي في «صحيح السيرة النبوية»، ص٣٠ وصححه وعزاه لابن هشام في السيرة وأحمد والطبراني].

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة المتحدثة عن سيرة الرسول ﷺ أن الرسول ﷺ لقي طائفة من الأوس والخزرج فدعاهم إلى الإيمان به.

«وكان مما صنع الله بالأوس والخزرج في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غَزَوْهُم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام» [حديث صحيح أورده في «صحيح السيرة النبوية»: ص١١٦، وعزاه لابن هشام في السيرة، والبيهقي في الدلائل، وغيرهم].

المطلب الرابع
موقف اليهود من رسولنا ﷺ وأصحابه

كان المتوقع أن يسارع اليهود في المدينة وما حولها إلى الإيمان برسولنا ﷺ واتباعه، فإن التوراة حافلة بالبشارة برسولنا ﷺ ودينه وكتابه وأصحابه وأمته، ولكنهم استكبروا عن متابعته، ولم يؤمن منهم إلا عدد قليل، وفي بداية قدومه ذهبوا إليه، وتفرسوا فيه، ولم يزل يقدم عليه وافد منهم يسأله عن بعض العلم الذي ورثوه عن آبائهم.

الغصن الأول
إسلام عبدالله بن سلام

ومن أول من ذهب إليه، والتقى به من اليهود عالِم اليهود الكبير، عبدالله بن سلام، فصدقه وآمن به، ودعا أهل بيته إلى الإيمان به فآمنوا، وآمنت عمته خالدة بنت الحارث.

قال عبدالله بن سلام: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استنبأت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب» [عزاه ابن حجر لأحمد والترمذي وصححه هو والحاكم، فتح الباري: ٧/ ٣١٥].

وأورد ابن حجر ما رواه البيهقي عن عبدالله بن سلام قال: «سمعت برسول ﷺ وعرفت صفته واسمه، فكنت مسرّاً لذلك حتى قدم المدينة، فسمعت به وأنا على رأس نخلة، فكبرت، فقالت لي عمتي خالدة بنت الحارث: لو كنت سمعت بموسى ما زدت.

فقلت: والله هو أخو موسى، بعث بما بعث به. قالت لي: يا ابن أخي هو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قلت: نعم، قالت: فذاك إذن، ثم خرجت فأسلمت، ثم جئت أهل بيتي فأمرتهم، فأسلموا» [فتح الباري: ٧/ ٣١٥].

وروى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك: «أن عبدالله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بالُ الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني به جبريل آنفاً». قال ابن سلام: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة.

قال: «أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادةُ كبد الحوت، وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد».

قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهُتٌ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: «أي رجل عبدالله بن سلام فيكم؟».

قالوا: خيرُنا وابنُ خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبي ﷺ: «أرأيتم إن أسلم عبدالله بن بسلام». قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك،

فخرج إليهم عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالوا: شرُّنا وابن شرّنا، وتنقَّصوه، قال: هذا كنت أخافُ يا رسول الله » [البخاري: ٣٩٣٨، وانظر ٣٣٢٩، ٣٩١٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠].

الغصن الثاني

مجموعة من يهود يختبرون رسول الله ﷺ

وقد كان بعض الأحبار يأتون رسول الله ﷺ ، فيسألونه، ويصدقونه، ولا يؤمنون به، ففي صحيح مسلم، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «كنتُ قائماً عند رسول الله ﷺ ، فجاء حِبْرٌ من أحبار اليهود فقال: السلامُ عليكَ يا محمد ! فدفعته دفعةً كاد يُصرع منها، فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلتُ: ألا تقولُ يا رسول الله! فقال اليهوديُّ: إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ : «إن اسمي محمدٌ الذي سمّاني به أهلي». فقال اليهوديُّ: جئت أسألك.

فقال له رسول الله ﷺ : «أينفعك شيء إن حدَّثتك». قال: أسمعُ بأذُنيَّ، فنكتَ رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «سلْ».

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ : «هم في الظلمة دون الجسر». قال: فمن أوّل الناس إجازةً؟ قال: «فقراء المهاجرين». قال اليهودي: فما تُحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون». قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «يُنحر لهم ثورُ الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تُسمّى سلسبيلا». قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض، إلا نبي أو رجلٌ أو رجلان، قال: «ينفعك إن حدثتك؟»». قال: أسمع بأذنيّ. قال: جئتُ أسألك عن الولد؟ قال: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا منيُّ الرجل

منيَّ المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل، آنثا بإذن الله» قال اليهوديُّ: لقد صدقت، وإنك لنبيٌّ، ثم انصرف فذهب» [مسلم: ٣١٥].

وعن صفوان بن عسال ﷺ قال: قال بعض اليهود لصاحبه: «اذهب بنا إلى هذا النبي ﷺ، فقال صاحبه: لا تقل: نبيٌّ، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين، فأتيا رسول الله ﷺ، فسألاه عن تسع آيات بيّنات، فقال لهم: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا الأدبار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود: أن لا تعدوا في السبت، فقبَّلا يده ورجله، وقالا: نشهد أنك نبي، فقال: ما يمنعكما أن تتَّبعاني؟ قالا: إن داود دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتَّبعناك أن تقتلنا اليهود» [أخرجه الترمذي والنسائي، الجامع الصحيح، ٨٩٢٩].

الغصن الثالث
الذين أسلموا من يهود الحجاز

١- الذين أسلموا صادقين:

الذين أسلموا من يهود الحجاز عدد قليل، أبرزهم عبدالله بن سلام، وأسلم بإسلامه أهل بيته، وأسلمت عمته خالدة بنت الحارث.

ونقل ابن كثير عن ابن إسحاق أن عبدالله بن سلام كان حبر اليهود وأعلمهم، وكان اسمه الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبدالله [البداية والنهاية: ٣/ ٢٣٧]. وممن أسلم يوم أحد ابن صلوبا ومخيريق وكان حبر قومه [البداية والنهاية: ٣/ ٢٣٦]. وقد نقل ابن كثير عن ابن إسحاق كيف أن مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الغيطون قال لليهود يوم أُحد: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لواجب، فلم يطيعوه، فخرج فقاتل حتى قُتل، وجعل مخيريق إن هو قتل ماله لرسول الله ﷺ يتصرف فيه كما يشاء [البداية والنهاية: ٤/ ٣٦]. وأسلم بنو سعية، وهم أسد، وأسيد،

وثعلبة، قال ابن كثير: «قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هدل، ليسوا من بني قريظة، ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم أسلموا في الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ» [البداية والنهاية: ٤/ ١٢١].

٢- ثناء الله على من أسلم من يهود صادقاً:

أثنى رب العزة تبارك وتعالى على هذا الفريق الذي استجاب لما أنزله على عبده ورسوله، قال تعالى في الفئة الخيِّرة المؤمنة من أهل الكتاب ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٥].

وقال في موضع آخر مثنياً على هذا الفريق من أهل الكتاب: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١].

وقال في موضع ثالث مشيداً بهذه النوعية الخيِّرة الطيبة: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩٩].

٣- الذين أسلموا من يهود الحجاز تقية ونفاقاً:

قال ابن كثير [البداية والنهاية: ٣/ ٢٤٠]: ذكر ابن إسحاق مَنْ أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية، فكانوا كفاراً في الباطن، فأتبعهم بصنف المنافقين، وهم سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ:

يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ : «والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني الله عليها، فهي في هذا الشعب، قد حبستها شجرة بزمامها» فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك.

قال: ونعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حريملة، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات - فيما بلغنا - : «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين» ورفاعة بن زيد بن التابوت، وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال: «إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار» فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا.

فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود، قال: فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد، ويسمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم.

الغصن الرابع

شدة عداء اليهود للرسول ﷺ وأصحابه وأمته

اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين، وقد جاء هذا صريحاً في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة:٨٢] فسوّى في شدة العداوة للمؤمنين بين اليهود والذين أشركوا، وقدّم اليهود على الذين أشركوا ليدل على مزيد عداوتهم.

وبلغت عداوة اليهود للذين آمنوا أنه ود كثير من اليهود لو ردوا المؤمنين كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ [البقرة:١٠٩].

وبلغت العداوة باليهود أنهم تمنوا أن ينقطع الخير الذي يأتي المؤمنين من ربهم، ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥] واليهود لا يرضون عنا بحال إلا إذا انسلخنا من ديننا، وتبعنا ملتهم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾ [البقرة:١٢٠].

لقد بلغت السفاهة باليهود إلى درجة أنهم قالوا للمشركين عبدة الأوثان من أهل مكة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

وانظر إلى هذه الصورة السيئة التي ترسمها هذه الآية لليهود، إنها صورة بشعة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٤٦].

إنهم يهود الذين يشغلون أنفسهم بتحريف كتاب الله، ليمرروا أهواءهم، ويقصوا كتابهم، ويقولون سمعنا وعصينا، لقد طرق الحق أسماعهم، ورفضته أعمالهم، ويتلاعبون بالألفاظ، فيقولون: اسمع غير مسمع، ويقولون: راعنا، يريدون من الرعونة، ثم بيّن لهم المثال الأقوم الذي ينبغي أن يكونوا عليه.

الغصن الخامس
كتمان اليهود صفات رسولنا ﷺ الواردة في كتابهم

أصبحت التوراة التي تضم بقية أسفار موسى، وأسفار الأنبياء من بعد موسى مبذولة للجميع، ومع التحريف الواسع لنصوص التوراة فلا يزال فيها نصوص كثيرة تبشر بمحمد ﷺ وأصحابه وأمته، وتذكر دينهم وكتابهم، ومبعث الرسول ﷺ ومهاجره، وكثير من أحبار اليهود يعلمون أن هذه البشارات تنطبق على محمد

ﷺ ، ولكنهم يكتمون الحق الذي في توراتهم، مع علمهم بالصواب الذي يحويه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧].

وقال الله لرسوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٨٤]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١١٤]. وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

لقد ذم الله أهل الكتاب الذين يعلمون صدق رسولنا، ثم يكتمون الآيات المنصوص عليها في كتابهم من صفته، وقد هاجر بعضهم من بلاد الشام وسكن المدينة انتظاراً لمبعثه، كي يتابعه، فلما بعث وهو حي كفر به، وكان اليهود في الجاهلية، عندما يحاربون العرب يستفتحون على الذين يحاربونهم، ويقولون لهم: سيبعث نبي نتبعه، ونقاتلكم ونقتلكم، فلما جاء محمد ﷺ بالقرآن كفروا به ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

وقد ذم الله أهل الكتاب الذين يكتمون ما أنزله في كتابهم من البينات والهدى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٤].

وقد أعلمنا ربنا تبارك وتعالى أن اليهود بسبب كفرهم بكتابنا المنزل على رسولنا يزدادون طغياناً وكفراً ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة:٦٤، ٦٨].

الغصن السادس
الأذى الذي أراده اليهود بالرسول ﷺ وأصحابه

حاول اليهود إيقاع الأذى بالرسول ﷺ وأصحابه، فمن ذلك محاولة قتله بالشاة المسمومة، ومن ذلك سحرهم له، ومن ذلك محاولة اغتياله، وتأليب الأحزاب عليه للقضاء عليه وعلى دولته.

١- محاولة قتله بالسم:

حاول اليهود قتل نبينا محمد ﷺ وبعض أصحابه بالسم، فقد أهدوا له في خيبر شاة مسمومة.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: «لما فُتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاةٌ فيها سمٌّ، فقال النبي ﷺ : اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود، فجُمعوا له، فقال: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقيَّ عنه؟ فقالوا: نعم. قال لهم النبي ﷺ : من أبوكم؟ قالوا: فلان. فقال: كذبتم، بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت.

قال: فهل أنتم صادقيَّ عن شيءٍ إن سألتُ عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها. فقال النبي ﷺ : اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً.

ثم قال: هل أنتم صادقيَّ عن شيءٍ إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: إن كنتَ كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرّك» [البخاري: ٣١٦٩، ٤٢٤٩، ٥٧٧٧].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن امرأةً يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك: قال: «ما كان الله ليسلطك على ذاك». قال أو قال: «عليّ» قال قالوا: ألا نقتلها؟ قال:

«لا» قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ . [مسلم: ٢١٩٠، البخاري: ٢٦١٧، واللفظ لمسلم].

٢- سحر اليهود لرسول الله ﷺ:

سحر رجل من اليهود رسول الله ﷺ ، فشفاه الله مما أصابه، عن عائشة، قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زُريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أن يفعل الشيء، وما يفعله.

حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: «يا عائشة ! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجليّ، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومُشاطة، قال: وجُفِّ طلْعة ذكرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان».

قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: «يا عائشة والله ! لكأنَّ ماءَها نُقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين». قالت: فقلت: يا رسول الله ! أفلا أحرقْتَه؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرتُ بها فدفنت» [مسلم: ٢١١٩، والبخاري: ٣١٧٥ معلقاً: ٣٢٦٨، ٥٧٦٣، ٥٧٦٦].

٣- نقضهم عهودهم مع رسول الله ﷺ :

كتب الرسول ﷺ وثيقة تحدد العلاقة بينه وبين اليهود الذين يسكنون معه المدينة، أعطى فيها اليهود الحرية الدينية، ففيها «لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم» وتقرر في هذه الوثيقة أن «على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والبر دون الإثم» و«أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة» [انظر بنود هذه الوثيقة في «صحيح السيرة» ص١٩٨-٢٠٧].

أ- نقض بني قينقاع عهدهم مع رسول الله ﷺ : وقد نقض اليهود عهودهم مع رسول الله ﷺ ، فقاتل من نقض عهده معه، وعامل كلاً منهم بما يستحقه.

فأول اليهود نقضاً للعهد بنو قينقاع، فبعد معركة بدر جمعهم رسول الله ﷺ في سوقهم، ثم قال: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم» قالوا: يا محمد إنك ترى أنّا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس.

ثم قال ابن عباس: فما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران:١٢-١٣]

[صحيح السيرة النبوية، ص٢٦٨. وعزاه إلى أبي داود في سننه، وابن هشام في السيرة].

«ثم إن امرأة من العرب قدمت بجلبٍ لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبدالله بن أبيّ ابن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج، قال فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، قال فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ قال ابن هشام: وكان يقال لها ذات الفضول، فقال له رسول الله ﷺ :

أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال: ويحك أرسلني، قال: لا والله، لا أرسلك حتى تحسن في مواليَّ، أربعمائة حاسر، وثلثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر. قال: فقال له رسول الله ﷺ : هم لك. قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ في محاصرته إياهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة» [البداية والنهاية: ٤/ ٣].

ب- **نقض بني النضير عهودهم مع رسول الله ﷺ** : والطائفة الثانية التي نقضت عهودها مع رسول الله ﷺ هم بنو النضير، وكانت هذه الواقعة بعد بئر معونة وأحد في السنة الثالثة على الصحيح، لا بعد معركة بدر.

وسبب هذه الغزوة «أن كفار قريش كتبوا إلى عبدالله بن أبيّ بن سلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر، يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عدداً، وإنا نُقسم بالله لتقتلنه أو لتخرجنه، أو لنستعين بالعرب، ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءَكم، فلما بلغ ذلك ابن أبيّ ومن معه من عبدة الأوثان، تراسلوا، فاجتمعوا، وأرسلوا، وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ فلقيهم في جماعة، فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءَكم وإخوانكم.

فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرّقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، وكانت وقعة بدر، فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة، والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء» وهو الخلاخل.

فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي ﷺ : اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبراً، حتى نلتقي في

مكان كذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإذا صدّقوك وآمنوا بك، آمنّا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من يهود، حتى إذا برزوا في براز الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه، ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه، كلهم يحب أن يموت قبله، فأرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم، ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا، وصدقناك.

فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى ابن أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ ، فأقبل أخواها سريعاً، حتى أدركا النبي ﷺ ، فسارّته بخبرهم، قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغد، غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم، وقال لهم: إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل إلا الحلقة، والحلقة: السلاح.

فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعهم، وأبواب بيوتهم، وخشبها، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام، وكان بنو النضير من سبط من أسباط بني إسرائيل، لم يُصبهم جلاءٌ منذ كتب الله على بني إسرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ ، فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا كما عذبت بنو قريظة» [صحيح السيرة النبوية، ص٣٢٥. وهو حديث صحيح، أخرجه عبدالرزاق في المصنف، وأبو داود في الخراج، والحاكم في المستدرك].

ج- **نقض بني قريظة عهدهم مع رسول الله ﷺ**: «كان الذين حزبوا الأحزاب نفر من اليهود، وكان منهم سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، فلما قدموا على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، قالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله» [عزاه في «صحيح السيرة النبوية» ٣٥٢ إلى ابن هشام في السيرة، والطبراني في الكبير].

وذكر ابن كثير أن أولئك النفر من يهود خرجوا من عند قريش، فجاؤوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب الرسول ﷺ، وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه. [البداية والنهاية: ٤/ ٩٥].

وذكر ابن كثير أنه لما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم، قال ابن إسحاق: وخرج حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم، فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه: ويحك يا كعب افتح لي. قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً على جشيشتك أن آكل معك منها.

فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر، وبحر طام. قال: وما ذاك؟ قال: جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه.

فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماؤه، يرعد ويبرق، وليس فيه شيء، ويحك يا حيي، فدعني وما أنا عليه، فإني لم أرَ من محمد إلا وفاءً وصدقاً، وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي، فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة،

ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره، وقال: إذا لم تنصروه، فاتركوه وعدوه.

قال ابن إسحاق: فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب، حتى سمع له - يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ وفي محاربته مع الأحزاب - على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك.

فنقض كعب بن أسد العهد، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ ، قال موسى بن عقبة: وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا، ولم يناجزوا محمداً، قالوا: وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرافهم، فنازلهم حيي على ذلك، فعند ذلك نقضوا العهد، ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سعنة أسد وأسيد وثعلبة، فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ .

وبعد رحيل الأحزاب غزا الرسول ﷺ بأصحابه بني قريظة، وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه، فحكم فيهم سعد بن معاذ، فحكم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذريتهم ونساءهم.

وقد أعلمنا الله في كتابه بما فعله باليهود الذين نقضوا عهده مع رسوله، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٢-٦].

المبحث الحادي عشر
بشائر التوراة والأنبياء برسولنا وأصحابه وأمته

بشرت الكتب السماوية السابقة بمحمد ﷺ وأمته ودينه وكتابه، وتحدث بعضها عن مبعثه، ومهاجره، وانتصاراته، وسأتكلم عن هذه البشارات في مطلبين، الأول: البشارات التي أخبر القرآن أو أخبر الرسول ﷺ أنها موجودة في كتبهم، أو قالها رسلهم، والثاني: البشارات الموجودة فعلاً في كتبهم إلى اليوم.

المطلب الأول
البشارات التي أخبر الكتاب والسنّة أنها موجودة في كتبهم

البشارة الأولى
تبشير عيسى ﷺ برسولنا ﷺ

أخبرنا ربنا تبارك وتعالى أن عيسى ﷺ بشر بني إسرائيل في عصره بنبينا محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦]. و«أحمد» أحد أسماء نبينا محمد ﷺ.

فقد أخبرنا الرسول ﷺ بأسمائه التي تطلق عليه، فعن المطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» [البخاري: ٣٥٣٢، ومسلم: ٢٣٥٤].

وعن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي المرحمة» [مسلم: ٢٣٥٥].

البشارة الثانية
ثناء الله على بني إسرائيل الذين يتبعون محمداً إذا بُعث

أخبرنا ربنا تبارك وتعالى أنه بعد تجاوز موسى عليه السلام وبني إسرائيل واقعة عبادتهم للعجل، اختار موسى من خيار بني إسرائيل سبعين رجلاً ذهب بهم لميقات الله، ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ [الأعراف:١٥٥] ولكنهم قالوا من الأقوال وفعلوا من الأفعال ما أغضب الله عليهم، فأخذتهم الرجفة وهلكوا، عند ذلك ﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ [الأعراف:١٥٥]، وقال أيضاً: ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:١٥٦].

عند ذلك قال الله له محدثاً إياه عن عذابه الذي يصيب به من يشاء، ورحمته التي وسعت كل شيء، والتي سيكتبها للأتقياء الذين يؤتون الزكاة والذين يؤمنون بآيات الله، الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وحكم على الذين يؤمنون به، ويعزرونه، وينصرونه، ويتبعون النور الذي أنزل معه بأنهم هم المفلحون، قال تعالى في ذلك كله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

البشارة الثالثة
صفة رسولنا محمد ﷺ في التوراة

روى البخاري في صحيحه عن عطاء بن يسار، قال: «لقيت عبدَ الله بن عمرو ابن العاصي رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال:

أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً وحِرْزاً للأميين، أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكلَ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سخّابٍ في الأسواقِ، ولا يدفعُ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويُفتح بها أعينٌ عميٌ، وآذانٌ صُمٌّ، وقلوبٌ غُلْف». تابعه عبدالعزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء عن ابن سلام. غُلفٌ: كلُّ شيءٍ في غِلافٍ، سيفٌ أغلفُ، وقوسٌ غلفاءُ، ورجلٌ أغلفُ إذا لم يكن مختوناً. [البخاري: ٢١٢٥، ٤٨٣٨].

فرسولنا ﷺ موصوف ببعض صفاته في القرآن، ومن ذلك أن الله أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، أنت عبدي ورسولي، سماه الله المتوكل، ووصفه بأنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

والسخّاب الذي يرفع صوته بالأسواق، ويرفع صوته بالخصام، ومعنى كونه حرزاً للأميين، أي: حصناً لهم، والأميون: العرب.

والملة العوجاء دين العرب القائم على الشرك، وذلك بنفي الشرك منهم، وتثبيتهم على التوحيد، وعبادة الواحد الأحد.

وهذه البشارة لا يزال لها بعض الوجود في التوراة حتى اليوم، فقد جاء في سفر أشعيا «هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرَّت به نفسي، وضعتُ روحي عليه، فيُخرِج الحق للأمم، لا يصيح، ولا يرفع، ولا يُسمع في الشارع صوته، قصبةً مرضوضةً لا يقصف، وفتيلةً خامدة لا يطفئ، إلى الأمان يُخرج الحق، لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحقَّ في الأرض، وتنتظر الجزائرُ شريعتهُ، هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائِجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً، أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك يدك وأحفظك

وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، يتفتح عيون العمي لتُخرِج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة، أنا الرب هذا اسمي ومجدي، لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات، هو ذا الأوليَّات قد أتت والحديثات أنا مخبرٌ بها. قبل أن تنبت أعلمكم بها.

غنُّوا للرب أغنية جديدة تسبيحهُ من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكّانها، لترفع البرية وتمد من صوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، الرب كالجبار يخرج، كرجل حروب يُنهِض غيرتهُ، ويصرخ ويقوى على أعدائه» [الإصحاح الثاني والأربعون: ١-١٣].

وقوله في هذه البشرى: «هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري» هو محمد ﷺ ، وقد صحّ في كتب السنّة أن الرسول ﷺ كان كما جاء في هذه البشارة «لا يصيح، ولا يُسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ».

وكان رسولنا ﷺ كما جاء في هذه البشارة: «لا يكل، ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وكانت الجزائر التي فتحها المسلمون ينتظرون شريعته، ليطبقوها، ويحكموها».

وقد جعل ربنا رسولنا كما جاء في هذه البشارة: «عهداً للشعب، ونوراً للأمم» وقد فتح الله به العيون العمي التي لم تكن ترى الحق، وأراد في هذه البشارة بالمنحوتات: الأصنام والأوثان التي كان يعبدها أهل الجاهلية. وقد طالبت هذه البشارة الجيوش الإسلامية من أتباع محمد ﷺ أن «يغنوا أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض» والمراد بالأغنية الجديدة والتسبيحة من أقصى الأرض الأذان الذي يرفعه المؤذنون في كل يوم خمس مرات، وطالب تلك الجيوش، وهي تسير في البراري، وتركب البحار أن يرفعوا أصواتهم بالتسبيح، وكذلك كانت ولا زالت الجيوش الإسلامية.

والديار التي سكنها قيدار مكة وما حولها، وسالع جبل سلع في المدينة المنورة.

البشارة الرابعة
المثل الذي ضربه الله لرسولنا وأمته في التوراة والإنجيل

حدثنا ربنا تبارك وتعالى عن المثل الذي كتبه الله في كل من التوراة والإنجيل لرسولنا وأمته، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩].

المطلب الثاني
بشارات كُتُبِ بني إسرائيل وأنبيائهم بنبينا محمد ﷺ وأمته

هناك فيض كبير من البشارات التي بشرت بها التوراة، وبشر بها أنبياء بني إسرائيل، وهذه البشارات تتحدث عن رسولنا ﷺ، كما تتحدث عن خاتم النبوة على كتفه، وتتحدث عن المدينة التي بعث فيها، والنور الذي أشرق عليها، والمجد الذي ستحظى به في مقبل الزمان، والمال الذي سيجبى لها في كل عام، ووفود الحجيج التي ستقصدها، وتحدثت هذه البشارات عن إسراء الله برسوله ﷺ إلى المسجد الأقصى، وفتح الأمة البارة، وهي أمة محمد ﷺ للقدس.

كما تحدثت بعض هذه البشارات عن صحابة رسول الله ﷺ وعن أمته، وقوة هؤلاء في حمل الحق الذي أُنزل إليهم.

البشارة الأولى
سيقيم الله لبني إسرائيل نبياً من وسط إخوتهم

جاء في [سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر: ١٥] «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون» وجاء في الفقرة ١٨ من السفر السابق:

«أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به أنا أطالبه».

فمعنى الفقرة الأولى أن الله يقيم لبني إسرائيل نبياً من وسط إخوته، وهذا النبي يستحق أن يسمعوا له ويطيعوا، والفقرة الثانية أصرح من الأولى، فقد أخبرت أن الله يقيم لبني إسرائيل نبياً من وسط إخوتهم، وهذا النبي نبي عظيم، مثل موسى، ولم يبعث في بني إسرائيل نبي بعد موسى نبياً يعدل موسى ﵇، وقد جاء النص على هذا في [سفر التثنية، الإصحاح الرابع والثلاثون: ١٠] «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه».

وقد أخبرت الفقرة الثامنة عشرة من السفر التثنية في الإصحاح الثامن عشر أن الله يجعل كلامه في فم ذلك النبي الذي يبعثه لهم، فيكلم بني إسرائيل وكل من يدعوهم بما يوصيهم به، والذي يرفض كلام ذلك النبي المبعوث من رب العالمين فإن الله يوقفه بين يديه ويحاسبه.

وهذا النص ينطبق على رسولنا محمد ﷺ انطباقاً كلياً، فمحمد ﷺ مثل موسى، بل هو أعظم منه، وهو من وسط إخوة بني إسرائيل، إذ هو من ذرية إسماعيل شقيق إسحاق من ذرية أبيهما خليل الرحمن إبراهيم، وهذا النبي من أفضل العرب نسباً وقد جعل الله كلامه في فمه، وقد بلَّغ بني إسرائيل والناس جميعاً بكل ما أوحي به إليه، وسيحاسب الذين رفضوا طاعته والاستجابة إليه، وإنكار هذه البشارة من الكِبْر الذي يوبق صاحبه.

قال ابن القيم بعد أن ساق هذه البشارة: «قال المسلمون: البشارة صريحة في النبي العربي الأمي محمد ﷺ بن عبدالله، لا تحتمل غيره، لأنها إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل، لا من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال: أقيم لهم نبياً من أنفسهم» [هداية الحيارى، ص٣١٦].

وقد ذكر ابن القيم أن لليهود طرقاً في ردّ هذه النبوءة، وكل ذلك من باب التحريف والتبديل منهم للبشارات الصريحة في التوراة.

البشارة الثانية

مجيء الرب من سيناء، وإشراقه من ساعير

وجاء في [سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون: (١-٢)] «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبال فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم».

هذه البشارة تتحدث عن أرض النبوات العظام، فالرسالة الأولى كانت من جبل الطور في سيناء، حيث كلَّم الله موسى عليه السلام وأرسله هو وأخاه إلى فرعون، والرسالة الثانية كانت في قرية ساعير الموجودة في الخليل في فلسطين، وكانت في عيسى عليه السلام ، والرسالة الثالثة تلألأت من جبال فاران في مكة، وأتت من ربوات القدس، وقد تحقق هذا بعد فتح المسلمين لمدينة القدس، حيث أصبحت القدس إحدى المدن الثلاث العظيمة عند المسلمين، وهي مكة والمدينة والقدس.

وقد تحدث الحقُّ تبارك وتعالى عن المواقع الثلاثة التي تحدثت عنها التوراة في قوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:١-٣] فالتين والزيتون مراد بهما أرضهما، وهي القدس، وطور سينين الجبل الذي كلم الله عليه موسى في طور سيناء، والبلد الأمين مكة، وقال: (هذا البلد) لأن الرسول ﷺ كان حالاً به عندما أنزلت هذه الآيات عليه.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى أن فاران هو جبل حراء، وهو أعلى جبال مكة، وعنده كان ابتداء نزول القرآن على محمد ﷺ . [الجواب الصحيح: ٥/ ٢٠٢].

وقال الشهرستاني فيما نقله عنه القلقشندي: «وساعير هي جبال بيت المقدس حيث ظهر المسيح عليه السلام، وفاران جبال مكة حيث ظهر النبي ﷺ.

ولما كانت الأسرار الإلهية، والأنوار الربانية، في الوحي والتنزيل، والمناجاة والتأويل على ثلاث مراتب: مبدأ ووسط وكمال، وكان المجيء أشبه شيء بالمبدأ، والظهور أشبه بالوسط، والعلن أشبه بالكمال، عبّر في التوراة عن ظهور صُبْح الشريعة بالمجيء على طور سيناء، وعن طلوع شمسها بالظهور على ساعير، وعن بلوغ درجة الكمال والاستواء بالعلن على فاران» [صبح الأعشى: ١٣/ ٢٥٦].

البشارة الثالثة
نعطى ابناً تكون الرياسة على كتفه

وهذه بشارة في [أشعيا، الإصحاح التاسع: ٦-٧] تقول هذه البشارة: «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفيه، ويدعى اسمه عجيباً مثيراً، إلهاً قديراً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكتها ليثبتها، ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا».

وهذه بشارة من أشعيا بمحمد ﷺ، ووصفه بأخص علاماته وأوضحها، وهو خاتم النبوة على كتفه ﷺ، واسمه عجيب، فهو محمد مأخوذ من الحمد، ووصفه بالجلوس على كرسي داود خبر من أشعيا بأنه سيرث مملكة بني إسرائيل ونبوتهم وملكهم.

وقد أخبر آخر الأساقفة الثلاثة الصالحين الذين صحبهم سلمان الفارسي بأنه لم يبق على ما كانوا عليه أحد، ثم قال: «ولكنه أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره من حرتين، إلى أرض سبخة ذات نخيل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك

البلاد فافعل، فقد أظلك زمانه» [صحيح السيرة النبوية، ص٣٨، وهو حديث صحيح، عزاه المؤلف إلى أحمد في مسنده، والبيهقي في الدلائل، والخطيب في التاريخ وغيرهم].

وقد ارتحل سلمان حتى وصل المدينة بعد عناء شديد، وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، واختبره سلمان فوجده يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، ورأى بعينيه خاتم النبوة كما وصفه ذلك الأسقف.

وقد رأى الصحابة خاتم رسول الله ﷺ ، ففي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: «ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده» [مسلم: ٢٣٤٤].

وروى مسلم أيضاً عن عبدالله بن سرجس قال: «ثم درت خلف رسول الله ﷺ ، فنظرت إلى خاتم النبوة عند ناغص كتفه اليسرى، جُمْعاً عليه خيلان كأمثال الثآليل» [مسلم: ٢٣٤٦].

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن السائب بن يزيد، قال: «مسح رسول الله ﷺ رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، مثل زر الحجلة» [البخاري: ١٩٠، ومسلم: ٢٣٤٥].

وقال جابر بن سمرة: «رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام» [مسلم: ٢٣٤٤].

البشارة الرابعة
إشراق مجد الرب على مكة

هذه بشارة لمكة البلد الأمين الذي وُلد فيه خاتم المرسلين ﷺ ، ولا يمكن أن تنطبق هذه الصفات إلا عليها، فقد أنزل الله الهدى والنور عليها فاستنارت، وأشرق عليها مجد الله في وقت كان الظلام يلف العالم كله، وقد استنار العالم بالنور الذي أشرق على مكة، فسارت الأمم في ضوء ذلك النور، وسار الملوك في ضوء ذلك الإشراق.

وفي كل عام يجتمع المسلمون من شتى الأمم والجهات ويأتون مكة للحج وللعمرة، وإليها تأتي الثروات المحمولة في البحار وفي القفار، وفي كل عام يأتيها الحجيج، وتساق إليها الجِمال والأبقار والأغنام لتُذبح قربة يتقرب بها إلى الله، وقد بقيت مكة والمدن الإسلامية على مرِّ العصور تبنى بأيدي الغرباء.

وما المدينة التي تفتح ليلاً ونهاراً غير مكة، فحرمها مقصد العمّار والحجاج يقصدون الحرم للطواف والسعي في كل أوقات النهار.

إنها المدينة التي لم تغب شمسها، ولم ينمحق قمرها، وسيبقى مجدها إلى ما شاء الله.

يقول أشعيا في هذه البشارة مخاطباً مكة: «قومي استنيري لأنه قد جاء نوركِ ومجد الرب أشرق عليكِ، لأنه هاهي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم، أما عليكِ فيشرق الربُّ، ومجده عليكِ يُرَى، فتسير الأمم في نوركِ، والملوك في ضياءِ إشراقكِ.

ارفعي عينيكِ حواليكِ وانظري، قد اجتمعوا كلهم، جاؤوا إليكِ، يأتي بنوكِ من بعيدٍ، وتُحمَل بناتكِ على الأيدي، حينئذ تنظرين وتنيرين، ويخفق قلبكِ ويتّسع، لأنه تتحول إليكِ ثروة البحر، ويأتي إليكِ غنى الأمم، تغطيكِ كثرة الجمال، بُكْرانُ مِدْيان وعيفة كلها تأتي من شبأ، تحمل ذهباً ولباناً، وتبشّر بتسابيح الرب، كل غنم قيدار تجتمع إليكِ، كباش نبايوت تخدمكِ، تصعد مقبولةً على مذبحي، وأزين بيت جَمالي، من هؤلاء الطائرون كسحابٍ وكالحمام إلى بيوتها، إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيكِ من بعيدٍ وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهكِ وقدوس إسرائيل لأنه قد مجَّدكِ.

وبنو الغريب يبنون أسواركِ وملوكهم يخدمونكِ، لأني بغضبي ضربتك، وبرضواني رحمتكِ، وتنفتح أبوابكِ دائماً، نهاراً وليلاً لا تُغلق، ليؤُتى إليك بغنى الأمم، وتقاد ملوكهم، لأن الأُمَّة والمملكة التي لا تخدمكِ تبيد، وخراباً تُخرَب الأمم، مجد لبنان إليكِ يأتي، السرو والسنديان والشربين معاً، لزينة مكان مقدسي

وأمجّد موضع رجليّ، وبنو الذين قهروكِ يسيرون إليكِ خاضعين، وكل الذين أهانوكِ يسجدون لدى باطن قدميكِ، ويدعونكِ مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل.

عوضاً عن كونكِ مهجورة ومبغضة بلا عابر بكِ أجعلكِ فخراً أبدياً فرح دورٍ فدور، وترضعين لبن الأمم، وترضعين ثدي ملوكٍ، وتعرفين أني أنا الرب مخلّصكِ ووليكِ عزيز يعقوب، عوضاً عن النحاس آتي بالذهب، وعوضاً عن الحديد آتي بالفضة، وعوضاً عن الخشب بالنحاس وعوضاً عن الحجارة بالحديد، وأجعل وكلاءَكِ سلاماً وولاتكِ براً، لا يُسمَع بعد ظلمٌ في أرضكِ، ولا خراب أو سحق في تخومكِ، بل تُسمّين أسواركِ خلاصاً، وأبوابكِ تسبيحاً. لا تكون لكِ بعدُ الشمس نوراً في النهار، ولا القمر ينير لكِ مضيئاً، بل الرب يكون لكِ نوراً أبدياً وإلهكِ زينتكِ، لا تغيب بعد شمسكِ، وقمركِ لا ينقص، لأن الرب يكون لكِ نوراً أبدياً، وتكمل أيام نوحكِ، وشعبكِ كلهم أبرار، إلى الأبد يرثون الأرض، غصن غرسي عمل يديّ لأتمجَّد، الصغيرُ يصير ألفاً، والحقير أمّةً قوية، أنا الرب في وقته أسرع به» [أشعيا: ١-٢٢].

البشارة الخامسة
أبني حجارتك بالأثمد وبالياقوت الأزرق أؤسسك

وهذه بشارة ثانية تتحدث عن مكة المدينة العاقر التي لم يبعث فيها رسول قبل محمد ﷺ ، وقد بشرت بأن أبناءَها سيكونون كثيرين، ويزيدون على أبناء القدس، أي على أبناء إسرائيل.

وقد وعدت البشرى مكة بالسعة والعزّ والتمكين والجاه والرفعة والمال، تقول هذه البشارة: «ترنّمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب، أوسعي مكان خيمتكِ، ولتُبسَط شقق مساكنكِ، لا تمسكي، أطيلي أطنابكِ، وشدّدي أوتادكِ، لأنكِ تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلكِ أمماً، ويُعمِر مدناً خربة.

لا تخافي لأنكِ لا تخزين، ولا تخجلي لأنكِ لا تستحين، فإنكِ تنسين خزي صباكِ وعار ترملكِ، لا تذكرينهُ بعد، لأن بعلكِ هو صانعكِ رب الجنود اسمهُ، ووليكِ قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعَى، لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب، وكزوجة الصبا إذا رُذِلَت قال إلهكِ: لُحَيظَةً تركتكِ، وبمراحم عظيمة سأجمعكِ، بفيضان الغضب حجبتُ وجهي عنكِ لحظةً، وبإحسان أبديٍّ أرحمكِ قال وليُّكِ الربُّ.

لأنهُ كمياه نوح هذه لي، كما حلفتُ أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض، هكذا حلفتُ أن لا أغضب عليكِ، ولا أزجركِ، فإن الجبال تزول، والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنكِ وعهد سلامي لا يتزعزع، قال راحمكِ الرب.

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية، هأنذا أبني بالإثمد حجارتكِ، وبالياقوت الأزرق أُؤَسِّسكِ، وأجعل شُرَفكِ ياقوتاً، وأبوابكِ حجارة بهرمانية، وكل تخومكِ حجارة كريمة، وكل بنيكِ تلاميذ الربِّ، وسلام بنيكِ كثيراً، بالبر تثبِّتين بعيدة عن الظلم، فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منكِ، ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي، مَنِ اجتمع عليكِ فإليكِ يسقط، هأنذا قد خلقت الحدَّاد الذي ينفخ الفحم في النار، ويخرج آلةً لعملِه، وأنا خلقتُ المُهلِك ليخرب، كل آلة صُوِّرَت ضدّكِ لا تنجح، وكل لسان يقوم عليكِ في القضاء تحكمين عليه، هذا هو ميراث عبيد الرب وبرُّهم من عندي يقول الرب» [أشعيا، الإصحاح الرابع والخمسون: ١-١٧].

البشارة السادسة
مجيء محمد ﷺ من مكة

يقول ابن القيم: «من رام صرف هذه البشارة عن محمد ﷺ، فقد رام صرف ستر الشمس بالنهار، وتغطية البحار، وأنى يقدر على ذلك، وقد وصفه بصفات عينت شخصيته، وأزالت عن الحيران لبسه، بل صرحت باسمه مرتين، حتى انكشف الصبح لمن كان ذا عينين، وأخبر بقوة أمته، وتسيير المنايا أمامهم، واتباع

جوارح الطير آثارهم، وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد ﷺ ، ولا تصلح إلا له، ولا تنزل إلا عليه، فمن حاول صرف الأنهار العظيمة عن مجاريها، وحبسها عن غايتها ومنتهاها فهيهات ما يروم المبطلون والجاحدون» [هداية الحيارى، ص٣٧٣].

وبين ما ذكره ابن القيم في هذه البشارة، وبين ما هو مثبت في التوراة اليوم بعض الاختلاف، منها أن البشارة التي نقلها ابن القيم فيها ذكر الرسول باسمه الصريح محمد ﷺ مرتين، وهذا مما حذفوه وغيّروه اليوم.

ونص هذه البشارة في [سفر حبقوق اليوم، الإصحاح الثالث: ٣-٦]: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبال فاران، سلاه، جلاله غطى السموات والأرض، امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهبت الوبا، وعند رجليه خرجت الحمَّى، وقف وقاس الأرض، نظر، فرجف الأمم، ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القدم، مسالك الأزل له» [حبقوق، الإصحاح الثالث: ٣-٦].

فالذي جاء من جبال فاران وهي جبال مكة نبينا محمد ﷺ ، ومن الذي امتلأت الأرض من حمده وحمد أمته في صلواتهم وخطبهم وأدبار صلواتهم وفي أعيادهم، وأسفارهم غير محمد ﷺ وأمته، وقد سماهم الله قبل ظهورهم بالحمّادين.

ومحمد ﷺ هو الذي ذهب من قدامه الوبا، وعند رجليه خرجت الحمى، وكانت المدينة موبوءة بالوبا والحمى، فدعا رسول الله ﷺ ربّه، فنقلها من المدينة إلى الجحفة، كما صح في الأحاديث.

ورسول الله ﷺ هو الذي ضرب الصخرة التي عجز عن تفتيتها الصحابة وهم يحفرون الخندق في السنة الرابعة من الهجرة، فضربها ثلاث ضربات، طارت مع كل واحدة شرارة، رأى في ضوء الأولى قصور كسرى، وفي الثانية قصور قيصر، وفي الثالثة أبواب صنعاء في اليمن، وأخبر الرسول ﷺ أن الله زوى له الأرض، وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها.

والجبال الدهرية التي دكت، وآكام القدم التي خسفت هي الدول الكبيرة والصغيرة التي أزالها المسلمون سريعاً، ونشروا فيها الإسلام.

البشارة السابعة
هجرة الرسول ﷺ وأصحابه

تحدث أشعيا عن هجرة الرسول ﷺ وأصحابه فقال: «وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر، في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادايين، هاتوا ماء لملاقاة العطشان، يا سكان تيماء وافوا الهارب بخبزة، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب، فإنه هكذا قال لي السيد، في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، وبقية عدد قسي أبطال قيدار تقل، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم» [أشعيا، الإصحاح الحادي والعشرون: ١٣-١٧].

وهذه النبوءة وحي يتحدث عن جهة بلاد العرب كما هو مصرح به في النص، وتبدأ بالحديث عن مبيت قوافل الدادايين في الأراضي الوعرة، وكانت مساكن الدادايين في جنوب الجزيرة العربية، وهم من نسل إبراهيم من قطورة زوجته بعد موت سارة، وكانوا يشتغلون بالتجارة، وكانت طرق التجارة تمرّ ببلادهم، وكانت ددان التي تقع بقرب تيماء مركزاً للتجارة في الجزيرة العربية. [قاموس الكتاب المقدس، ص٣٧٠].

ويبدو أن الخطاب بقوله: «هاتوا ماء لملاقاة العطشان» موجه إلى الدادايين، وخاطب سكان تيماء وهي قبيلة قريبة في سكناها من الدادايين - فأمرهم أن يوافوا الهارب بخبزة، ومراده بالهارب، أي: رسولنا ﷺ في خروجه من مكة إلى المدينة، وقد خرج الرسول ﷺ وأصحابه قبله وبعده مهاجرين، ولذلك قال في البشارة «فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، ومن أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة، ومن أيام شدة الحرب» وقد وقفت قريش هذا الموقف مع الرسول ﷺ وصحبه في مكة، حتى خرجوا إلى المدينة.

وآخر البشارة حديث عن فناء مجد قيدار في مدة وجيزة، وملك قيدار، أي: أهل مكة، فقيدار أحد أولاد نبي الله إسماعيل، ومجد قيدار تهاوى بعد سنة تقريباً من هجرة الرسول ﷺ ، فقد كانت موقعة بدر التي سقط فيها سبعون من المشركين، وأسر فيها سبعون في رمضان من السنة الثانية، والهجرة كانت في السنة السابقة في ربيع الأول.

البشارة الثامنة

الإسراء برسولنا ﷺ إلى المسجد الأقصى

تحدث ملاخي عن السيد الذي يأتي بغتة إلى الهيكل، صحبة جبريل عليه السلام ، وهو ملاك العهد، فقال: «ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به، هو ذا يأتي قال رب الجنود» [ملاخي، الإصحاح الثاني: ١].

ومن الذي جاء إلى الهيكل صحبة جبريل بغتة غير نبينا محمد ﷺ .

وجاء في سفر حجي قوله: «ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجداً، قال رب الجنود، لي الفضة والذهب يقول رب الجنود، مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، قال رب الجنود، وفي هذا المكان أعطي السلام، يقول رب الجنود» [حجي، الإصحاح الثاني: ٦-٩].

ومشتهى كل الأمم هو رسولنا ﷺ ، لأنه مرسل للناس جميعاً، والمراد بالبيت المسجد الأقصى، الذي كان يدعى بالهيكل، ومجد الأقصى في عهد رسولنا ﷺ أعظم من مجده في عهد بني إسرائيل، وفي هذا المكان الذي هو المسجد الأقصى يعطي الله السلام في آخر الزمان بعد القضاء على الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وتسليم قيادة البشرية لعيسى ابن مريم، الذي يحكم بالقرآن وسنّة الرسول ﷺ .

البشارة التاسعة

فتح القدس

تحدث أشعيا عن فتح القدس على يد عمر بن الخطاب، وفي ذلك يقول: «في ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قوية، يجعل الخلاص أسواراً ومترسة، افتحوا الباب لتدخل الأمة البارة الحافظة للكرامة، ذو الرأي الممكّن تحفظه سالماً سالماً، لأنه عليك متوكل» [أشعيا، الإصحاح السادس والعشرون: ١-٦].

يتحدث أشعيا - والله أعلم - عن دخول الأمة الإسلامية مدينة القدس، وقد وصف هذه الأمة بأنها بارة حافظة للكرامة، وذو الرأي الممكن هو عمر بن الخطاب الذي سلمت القدس له، والله أعلم، وقد وصفه أشعيا بأنه متوكل على الله.

المبحث الثاني عشر
موقف المسلم من الحلول التي تدعو إلى التنازل عن بعض فلسطين

مع البلاء العظيم الذي أحله اليهود بنا، فإن تخطيطهم يقضي بأن نتنازل لهم عن أرض الإسراء، وعن القدس والمسجد الأقصى، ويريدوننا أن نتنازل عن ذلك كله برضا وطواعية في المحافل الدولية، حتى يشهدوا العالم أننا أعطيناهم فلسطين، وبذلك لا يصبحون غاصبين، وقد تنازل أولي الأمر في كثير من الديار الإسلامية عن كثير من فلسطين، ولم يحصل أهل فلسطين على شيء مما وعدت به اليهود.

وموقف المسلمين من أرض الإسراء موقف عقدي إيماني لا يتغير ولا يتبدل، خلاصته أن فلسطين أرض مقدسة، فيها ثالث المساجد الفاضلة عند المسلمين، وهي ليست موضع مساومة مع اليهود، ولا الأمريكان، وليست للبيع، اغتصبها الصليبيون فحاربناهم حتى أخرجنا آخرهم بعد ثلاثمائة سنة، حتى عادت إلى حضن المسلمين، واليوم مرّ على إعلان دولة إسرائيل ستون عاماً، وحاربناهم، وسنحاربهم إلى أن تقوم الساعة، وسنسود وجوه يهود، وسندخل إن شاء الله المسجد كما دخلناه أول مرة، وسنتبر العلو اليهودي تتبيراً.

وعندما قامت منظمة التحرير بعقد مجلسها الوطني التاسع عشر في منتصف نوفمبر ١٩٨٨، واعترفت بالكيان الصهيوني الإسرائيلي وقرار تقسيم فلسطين وجهت لي مجلة الفرقان الكويتية أسئلة تستفسر فيه عن الحكم الشرعي، لهذا العمل التي قامت به المنظمة، فأجبتها على أسئلتها، وسأكتفي في هذا الكتاب بالسؤال الذي يسأل عن الحكم الشرعي في التنازل عن شيء من فلسطين.

أحب أن أقدم قبل الإجابة على هذا السؤال بشكري لمجلة الفرقان على ثقتها بي إذ تفضلت بتوجيه هذا السؤال لشخصي، وأسأل الله أن يبارك في هذه المجلة ويطيل في عمرها، ويعين القائمين عليها للسير بها فيما يحقق رضوان الله.

وأحب أن أبين أيضاً أن القضايا التي طُلب مني الإجابة عنها قضايا لا يجوز للعالم أن يداهن ويماري في الإجابة عنها، لأنها تتعلق ببلاد المسلمين وقضايا المسلمين، وهذه لها أحكام في شريعة الله، فالإجابة الواضحة الصادقة عنها واجب تفرضه عقيدة الإسلام وشريعة الإسلام، والله أخذ علينا أهل العلم العهد والميثاق أن نقول الحق ونبينه، وحرّم علينا كتمانه، ولولا ذلك لما دخلت في هذا الموضوع الذي سيغضب الكثيرين. ثم إن الإجابة بصراحة وصدق هو نصح للأمة الإسلامية، والأمة العربية، ولمنظمة التحرير الفلسطينية، والمؤمن ينصح دائماً، ومراده الخير.

وأنصح الذين يخالفون النهج الإسلامي من العاملين في الساحة العربية للقضية الفلسطينية بالتروي والتأني، فإن الحل الإسلامي للقضية هو الحل الوحيد، وسيعلم من لا يؤمن بهذا النهج أنه ضيّع مسيرة عمره في سراب، وأن الجهود التي بُذلت في غير هذا المسار كانت وبالاً على أصحابها.

إن الحل الإسلامي يعتمد على تحريك طاقات الأمة الإسلامية لاستعادة فلسطين وإعادتها إلى حضن المسلمين، وقد فتحت فلسطين بالإسلام، وعادت من أسر الصليبيين إلى حظيرة المسلمين بالإسلام، وستعود للمسلمين مرة أخرى من غاصبيها اليهود عندما يرفع المسلمون راية الجهاد مرة أخرى، وما حديث خروج الروس من أفغانستان بِسِرٍّ، فقد أجبر الجهاد الأفغاني الروس على أن يغادروا أفغانستان بعد عشر سنوات من قتال استعملوا فيه كل أنواع السلاح المتطور الذي أنتجته العقول الكبيرة في الاتحاد السوفيتي.

أما عن السؤال الأول: أقول إن قبول منظمة التحرير بقرارات الأمم المتحدة التي تتعلق بفلسطين يعتبر إحدى المآسي الكبار التي نزلت بالقضية الفلسطينية، - وأسأل الله تعالى - أن يهدي قادة المنظمة للتراجع عن هذا القرار، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

إن الاعتراف بفلسطين وطناً لليهود مصيبة لا تقل عن مصيبة وعد بلفور، ولا عن مصيبة سقوط الجزء الأول من فلسطين عام ١٩٤٨، ولا عن مصيبة الجزء الثاني منها عام ١٩٦٧ ولا مصيبة زيارة السادات للأقصى وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد.

إن الموافقة على قرارات الأمم المتحدة يعني إعطاء اليهود الشرعية في وجودهم على أرض الإسراء، وهي الشرعية التي لم يستطيعوا الحصول عليها حتى الآن.

إن وعد بلفور لم يعطِ اليهود الشرعية في وجودهم فوق أرض فلسطين، ففلسطين ليست ملكاً لبلفور ولا لقومه حتى يعطيها لليهود.

وقرار التقسيم (١٨١) في عام ١٩٤٧ لم يعطِ اليهود الشرعية، لأنه قرار ظالم حكم به الظلمة للظالم، فكان شأنهم شأن اللصوص الذين اعترفوا بملكية السارق لسرقته وقرارات كامب ديفيد لم تعطِ الشرعية لليهود لأن السادات لا يملك فلسطين، وليس من حقه أن يعطي فلسطين لليهود.

وجاء اليوم دور منظمة التحرير التي اعترف بها كثير من دول العالم ممثلاً للشعب الفلسطيني لتعرض على اليهود إعادة جزء صغير من فلسطين في مقابل الاعتراف بالقسم الأعظم وطناً لليهود.

إن هذا الصك لو صدر سيعتبره اليهود إثباتاً لشرعية وجودهم في ديار المسلمين وسيكون هذا بلاء على المسلمين وأجيال المسلمين من بعد، حيث ستغل دول الكفر أيدي المسلمين بعد ذلك عن الجهاد لاستعادة فلسطين.

وأنا أقول بما علَّمني ربي شهادة أدين الله بها يوم القيامة، أنه ليس من حق منظمة التحرير أن تتنازل عن شبر من فلسطين وذلك لأمور:

الأول: أن الله حرّم على المسلمين التنازل عن أراضي المسلمين وبلاد المسلمين، وأوجب عليهم الجهاد في سبيل تخليص أي جزء يحتله أعداء الإسلام من ديارهم حتى يجلوهم عنه، وهذا حكم مجمع عليه لا خلاف فيه بين أهل العلم.

وهذا الحكم شامل لديار الإسلام كلها، ومسرى رسول الله ﷺ له خصوصية بين ديار الإسلام، فهناك الأقصى الذي أسرى الله بنبينا إليه ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]. والأقصى قبلة المسلمين الأولى، وهو وإن تحولت القبلة عنه فلا يزال أحد المساجد الثلاثة التي لا يجوز شد الرحال إلى غيرها.

الثاني: أن علماء الأمة فقهوا هذا الحكم، ولذلك وقفوا عبر التاريخ ضد الانحرافات التي كانت استثناء في حياة الأمة، فبعض الحكام والقادة قد يلينون في ميدان الصراع، وقد يظنون أن الرضا بالواقع وتحصيل جزء من الحق خير، فيقف العلماء يصدعون بالحق في وجه هذه الانحرافات، فتبصر الأمة طريقها، وتعود إلى رشدها.

وقد صدرت عدة فتاوى في بلاد المسلمين تحذر من هذه المنزلقات، ففي الجزائر صدرت فتوى كان لها دور كبير في الثورة الجزائرية التي عصفت بوجود فرنسا في الجزائر.

وأصدر كثير من أهل العلم فتاوى تحرم التنازل عن شيء من فلسطين لأعداء الإسلام اليهود، ولا مجال لذكرها في هذه العجالة.

الثالث: أن القبول بإعطاء شيء من فلسطين لليهود تنكر لتاريخ أمتنا وجهاد شعبنا، فعلى حدود فلسطين وفوق رباها وعلى أسوار القدس وفي جنباتها سالت دماء أبطال الإسلام وتناثرت أشلاؤهم، وهم يفتحون الأرض المباركة، أو وهم يدافعون عنها، أو في حال استعادتهم لها من الأعداء الذين دنسوا أرضها الطيبة المباركة.

ماذا يقول الذين سيعطون الأرض المقدسة لليهود للأبطال الذين جاهدوا وناضلوا واستشهدوا؟ وكيف سيصافحون الأيدي التي تلطخت بدماء شهدائنا وأبطالنا، والذين انتهكوا حرماتنا ومقدساتنا؟

الرابع: إن قبولنا بإعطاء أرض الإسراء والمعراج لليهود ذلة وهوان، والله لا يرضى لنا الذلة والهوان، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

وذلة ممن؟ من اليهود الذين ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا.

إننا نعلن أننا لن نرضى الذل والهوان، وأننا نستنصر بالله، وندعو المنظمة وحكام المسلمين والأمة العربية والإسلامية لرفع هذا الذل والهوان، حتى ينتصر الإسلام وتعود الديار المغتصبة، والمقدسات المهانة ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة:١٩٠]، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٤].

الخامس: ثقوا أيها الرجال أن اليهود لن يرضوا عنكم، وإن أعطيتموهم كل فلسطين، ومن ورائهم الصليبيون لا يرضون عنا حتى يمرغوا وجوهنا في الرغام، ويخرجوننا عن عقيدتنا وديننا، كذلك أعلمنا ربنا ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

السادس: إن منظمة التحرير إذ تعطي جزءاً من فلسطين لأعداء الله اليهود تتنكر لميثاقها ومبادئها.

ففي ميثاق المنظمة ما يخالف توجه المنظمة، فقد جاء في ميثاقها: «تقسيم فلسطين الذي جرى عام ١٩٤٧ وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال الزمان». وجاء فيه أيضاً: «والكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكاً».

أقول: يجب على المنظمة وجميع فصائلها أن تكون وفيّة لمبادئها في تحرير فلسطين، وإلا فما مبرر قيامها، وما سبب نشأتها، لا سيما وأنها قامت قبل احتلال ١٩٦٧ وقبل القرارين ٢٤٢، ٣٣٨.

السابع: كيف نسعى بكل ما أوتينا من جهد لمصالحة اليهود في الوقت الذي يقوم الشعب المسلم في فلسطين بملحمة بطولية رائعة رافضة الاحتلال والتعايش مع اليهود، رافعاً راية الجهاد تدوي أصوات الأبطال بنداء الشهادة والتكبير والتهليل.

قد يقال: فما بالكم تنكرون علينا الصلح مع اليهود وصلاح الدين ونور الدين صالحا، فنقول لهم: إن رسولنا ﷺ صالح الكفار في الحديبية، ولكنه والخلفاء من بعده وصلاح الدين وغيرهم لم يصالحوا على حكم يخالف شريعة الله، إن الصلح كان على توقف الحرب فترة من الزمان فحسب، وفي الغالب تكون الهدنة فرصة لبناء القوة الإسلامية التي تمكن المسلمين من القضاء على دولة الكفر كما هو الحال في صلح الحديبية. أما صلح يتنازل فيه المسلمون عن مقدساتهم وبلادهم فلا يفعله الذين فقهوا هذا الدين وأسلموا أمرهم لله رب العالمين.

قد يقال: لقد ناضلنا كثيراً، وفقدنا الكثير، وتعبنا، وآن لنا أن نستريح.

والجواب: إن فلسطين ليست لكم وحدكم، فلسطين ملك للأمة الإسلامية كلها، وإذا تعبتم أنتم فالأمة الإسلامية ليست عاقراً، وأجيال الإسلام - اليوم - تتغنى بالقدس والأقصى، وأصبح تحرير القدس من دنس اليهود ورجسهم أنشودة يسمع صداها أينما سرت في أرجاء العالم الإسلامي.

إننا إذا فقدنا فلسطين، فلم نفقد السواعد التي ستعيد فلسطين. وإن فقدنا رجالاً كانوا يحاربون في بلادنا فلسطين، فلم نفقد الرجال الذين يتحرقون في عالمنا الإسلامي لتحرير فلسطين.

إن آلام ضياع الأقصى تزلزل قلوب الرجال والنساء، وهذه الآلام تحتدم في النفوس، وتكاد تكون بركاناً يقذف حممه ولهبه، فيصلي بها اليهود، ويقذف بهم بعيداً عن فلسطين.

إن السلطان عبدالحميد فقد عرشه لأنه أبى أن يعطي فلسطين وطناً لليهود، وبقي المسلمون يتحدثون عن هذا السلطان، ويترحمون عليه. والحاج أمين الحسيني جاهد، وتنحى لأنه لم يستطع أن يمضي في الجهاد، ولكن التاريخ سجل أنه عاش شريفاً، ومات نظيفاً.

إن الدنيا لم تنته والتاريخ لم يتوقف، والدنيا دول يوم لك ويوم عليك، ومن كان يصدق أن شذاذ الآفاق استطاعوا بناء دولة في ستين عاماً كهذه الدولة؟ والأمة الإسلامية لديها إمكانات تستطيع أن تشيد بها دولة تذل لها القلوب، وتخضع لها الرقاب.

وقد اطلعت على بيان صادر من المرشد العام للإخوان المسلمين محمد حامد أبو النصر صدر في ٢٦/٥/١٩٩١ بيّن فيه بوضوح الموقف الصواب من الحلول التي ترتضي التنازل عن شيء من فلسطين، فقال:

«١- إننا لم ولن نساوم على أرض فلسطين أبداً، ففلسطين كل فلسطين ملك لجميع المسلمين، وهي ترتبط بهم ارتباطهم بالعقيدة والشريعة، فهي أرض النبوات، ومهد الرسالات، وإلى أقصاها أسري بنبينا محمد ﷺ، ومنها عُرج به إلى السماوات العلا، وأقصاها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

فتحها عمر بن الخطاب وحررها صلاح الدين، وعطر ثراها الصحابة الكرام بدمائهم، والذين مضوا بعدهم على أثرهم حتى اليوم حاملين لواء الإسلام ذائدين عن حماه، فالمساومة على فلسطين مساومة على عقيدتنا وشريعتنا ومقدساتنا، وتنكر لتاريخنا وشهدائنا وأبطالنا.

٢- إن التنازل عن فلسطين خيانة للأمة، والله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧].

ولا يستطيع مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخون أمانته لصالح أعداء الأمة الإسلامية، إن الذي يبيع أرضه ومقدساته كالذي يبيع عرضه ودينه.

٣- إن الذي يحكمنا ويحكم تصرفاتنا وأعمالنا وأموالنا هو الإسلام، لا المواقف الدولية، ولا ما تمليه علينا دول الكفر، والله حكم ألا نتخلى عن ديارنا لأعدائنا، وأوجب علينا أن نأخذ بأسباب القوة ومجاهدة الأعداء، لاسترداد ما سُلب منا، هذا حكم الله، ولن نخرج عن حكمه.

ونحن موقنون بأن الأمة الإسلامية تستطيع أن تتجاوز مرحلة الضعف التي تمر بها، وتستطيع أن تبذل المزيد لتطهير فلسطين من رجس الصهاينة، ونحن واثقون بأن الأمة الإسلامية قادرة على أن تنجب من يستطيع أن يعيد أمجاد السابقين من أسلافنا، فيعيدوا فتح القدس وإرجاع فلسطين كما فعل عمر بن الخطاب وصلاح الدين.

٤- لا يحق لأهل فلسطين، ولا لحاكم من المسلمين أن يتصرف في فلسطين وفق ما يهوى ويشتهي، فليست فلسطين ملكاً لسكان فلسطين وحدهم، بل هي ملك لجميع المسلمين، وكل تنازل عن أرض فلسطين من أي جهة من الجهات تصرف مبني على باطل، وكل ما بني على باطل فهو باطل.

٥- إننا ننادي جميع الشرفاء في هذه الأمة أن يتنبهوا للخطر العظيم المحدق بهم، وأن يبصروا الكيد الذي يريد إنهاء القضية الفلسطينية لصالح العدو الصهيوني، وإننا ننادي حكام الدول العربية والإسلامية أن يقفوا الموقف المشرف الذي تمليه عليهم عقيدتهم وملتهم في رفض الصلح ورفض إعطاء العدو الحق في فلسطين، وندعوها أن تكون وفية لدينها ومقدساتها، وميثاقها الذي يدعو لتحرير كل فلسطين من النهر إلى البحر.

٦- إننا ننادي الأمة الإسلامية والعربية إلى الاستعلاء على الجراح والآلام والتخلص من حالة الوهن الذي تعيش فيه، وأن ترتفع إلى مستوى التحديات فترفض الخنوع والذلة، وتقول لمن يريد سلبها مقدساتها: لا، وألف لا، فإن المقدسات لا تباع، الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها، ونقول لأمتنا: عار علينا أن نرفع

راية الاستسلام، فالأيام دول، يوم لك ويوم عليك ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠] والقوي يضعف، والضعيف يقوى، والله يبدِّل أحوال العباد، فإذا ضاعت منا فلسطين بالأمس، ولم نستطع تحريرها اليوم، فإن في أجيال الغد من يستطيع بمشيئة الله وبعون منه أن يغير ما بنا، ويعيد الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها.

٧- إننا نناشد الأمة الإسلامية أن تنبذ الفرقة والخلاف في مواجهة أعداء الله الذين يريدون طمس هويتها، وتشويه عقيدتها، واستنزاف طاقاتها ومقدراتها، وإذهاب بأسها وقوتها، والله يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦] ولن نكون أمة واحدة حتى نعتصم بحبل الله المتين الذي هو دينه القويم ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٨- إننا نؤكد في هذا البيان الطرح الإسلامي للقضية الفلسطينية، وهو الجهاد في سبيل الله، فعلى الأمة الإسلامية أن تعود إلى الله، وتستمسك بكتابه وسنّة رسوله، وعليها أن ترفع راية الجهاد، وتحسن صناعة الموت، عند ذلك توهب لها الحياة، ويرهب جانبها أعداؤها، ويحسبون حسابها، فالضعيف لا يؤبه له، ولن ينال الخائفون الضعفاء حقوقهم بالكلام.

٩- إن الذين يريدون توقيع الصلح مع العدو واهمون إن اعتقدوا أن هذا يضع حداً للصراع وينهيه، فالله أخبرنا أن اليهود لا يرضيهم شيء إلا أن ننسلخ من ديننا، وندخل في كفرهم وباطلهم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] إنهم يهدفون من وراء حربهم لنا إلى إخراجنا من إسلامنا، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة:٢١٧]. إن الصراع بيننا وبين اليهود صراع عقائدي، وصراع وجود، والذين يوقعون الصلح مع الصهاينة إنما يمكنون لهم كي ينقضوا بعد ذلك على الأمة الإسلامية لتدميرها، وإقامة حلمهم

الكبير في إقامة دولتهم الكبرى من الفرات إلى النيل، إنّ الصلح مع اليهود لا يوقف الصراع ولا ينهيه، بل يشعله ويذكيه.

١٠- إن كافة المشاريع السياسية المطروحة على الساحة العربية والدولية لحل القضية الفلسطينية بكافة أشكالها، مشاريع تصب في خانة تصفية هذه القضية وإنهائها تماماً، وتخدم على المدى البعيد استراتيجية العدو اليهودي، وإن تطبيق هذه المشاريع على أرض الواقع وفي هذه الظروف خسارة فادحة للأمة بأسرها، ولذا فإن الإخوان المسلمين يؤكدون على رفضهم القاطع لكافة المشاريع السياسية المطروحة لحل القضية الفلسطينية التي تنتقص أياً من حقوقنا في فلسطين المقدسة، ويعتبرونها مشاريع ظالمة تعطي من لا يملك ما لا يستحق.

١١- ينبه الإخوان المسلمون إلى خطورة الانفتاح على العدو الصهيوني وإقامة العلاقات معه لما في ذلك من انعكاسات خطيرة على مستقبل الأمة ومسارها في الصراع مع العدو الصهيوني، فالانفتاح على العدو الصهيوني يمكن له من أن يعيث في بلاد المسلمين فساداً بوضوح وحرية، بعد أن عاث فيها فساداً في الخفاء.

١٢- يحذر الإخوان المسلمون من تحجيم القضية الفلسطينية، فالقضية الفلسطينية هي قضية المسلمين الكبرى، وهي القضية المركزية للأمة الإسلامية، وليست قضية الفلسطينيين وحدهم، ولا قضية العرب وحدهم، وليست هي بقضية الشرق الأوسط، ومن المكر الجديد الذي يطرح في هذه الأيام تجزئة الصراع بيننا وبين اليهود إلى صراع عربي إسرائيلي، وصراع فلسطيني إسرائيلي، ونحن نرفض هذه التجزئة، فكل المسلمين وفي مقدمتهم الفلسطينيون وحدة واحدة في مواجهة أعداء الله اليهود.

١٣- إننا ندعو الأمة العربية والإسلامية إلى مساندة أهل فلسطين، وفي مقدمتهم حركة المقاومة الإسلامية «حماس» الذين يفجرون في أرض الإسراء والمعراج ملحمة بطولية خالدة، وقودها أجسادهم ودماؤهم، ويواجهون بحجارتهم قوة اليهود

العاتية، ومن ورائها قوى الكفر على مختلف توجهاتها، رافعين راية الجهاد والاستشهاد، صادعين بآيات الكتاب، فعار علينا أن ننادي بالسلم والاستسلام والتنازل والاعتراف وآلة اليهود الجبارة تطحن أبناءنا، وتنتهك حرماتنا وأعراضنا، وتدوس قيمنا ومقدساتنا.

١٤- إن الإخوان المسلمين يعاهدون الله ويعاهدون أمتهم أن يكونوا أوفياء لعقيدتهم وشريعتهم ومقدساتهم، وأن لا يفرطوا في قضايا المسلمين، وأن يضعوا القضية الفلسطينية على رأس اهتماماتهم وأولوياتهم، وأن يتصدوا للمكر اليهودي والصليبي الذي يريد اغتيال عقيدة الأمة ومقدراتها واجتياح كل مقدساتها، والله أكبر، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين والله أكبر ولله الحمد».

المبحث الثالث عشر
كيف تستعيد الأمة الإسلامية الأقصى وفلسطين

نحن المسلمين - كما بيّنت فيما مضى - سنستعيد فلسطين، وسندخل الأقصى في يوم فرح عظيم، كما دخلناه في عهد عمر بن الخطاب، وكما دخلناه في عهد صلاح الدين، ذلك أمر مقضي لا شك فيه، ولا ريب، فالله الذي قضى بإفساد بني إسرائيل مرتين، هو الذي قضى بزوال إسرائيل من الوجود على أيدي الجيش الغازي، فقد قضى بأن يسوء وجوه يهود، وقضى بدخولنا الأقصى، وقضى بأن ندمر العلو اليهودي تدميراً، والجيش الذي سيدخل الأقصى ويدمر العلو اليهودي جيش إسلامي يتصف بصفات الجيش الذي فتح القدس في عهد عمر، والجيش الذي حرر القدس من الصليبيين في عهد صلاح الدين، وللأمة التي تستعيد الأقصى صفات عِظام، سنلمح إليها في هذا المقام بحول الله وقوته فيما يأتي:

الأول: أن يكونوا ربايين مصبوغين بصبغة الإسلام:

أول ما اتصفت به الأمة الإسلامية في العهد النبوي أنها تلقت الوحي الإلهي الرباني من رسولها ﷺ، فأصبحت أمة ربانية، وكل الرسل والأنبياء يسعون إلى أن تكون أمة كل منهم أمة ربانية، خاضعة لرب العزة الواحد المعبود، ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

وإنما يكون العباد ربانيين إذا استقاموا على الوحي الإلهي الذي جاءهم به رسولهم، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

وإذا استقام العباد على أمر الله تعالى، وكانوا ربانيين حملوا أعظم صبغة وهي صبغة الله - تبارك وتعالى - ولا توجد صبغة أحسن من هذه الصبغة بحال ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨].

الثاني: الوحدة على أساس من التقى والصلاح:

إن اجتماع الأمة على أساس من دينها يعطيها القوة، ويرد عنها العاديات، والفرقة والاختلاف يفتتها، ويديل أعدائها عليها، وقد دلنا ربنا تبارك وتعالى على الطريق الذي يوحدنا، ونهانا عن طريق الفرقة والاختلاف ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

إن الأمة التي تأخذ بمنهج الله ودينه تصبح أمة واحدة، والأمة التي تترك ذلك كله تتفرق وتختلف ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥].

والأمة تزداد فرقتها، ويزيد اختلافها إن هي شغلت عن القضايا الكبرى التي تواجهها، فإذا نادى منادي الجهاد في الأمة، فإن كثيراً من قضايا النزاع تتلاشى وتزول، وترتفع الأمة إلى مستوى راقٍ يبشر بخير كثير، ومن نظر في مسيرة الجهاد في عهد الصليبيين رأى صدق ما نقول.

الثالث: بناء القوة العسكرية الفائقة:

لا بد لمن أراد أن يحوز النصر من بناء القوة العسكرية الفائقة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:٦٠] والقوة العسكرية تشمل الرجال المدربين على القتال في الميدان، كما تشمل إعداد القوة العسكرية المتمثلة في الصواريخ والدبابات والبوارج والطائرات وغيرها.

وقد حاز المسلمون في عهد الرسول ﷺ والعصور التالية بعده قوة عسكرية عالية في الجند والعتاد مكّنتهم من التقدم في جبهات القتال، ولقد كان من أسباب بلاء الأمة الإسلامية، أن أعداء الإسلام وصلوا إلى مراحل متقدمة في إحراز القوة بينما الأمة الإسلامية تفتقر إلى المقومات الأولى في هذا المجال.

وعلينا ونحن نبني القوة العسكرية أن نرفع راية الجهاد، ونتعرف على صناعة الموت في سبيل الله، وعلينا بعد ذلك أن نحيا سعداء أو نموت شهداء، والله غالب على أمره، ومن طلب الموت وُهبت له الحياة.

الرابع: تولي الله ورسوله والذين آمنوا:

المؤمن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا، فقد جاءَه النصر على الخصوم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦]. وعلى المؤمن أن لا يتخذ الكفار الذين اتخذوا ديننا هزواً ولعباً أولياء، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

إن المؤمن يحب إلهه وخالقه ومعبوده، ويحب من يحبه الله من المخلوقات، فهو يحب الله والرسل والأنبياء والمؤمنين والملائكة، ويحب الصلاة والزكاة والصوم والجهاد ونحوها من الأعمال.

ويكره من يكرهه الله من المخلوقات كالشيطان وفرعون وهامان وقارون وأبا جهل وأبا لهب، وغيرهم من الكفار، ويكره الموبقات كالربا والزنا والسحر ونحوها من الأعمال المحرمة، فإن أحب ما أبغض الله، أو كره ما أحبه الله وقع في التناقض،

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وإذا كنا نبغض الكفار ولو كانوا أقرباءنا فإن بغضنا لهم لا يمنعنا من البر بهم والإحسان إليهم إن لم يكونوا مقاتلين، إنما ينهانا الله عن برّهم والإحسان إليهم إذا كانوا مقاتلين محاربين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩].

الخامس: علينا أن نوقن بما أعلمنا الله في كتابه وسنّة رسوله ﷺ، وبما رأيناه من خلال تعامل الدول التي وقّعت اتفاقيات مع إسرائيل، وهي مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطيني أن الاتفاقات مع اليهود لن تقود إلى سلام حقيقي مع اليهود، وأن هذه المعاهدات لم ولن توقف العدوان اليهودي علينا، وأنها ستبقى تفتل لنا في الذروة والغارب حتى تنهي وجودنا، وتزيل قوتنا، وتجعلنا عبيداً لها.

إن الأمة الإسلامية قاتلت الصليبيين حتى أنهت وجودهم في ديارنا، وعلينا أن نجاهد يهود حتى نسوء وجوههم، وننهي وجودهم فوق أرضنا.

إن معركتنا مع اليهود معركة تصل إلى أن نزول أو تزول، إما أن نبقى نحن أو تبقى هي، وجزماً ستزول إسرائيل إذا حمل أصحاب القضية قضيتهم، وأريد بأصحاب القضية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وقد آن لأصحاب القضية أن يحملوا الراية ويتقدموا الصفوف، وينتصروا للحق.

إنّ تخلي أصحاب القضية عن قضيتهم سيلغي وجودهم، ويذهب بهم شذر مذر، إننا سنخسر كثيراً إذا تنازلنا عن مسرى رسول الله ﷺ ليهود، وسيُغضب الله علينا، وندمر معاقلنا بأيدينا، وعندما تجتمع يهود سيغزون دياراً أكثر، وستدق رقابنا سنابك خيلهم.

إن اليهود سيعملون للمزيد من ضعفنا، وآن لنا أن ننهض من كبوتنا، ونخرج عن الإطار الذي وضعنا فيه أعداؤنا، وننطلق إلى الفضاء الرحب الذي أعطانا الله إياه.

المصادر والمراجع

١- الإسلاميون والقضية الفلسطينية، إبراهيم الطرابلسي، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢- أشراط الساعة، خالد بن ناصر الغامدي، دار الأندلس، جدة، السعودية، الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت.

٤- البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الأولى، ١٩٧٨.

٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٦- التذكرة للقرطبي، دار البخاري، المدينة المنورة، السعودية، الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧- تفسير ابن كثير، طبعت على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الثالثة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٨- تفسير القرطبي، دار الحديث، القاهرة.

٩- التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، ١٩١٧-١٩٤٨، محسن محمد صالح، مكتبة الفلاح، الكويت، الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

١٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني وآخرون، الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١١- الجواب الصحيح، لابن تيمية، الرياض، الأولى، ١٤١٤هـ.

١٢- حكومة العالم الخفية، لشريب سبير يدوفتش، ترجمة مأمون سعيد، تقديم أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، الأولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٣- دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، د. محسن محمد صالح، الأولى، ٢٠٠٣م.

١٤- رياح التغيير في اليمن، محمد أحمد الشامي، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن.

١٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
١٦- السلطان عبدالحميد الثاني: حياته وأحداث عهده، أورخان محمد علي، دار الوثائق، الكويت، الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
١٧- سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن.
١٨- سنن الترمذي، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن.
١٩- السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة المنار، الزرقاء، الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٢٠- شرح النووي على مسلم، النووي، دار الخير، دمشق، الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٢١- صبح الأعشى للقلقشندي، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر.
٢٢- صحيح البخاري، طبعة بيت الأفكار الدولية، الرياض (مجلد واحد)، الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٢٣- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢٤- صحيح سنن ابن ماجة، للألباني، مكتب التربية العربي، الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٥- صحيح سنن الترمذي، للألباني، مكتب التربية الغربي، الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٦- صحيح السيرة النبوية، دار النفاس، عمان، الأردن، الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٢٧- صحيح مسلم، طبعة بيت الأفكار الدولية، الرياض (مجلد واحد)، الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٢٨- صحيح موارد الظمآن إلى صحيح ابن حبان، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي، الرياض، الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٩- العلاقات التركية اليهودية، الدكتورة هدى درويش، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٣٠- العهد القديم، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
٣١- العوامل الأساسية لكارثة فلسطين، لأبي الحسن الندوي، دار الفكر الإسلامي، سوريا.
٣٢- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، دار السلام، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٣٣- فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين، توزيع دار الفرقان، عمان، الأردن، الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٣٤- فلسطين، للبشير الإبراهيمي، مركز الإعلام العربي، الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٥- قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص، دار الثقافة، التاسعة.
٣٦- قصة المسيح الدجال، الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الأولى ١٤٢١م.
٣٧- قصص الغيب للمؤلف، دار النفائس، عمان، الأردن.
٣٨- لسان العرب، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي.
٣٩- لماذا نرفض السلام مع اليهود؟ محسن عنبتاوي، جمعية التربية جامعة الكويت.
٤٠- لورنس العرب على خطا هرتزل، زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
٤١- المجازر الصهيونية، جواد الحمد، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ٢٠٠٠.
٤٢- محمد في الكتاب المقدس، ليفد بنجامين كلداني (عبدالأحد داود)، ترجمة فهمي شما، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٤٣- الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م.
٤٤- مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٤٥- المفردات، الراغب الأصفهاني، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
٤٦- مقدسات تحت الاحتلال، لإبراهيم مهنا، ٢٠٠١م.
٤٧- نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية، سعيد محمد أحمد باناجة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٤٨- هداية الحيارى، لابن القيم، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٤٩- يهود اليوم ليسوا يهوداً، لبنيامين فريدمان، ترجمة زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.



فهرس

تقديم ٧

المبحث الأول
اغتصاب اليهود أرض الإسراء

المطلب الأول: التخطيط اليهودي للاستيلاء على فلسطين ١١
المطلب الثاني: دور الصليبيين في التمكين لليهود في فلسطين ١٧
المطلب الثالث: ماذا يريد اليهود بعد احتلالهم فلسطين ١٩
المطلب الرابع: الأسباب التي أدت إلى غلبة اليهود وانتصارهم ٢٠

المبحث الثاني
الجهود التي بذلها المسلمون في مواجهة اليهود الغاصبين

المطلب الأول: الموقف المشرف للسلطان عبدالحميد والدولة العثمانية ٢١
التعليمات التي سنّها السلطان لضمان عدم مكث اليهود في فلسطين ٣١
إنكم لو دفعتم مال الدنيا ذهباً فلن نعطيكم فلسطين ٣٤
سيطرة اليهود على سياسة الدولة بعد السلطان عبدالحميد ٣٦
موقف الشريف حسين شبيه بموقف السلطان عبدالحميد ٣٦
المطلب الثاني: جهاد أهل فلسطين ٣٧
المطلب الثالث: ما قدمه الإسلاميون للقضية الفلسطينية ٤٠
نداءات ومؤتمرات ٤١
بداية التحرك العسكري ٤٢
حل جماعة الإخوان المسلمين ٤٣
موقف المجاهدين بعد حل جماعتهم واغتيال مرشدهم ٤٤

لا.. لدخول الجيوش ٤٥
بعد النكبة ٤٥

المبحث الثالث

عظم المصاب باغتصاب فلسطين

المطلب الأول: اغتصاب اليهود فلسطين من أعظم مصائب المسلمين ٤٧
المطلب الثاني: محنة فلسطين لغم خطير في صرح الأقداس الإسلامية ٤٨
المطلب الثالث: فتاوى علماء المسلمين بخصوص فلسطين ٥٢
الغصن الأول: أهمية هذه الفتاوى ٥٢
الغصن الثاني: الصفة المشتركة لهذه الفتاوى ٥٤
الغصن الثالث: بعض الفتاوى الصادرة بهذا الخصوص ٥٥
الفتوى الأولى: فتوى علماء فلسطين الصادرة عن مؤتمر علماء فلسطين الأول المنعقد في يناير ١٩٣٥ .... ٥٥
الفتوى الثانية: فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٥٩
الفتوى الثالثة: فتوى تحرم التنازل عن شيء من فلسطين ٦٦
نص فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين ٦٦
الموقعون على هذه الفتوى ٦٧
الفتوى الرابعة: فتوى علماء المسلمين في المؤتمر الدولي الإسلامي في باكستان ... ٧٢
المطلب الرابع: ما قاله العلماء في فلسطين ٧٥
يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحاً دامية ٧٥

المبحث الرابع

التعريف بأرض الإسراء وبيان مدى أهميتها لدى المسلمين

المطلب الأول: موقع أرض الإسراء ٨١
المطلب الثاني: أهمية أرض الإسراء لدى أمة الإسلام ٨٢
المطلب الثالث: الأقصى في الأرض وليس في السماء ٨٤

المطلب الرابع: أرض الإسراء ميراثنا من صالحي بني إسرائيل ٨٦
المطلب الخامس: الأقصى مسرى رسولنا ﷺ فتحها عمر وحررها صلاح الدين ٨٧
المطلب السادس: تسلسل زمني للتواريخ المهمة في قضية فلسطين ٨٩

المبحث الخامس

التعريف باليهود الغاصبين لأرض الإسراء

المطلب الأول: التعريف بإسرائيل وبنيه ٩٧
المطلب الثاني: التعريف بالذين هادوا ١٠١
المطلب الثالث: هل اليهود اليوم من ذرية إسرائيل ١٠١
المطلب الرابع: التعريف بالشخصية اليهودية ١٠٤
المطلب الخامس: أين كان بنو إسرائيل وإلى أي شيء صاروا ١٠٦
الغصن الأول: أين كان بنو إسرائيل ١٠٦
الغصن الثاني: إلى أي شيء صار اليهود ١٠٧
المطلب السادس: إيتاء بني إسرائيل التوراة ١٠٨
الغصن الأول: الغاية من وراء إنزال التوراة إليهم ١٠٩
الغصن الثاني: التعريف بالتوراة ١٠٩
الغصن الثالث: تحريف بني إسرائيل للتوراة ١١١
الغصن الرابع: مدى التحريف الذي أصاب التوراة ١١٢
الغصن الخامس: ما يأخذ ويترك من التوراة ١١٣
الغصن السادس: تصديق القرآن التوراة ١١٤
الغصن السابع: نصوص التوراة الصحيحة والنصوص الباطلة والمحرفة ١١٥
أولاً: النصوص التي صرح القرآن أنها موجودة في التوراة ١١٦
ثانياً: الأحكام التي أخبر القرآن أنها في التوراة ١١٨
ثالثاً: الأحكام والأخبار المحرفة في التوراة ١٢٠
النصوص الدالة على أن الذبيح إسماعيل ١٢٢
دلالة السنّة على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ١٢٣

المبحث السادس
حجة اليهود على استحقاقهم فلسطين

المطلب الأول: نصوص التوراة الدالة على مطلبهم ١٣٥
المطلب الثاني: المدى الذي يريده اليهود من أرض المسلمين ١٣٧
المطلب الثالث: عدم صلاحية ما احتجوا به من النصوص ١٣٧
المطلب الرابع: يدل على عدم استحقاقهم الأرض المقدسة نسخ شريعتهم ١٣٩

المبحث السابع
المصائب والرزايا التي حلت باليهود جراء غضب الله عليهم

المطلب الأول: السبب في غضب الله على اليهود ١٤١
الغصن الأول: فقدانهم للخيرية ١٤١
الغصن الثاني: استكبارهم وتعاليهم على ربهم وغلوّهم في أنفسهم ١٤٣
الغصن الثالث: نقض بني إسرائيل عهودهم ومواثيقهم مع ربهم ١٤٥
المطلب الثاني: آثار غضب الله على اليهود ١٤٨
الغصن الأول: بعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ١٤٨
الصورة الأولى: تشريدهم في بقاع الأرض ١٤٨
الصورة الثانية: إحراق كتب اليهود الدينية ١٥١
الصورة الثالثة: فتنة اليهود في دينهم وإجبارهم على اعتناق النصرانية ١٥٢
الغصن الثاني: لم أذن الله لليهود بإقامة دولة في فلسطين ١٥٧

المبحث الثامن
النصر على اليهود قادم بحول الله وقوته

المطلب الأول: لا تيأسوا فالنصر آت آت ١٥٩
المطلب الثاني: دلائل النصر وبشائره ١٦١
الغصن الأول: الدلائل والمبشرات الدالة على انتصار المسلمين على اليهود ١٦١
البشارة الأولى: الإسراء برسولنا إلى الأقصى وصلاته بالأنبياء إماماً ١٦٢
البشارة الثانية: وعد الله لنا بأننا سنسوء وجوه يهود ونتبر علوهم تتبيرا ١٦٢

تدمير المسلمين العلو اليهودي (لفتات وخلاصات) ١٦٨
إفساد اليهود في فلسطين ومعالمه ١٦٩
تخطيط اليهود للإفساد وعزمهم عليه ١٦٩
المنظمات الصهيونية التي تهدف إلى هدم الأقصى ١٧٣
خرافات اليهود للاستيلاء على الأقصى ١٧٦
الغصن الثاني: الدلائل والمبشرات العامة الشاملة لفلسطين وغيرها ١٩٤
البشارة الأولى: وعد الله المؤمنين بأن يمكنن لهم دينهم ويستخلفهم في الأرض . ١٩٥
البشارة الثانية: نصر الله عباده المؤمنين في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ١٩٥
البشارة الثالثة: وعد الله رسوله ﷺ أن يظهر دينه على الدين كله ١٩٦
البشارة الرابعة: سيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار ١٩٦
الغصن الثالث: الأحداث الكبار التي يكون فيها للمسلمين دور فاعل آخر الزمان .. ٢٠١
البشارة الأولى: قتال المسلمين قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة ٢٠١
البشارة الثانية: خروج الخليفة العادل المهدي في آخر الزمان ٢٠٣
البشارة الثالثة: قتال المسلمين النصارى في الملحمة الكبرى قرب خروج الدجال . ٢٠٧
البشارة الرابعة: انتصار المسلمين على الدجال ٢٠٨
بقية هذه النبوءة في التوراة ٢١٢
البشارة الخامسة: قتال المسلمين مع عيسى عندما يخرج آخر الزمان ٢١٦
وقوع الأمن والسلام على الأرض في ذلك الزمان مدة أربعين عاماً ٢١٧
هذا النبأ موجود في التوراة حتى اليوم ٢١٧
جمع المؤمنين من اليهود آخر الزمان في الأرض المقدسة ٢١٩
البشارة السادسة: قتال المسلمين اليهود الذين يكونون مع الدجال ٢٢١

المبحث التاسع

ذهاب الإسلام وعودة الناس إلى الجاهلية في آخر الزمان

المبحث العاشر

علاقة المسلمين ببني إسرائيل

المطلب الأول: علاقة نبي الله إسماعيل بإخوته أبناء إبراهيم ٢٢٥

المطلب الثاني: علاقة بني إسرائيل بالعرب بعد نبي الله إسماعيل ٢٣٢
المطلب الثالث: الأسباب التي دعت اليهود إلى الاستقرار في الجزيرة العربية ٢٣٤
المطلب الرابع: موقف اليهود من رسولنا ﷺ وأصحابه ٢٣٦
الغصن الأول: إسلام عبدالله بن سلام ٢٣٦
الغصن الثاني: مجموعة من يهود يختبرون رسول الله ﷺ ٢٣٨
الغصن الثالث: الذين أسلموا من يهود الحجاز ٢٣٩
١- الذين أسلموا صادقين ٢٣٩
٢- ثناء الله على من أسلم من يهود صادقاً ٢٤٠
٣- الذين أسلموا من يهود الحجاز تقية ونفاقاً ٢٤٠
الغصن الرابع: شدة عداء اليهود للرسول ﷺ وأصحابه وأمته ٢٤١
الغصن الخامس: كتمان اليهود صفات رسولنا ﷺ الواردة في كتابهم ٢٤٢
الغصن السادس: الأذى الذي أرادهااليهود بالرسول ﷺ وأصحابه ٢٤٤
١- محاولة قتله بالسم ٢٤٤
٢- سحر اليهود لرسول الله ﷺ ٢٤٥
٣- نقضهم عهودهم مع رسول الله ﷺ ٢٤٥

المبحث الحادي عشر
بشائر التوراة والأنبياء برسولنا وأصحابه وأمته

المطلب الأول: البشارات التي اخبر الكتاب والسنّة أنها موجودة في كتبهم ٢٥١
البشارة الأولى: تبشير عيسى ﷺ برسولنا ﷺ ٢٥١
البشارة الثانية: ثناء الله على بني إسرائيل الذين يتبعون محمداً إذا بُعث ٢٥٢
البشارة الثالثة: صفة رسولنا محمد ﷺ في التوراة ٢٥٢
البشارة الرابعة: المثل الذي ضربه الله لرسولنا وأمته في التوراة والإنجيل ٢٥٥
المطلب الثاني: بشارات كتب بني إسرائيل وأنبيائهم بنبينا محمد ﷺ وأمته ٢٥٥
البشارة الأولى: سيقيم الله لبني إسرائيل نبياً من وسط إخوتهم ٢٥٥
البشارة الثانية: مجيء الرب من سيناء وإشراقه من ساعير ٢٥٧
البشارة الثالثة: نعطى ابناً تكون الرياسة على كتفه ٢٥٨

البشارة الرابعة: إشراق مجد الرب على مكة ٢٥٩
البشارة الخامسة: أبني حجارتك بالأثمد والياقوت الأزرق أؤسسك ٢٦١
البشارة السادسة: مجيء محمد ﷺ من مكة ٢٦٢
البشارة السابعة: هجرة الرسول ﷺ وأصحابه ٢٦٤
البشارة الثامنة: الإسراء برسولنا ﷺ إلى المسجد الأقصى ٢٦٥
البشارة التاسعة: فتح القدس ٢٦٦

المبحث الثاني عشر

موقف المسلم من الحلول التي تدعو إلى التنازل عن بعض فلسطين ٢٦٧

المبحث الثالث عشر

كيفت ستعيد الأمة الإسلامية الأقصى وفلسطين

الأول: أن يكونوا ربايين مصبوغين بصبغة الإسلام ٢٧٩
الثاني: الوحدة على أساس من التقى والصلاح ٢٨٠
الثالث: بناء القوة العسكرية الفائقة ٢٨٠
الرابع: تولي الله ورسوله والذين آمنوا ٢٨١

المصادر والمراجع ٢٨٥
الفهرس ٢٨٩


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



وليتبروا ما علوا تتبيرا

بشرى المؤمنين بالنصر العظيم على اليهود الغاصبين



www.darfan.com

